الجزءان الأول والثاني
المجلد السادس والتسعون

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا»

مجلّة محكّمة فصليّة

جمادى الآخرة - ذو الحجّة ١٤٤٤هـ
كانون الثاني - حزيران ٢٠٢٣م

الجزءان الأول والثاني — المجلد السادس والتسعون

ISSN 0258-1442

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا »

مجلّة محكّمة فصليّة

جمادى الآخرة - ذو الحجّة ١٤٤٤هـ

كانون الثاني - حزيران ٢٠٢٣م

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- إذا لم يلتزم الكاتب بإجراء ما يجب من تعديلات يقترحها المحكمون في مادته التي أرسلها إلى المجلة، في الفرصة المتاحة للتصحيح - ولا تعاد المادّة إلى صاحبها لإجراء التعديلات إلّا مرّة واحدة فقط - كان للمجلة الحقُّ في رفض نشر تلك المادّة.

١٥- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٦- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٧- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❋ ❋ ❋

فهرس الجزأين الأول والثاني

من المجلد السادس والتسعين

البحوث والدراسات

- مطالعة في تفخيم العين والحاء
  بين القديم والحديث — د. أحمد قدور — ٩
- ديوان راجح الحلي في تحقيقين
  نظرات نقدية ومستدرك — د. عباس الجراخ — ٢٧
- شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
  نقد واستدراك — د. خليل أيوب — ٦٥

المقالات والآراء

- التعريب كلام على منطلقه ومسيرته — د. مازن المبارك — ١٠٩
- من العلماء رجال علامات وعلامون — د. مكي الحسني — ١١٩
- الكشكول اللغوي (٤)
  القرطاس والخريطة والكرت
  والكرتون والخرطوش والكارتل — د. رفعت هزيم — ١٢٣
- مع مازن المبارك في محاضرته:
  «مع التراث.. منهج ونتائج» — د. عبد النبي اصطيف — ١٣١

التعريف والنقد

- في محراب المعجم الوسيط د. قاسم السارة ١٣٩

المحاضرات والمدارسات

- دور رضا سعيد في تعريب التعليم
في جامعة دمشق أ. أحمد بوبس ١٥٧

أنباء مجمعية وثقافية

- تعزية بفقيد
- العيد الماسي للمجمع العلمي
اللغوي العراقي د. محمود السيد ١٧٣
- كلمة مجمع اللغة العربية في دمشق في فعالية:
«حلب واليوم العربي للغة العربية» د. عيسى العاكوب ١٩١
- من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ١٩٥
- حفل استقبال الأستاذ الدكتور إياد الشطي عضوًا في المجمع ٢١٥
١- كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع ٢١٧
٢- كلمة المجمعية الأستاذة الدكتورة لبانة مشوح ٢٣١
٣- كلمة الأستاذ الدكتور إياد الشطي ٢٣٩
- حفل استقبال الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضوًا في المجمع ٢٦٣
١- كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع ٢٦٥
٢- كلمة الأستاذ رفعت هزيم عضو المجمع ٢٧٥
٣- كلمة الأستاذ الدكتور عيد مرعي ٢٨١
- أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق مطلع عام ٢٠٢٣ ٢٩٣

❊ ❊ ❊

البحوث والدراسات

مطالعة في تفخيم العين والحاء
بين القديم والحديث

أ. د. أحمد محمّد قدُّور(*)

يتطلّب النهوض بعلم الأصوات عندنا التعمّق في المعطيات الصوتية المبثوثة في كتب النحو والتجويد والقراءات، وكتب البلاغة، وبعض مؤلفات الحكماء. كما يتطلّب الوقوف على النتائج التي أحرزها هذا العلم في البلدان الأجنبية التي استعانت بالأجهزة المتعدّدة ممّا لم يكن متوفّرًا من قبل إبّان نشوء الدرس الصوتي العربي وازدهاره. وقد تأكّد لي من خلال دراسات سابقة أنّ درس القدامى للأصوات على قدر كبير من الأصالة والابتكار. كما أنّ بعض المحدثين من علماء اللغة من الأجانب، ومؤرّخيها، والمشتغلين باللسانيات وقفوا عند هذا الدرس، ورأوا قربه الشديد من الدرس الحديث، إذ توفّر له من الملاحظة والتفكير العلمي ما يبعث على الإعجاب، مع أنه اعتمد أصلًا على وسائل البحث التي تفتقر إلى الأجهزة التي رفدت الدرس الحديث، ووصلت به إلى مصافّ العلوم التجريبية. ويقول أرتور شاده عن جهود سيبويه الصوتية: «بلغ سيبويه في

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ورد إلى مجلة المجمع في ١٥/ ١٢/ ٢٠٢١م

تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدّقّة ما يعسر علينا الزيادة عليه، والإصلاح فيه»[١].

وتأتي هذه المطالعة في هذا السياق العلمي الذي يعرض للمعلومات الصوتية في ضوء الدرس الحديث سعيًا لإدراك الفروق، وكشف مواطن الاختلاف، وتقديم النتائج التي تتّخذ سبيلها إلى إفادة علومنا اللغوية الفذّة. ومن المؤكد أنّ موضوع هذه المطالعة جزء من بحث الحروف الحلقية والحنجرية التي تحتاج إلى مزيد من الفحص الدقيق. إذ «يصعب جدًّا بحث السواكن (الصوامت) الحلقية والحنجرية، لأنه لا يسهل ضبط مواقعها وصفاتها النطقية الكائنة في المناطق الحلقية والحنجرية التي لا يسهل الوصول إليها.. ومن الصعب جدًّا أن تُرى حركات عضلات الحلق، لأنه لا يظهر منها إلا عضلات الحائط الحلقي»[٢]. وقد نظر الدرس الحديث في الحروف الحلقية كما وصفها الخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ) ومن تبعهما من النحاة وعلماء التجويد. إذ استقرّ الأمر على أنّ حروف الحلق لها ثلاثة مخارج، أقصى، وأوسط، وأدنى؛ فالهمزة والهاء من أقصى الحلق، والعين والحاء من أوسط الحلق، والغين والخاء من أدنى الحلق إلى الفم[٣]. وقد أخرج الدرس الحديث الهمزة والهاء من الحروف الحلقية، ووضعهما في الحنجرة. أما الغين والخاء فقد ذهب المحدثون في تعيين

(١) علم الأصوات عند سيبويه لأرتور شاده، ص٢ من البحث، وانظر: التطور النحوي لبرجشتراسر، ص١٣، ودروس في علم الأصوات العربية لكانتينو، ص٣٢.

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) لسلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح، ص٩٣.

(٣) كتاب العين للخليل، ١/ ٥٢،٥٧،٥٨، وكتاب سيبويه، ٤/ ٤٣٣، وسرّ صناعة الإعراب لابن جني، ١/ ٤٦-٤٧.

مخرجهما مذاهب شتى، غير أنّ أكثرها شيوعًا هو الذي يعدّهما طبقيين يشاركان الكاف في المخرج، ويليان القاف مباشرة. وذهب بعض المحدثين إلى عدّهما لهويين يشتركان مع القاف في مخرج واحد(٤)، وقلّ من هؤلاء من أبقى عليهما في المخرج الحلقي(٥). لكنّ المحدثين أجمعوا على إبقاء العين والحاء في مخرجهما الحلقي، وأضافوا إلى عناصر التفخيم معلومات جديدة، ستكون موضع درس في هذه المطالعة.

١- استعلاء العين والحاء:

وقف القدامى على صفة الاستعلاء حين حديثهم عن موانع الإمالة، يظهر ذلك عند إمام النحاة سيبويه الذي عدّد حروف الاستعلاء حين حديثه عن الإمالة(٦). ثم اتخذت هذه الصفة سبيلها إلى درس الصفات لدى التالين من النحاة وعلماء التجويد، مع بقائها مذكورة في بحث الإمالة لدى هؤلاء. وحروف الاستعلاء حروف استعلت إلى الحنك الأعلى. فمعنى الاستعلاء أن تتصعّد في الحنك الأعلى(٧)، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق. وأما

(٤) وجهة نظر جديدة في مخرج الأصوات الستة" لغانم قدوري الحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد ٧٧ لعام ٢٠١٠)، ص٣٣، والأصوات في رواية حفص عن عاصم لأحمد مصطفى أبو الخير، ص ٣٨-٣٩، وأصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب، ص٢١٣-٢١٥، والتشكيل الصوتي لسلمان العاني، ص٤٩، ٥٧-٥٨، والتصريف العربي للطيب البكوش، ص٣٩.

(٥) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ص٨٨-٨٩، والوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، ص١٩٥، ١٩٦.

(٦) الكتاب لسيبويه ٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٧) ذكر (التصعّد) سيبويه في الكتاب،٤/ ١٣٠، وابن جني في سرّ الصناعة، ١/ ٦٢، وابن يعيش في شرح المفصل، ١/ ١٢٩، والقرطبي في الموضح، ص٩١، والعطار في التمهيد، ص٢٨١.

الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها. ومن معاني الاستعلاء ارتفاع اللسان بإطباق وعدم إطباق[٨]. والانخفاض أو الاستفالة انخفاض اللسان وعدم ارتفاعه. وهذه الحروف المستعلية السبعة (الطاء والظاء والضاد والصاد، وهي حروف الإطباق، والقاف والغين والخاء، وهي المستعلية فقط) تمنع الإمالة كما تقدّم.

وذكر بعض القدامى أنّ معنى الاستعلاء هو أنّ الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك، فينطبق الصوت مستعليًا بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق المذكورة، ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف، إنما يستعلي الصوت غير منطبق بالحنك[٩]. وهناك من ذكر أنّ الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقًا له، فينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى مواضعهن[١٠]. ونصّ المرعشي (ت١١٥٠هـ) على أن المعتبر في الاستعلاء استعلاء أقصى اللسان سواء استعلى معه بقية اللسان أو لا، وحروف وسط اللسان - وهي الجيم والشين والياء - لا يستعلي بها إلا وسط اللسان، والكاف لا يستعلي بها إلا ما بين أقصى اللسان ووسطه، فلم تعدّ هذه الأربعة من المستعلية، وإن وجد استعلاء اللسان، لأنّ استعلاءه في هذه الأربعة ليس مثل استعلائه بالحرف المستعلي[١١].

وهكذا يتبيّن لنا أنّ المعتبر في الاستعلاء لديهم هو أقصى اللسان، وليس

(٨) ذكر (ارتفاع اللسان) نصًّا الزمخشري في المفصل، ١٠/ ١٢٨، والأستراباذي في شرح الشافية، ٣/ ٢٦٢، والخضر اليزدي في شرح الشافية، ٢/ ١٠٠٣، وذكر (يعلو اللسان) القرطبي في الموضح، ص٩١.

(٩) الرعاية لمكي، ص٩٩، ومرشد القارئ لابن الطحان، ص٣٦، والموضح للقرطبي، ص٩١.

(١٠) الموضح للقرطبي، ص٩٠، والتمهيد للعطار، ص٢٨١.

(١١) جهد المقلّ للمرعشي، ص١٥١- ١٥٢.

ظهر اللسان، أو اللسان بكامله. وتعدّ كلمة المرعشي مهمّة جدًّا في تطوّر النظر في موضوع الاستعلاء، وفهم عناصر التفخيم، كما سيرد لاحقًا.

ومن حديث الإمالة أنّ الأستراباذي (رضي الدين ت٦٨٨هـ) لخّص مذاهب القرّاء في إمالة ما قبل هاء التأنيث، فقال: «إن المرويّ عن الكسائي (ت١٨٩هـ) إمالة ما قبل هاء التأنيث مطلقًا، سواء كان من حروف الاستعلاء أو لا، إلا إذا كان ألفًا كالصلاة. واختار أهل الأداء طريقًا آخر، وهو إمالة ما قبل الهاء، إلا إذا كان أحد الحروف العشرة، وهي قولك «حق ضغاط عص خظا» كالنطيحة والحاقة وقبضة وبالغة والصلاة وبسطة والقارعة وخصاصة والصاخة والموعظة. وذلك لأنّ «قظ خص ضغط» - حروف الاستعلاء السبعة- من هذه العشرة حروف الاستعلاء، والحاء والعين شبّهتا بالخاء والغين لكونهما حلقيين مثلهما[١٢]. وذكر مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) في كتابه (الكشف عن وجوه القراءات) اختيار القراء في الإمالة «فأما علة فتح ما قبل هاء التأنيث في اختيار ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) إذا كان قبل الهاء حرف من حروف الاستعلاء، أو عين أو حاء، فإنّ هذه الحروف حروف مستعلية في الحنك ومنها حرف (حروف) الإطباق ينطبق اللسان بالحنك مستعليًا عند حروفها، فكره ابن مجاهد أن ينحى بهذه الحروف نحو الكسرة بعد استعلائها وتصعّدها بالحنك»[١٣]. وذكر المهدوي (أحمد بن عمار توفي نحو سنة ٤٤٠هـ) في شرح الهداية وجه الاستعلاء في العين

(١٢) شرح الشافية لرضي الدين الأستراباذي،٣/ ٢٥. وانظر: "إمالة ما قبل هاء التأنيث في قراءة الإمام الكسائي، نظرات جديدة في ضوء علم الأصوات الحديث" لطارق محمود سلمان خوالدة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، د.ت.

(١٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي، ١/ ٢٦١-٢٦٢.

والحاء في حديثه عن مذهب الكسائي في الوقف على هاء التأنيث بإمالة الفتحة قبلها، وأن الحاء والعين مع حروف الاستعلاء تمنع الإمالة. «والعين والحاء إنّما منعتا من الإمالة لقربهما من حروف الاستعلاء، لأنهما أقرب حروف الحلق إلى حروف الاستعلاء، فجُعل لهما حُكم حروف الاستعلاء، وأيضًا فإنهما مشاركتان للألف في الحلق»(١٤). وجاء لدى ابن أبي مريم (نصر بن علي بن محمد المتوفى بعد ٥٦٥هـ) في حديثه عن حروف الاستعلاء السبعة، أنّ أهل المدينة ألحقوا العين والحاء بالحروف المستعلية، فصارت الحروف عندهم تسعة(١٥).

كما عرض مكي إلى أنهم - القرّاء - اختاروا الفتح فيما قبل هاء التأنيث إذا كان همزة أو هاء قبلها فتحة أو ضمة، أو ساكن غير الياء ليس قبلها كسرة، نحو «سفاهة والنشأة ومحشورة وبررة». كلّ هذا الاختيار فيه الفتح، وعلّة ذلك أنّ الهمزة والهاء من حروف الحلق، وحروف الحلق بعيدة عن الكسر لبعدها من الياء، قوية في الفتح، لقربها من الألف. وكذلك الحاء والعين فيما ذكرنا أولًا، فلما كانت كذلك قوي الفتح، وبَعُدَ الكسر، فتركت فتحتها، واختير ذلك فيها.. وكذلك اختيار القرّاء الفتح مع الراء، إذا انفتح ما قبلها، لأن الراء حرف تكرير، الفتحة عليه قوية، كأنها فتحتان. وقد أضاف قوم امتناع الإمالة مع الكاف، لقربها من القاف(١٦).

وشرح المالقي (عبد الواحد بن محمد ت ٧٠٥هـ)، وابن الجزري (محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ) مذاهب القرّاء في إمالة هاء التأنيث، وما قبلها

(١٤) شرح الهداية للمهدوي، ١/ ١٢٠-١٢١.

(١٥) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم، ١/ ١٧٤.

(١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي،١/ ٢٦١-٢٦٢.

في الوقف «فقد أمالها بعض العرب، كما أمالوا الألف. وقيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية. وحكى ذلك عنهم الأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، كما حكاها سيبويه عن العرب. وتأتي على ثلاثة أقسام:

فالقسم الأول متّفق على إمالته قبل هاء التأنيث، وما أشبهها، وهو خمسة عشر حرفًا يجمعها قولك «فجثت زينب لذود شمس».

والقسم الثاني الذي يوقف عليه بالفتح إذا كان قبل الهاء حرف من عشرة أحرف، وهي «حاع»، وأحرف الاستعلاء السبعة «قظ خص ضغط»، إلا أنّ الفتح عند الألف إجماع، وعند التسعة الباقية – من حروف الاستعلاء – على المختار.

أما القسم الثالث فيمال في حال ويفتح في أخرى، وذلك إذا كان قبل الهاء حرف من أربعة أحرف، وهي «أكهر»[١٧]. وهناك شرح لهذه الحروف الأربعة، منها ما ورد لدى المهدوي والمالقي. من ذلك أنه إنّما اعتُبر ما قبلهنَّ فجعلن يمنعن من الإمالة إذا سلمن من أن تكون قبلهن الكسرة والياء. وأمّا الهمزة فلأنها من مخرج الألف، فأشبهت الألف. وأمّا الكاف فهي قريبة من مخرج القاف، والقاف حرف استعلاء، فجعل لها حكم قريب من حكم القاف. وأما الهاء فهي شبيهة بالألف، فعملت عمل الألف. وأما الراء فإنها حرف مكرّر قبل هاء التأنيث، ولا تقع إلا مفتوحة، والفتح يتكرّر

(١٧) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ٢/ ٦٢-٦٦ (ط. دار الكتب العلمية)، وانظر تفصيلًا للكلام نفسه في الدرّ النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير للمالقي المتوفى سنة ٧٠٥ للهجرة. وجاء فيه أن هذا التقسيم اختاره الحافظ الداني ومكي وابن شريح منقولًا من ابن مجاهد، انظر: ص٤٦٢ – ٤٩٨ من قسم التحقيق.

فيها بتكرّرها فمنعت الإمالة[١٨]. وهكذا تصبح كلّ حروف الحلق (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء) مانعة من الإمالة لشبهها بحروف الاستعلاء وقربها من الألف. وكذلك الكاف، فقربها من القاف سوّغ إلحاقها بما تقدّم من حروف. والراء أيضًا، فالراء لها اختصاص في منع الإمالة بسبب ما فيها من قوّة التكرار. ولسيبويه كلمة جامعة في هذا الشأن: «والراء إذا تكلّمت بها خرجت كأنها مضاعفة، والوقف يزيدها إيضاحًا. فلما كانت الراء كذلك قالوا: هذا راشد، وهذا فراش، فلم يميلوا، لأنهم كانوا قد تكلّموا براءين مفتوحتين. فلما كانت كذلك قويت على نصب الألفات، وصارت بمنزلة القاف...»[١٩].

وهناك إشارة مهمّة إلى أثر العين والحاء في التفخيم، فقد نقل المرعشي عن مصادر التجويد تحذير القارئ من أن يسبق لسانه إلى تفخيم الألف إذا وقعت بعد العين، نحو كلمة «العالمين»، فالواجب تلطيف العين وترقيق الألف. وبعض الناس يفخّمونه وهو خطأ، كما يقول. وكذلك إذا أتى بعد الحاء ألف وجبت المحافظة على ترقيقها، نحو قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ و﴿ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ وشبهه[٢٠]. وما ذلك إلا لما تحمله العين والحاء من أثر الاستعلاء المولّد للتفخيم. وذكر الدكتور غانم قدوري الحمد أنّ بعض العلماء أضاف إلى الحروف المستعلية الحاء والعين، كما ورد قول بعضهم: ومنهم من ألحق العين والحاء بالمستعلية من القرّاء دون النحاة. ونقل

(١٨) شرح الهداية المهدوي، ١/ ١٢١-١٢٢، والدرّ النثير للمالقي، ص٤٩١ وما يليها، وانظر: النشر في القراءات العشر، ٢/ ٦٣-٦٦.

(١٩) الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٣٦.

(٢٠) جهد المقل للمرعشي، ص٢٩٢، ٢٩٤.

عن الأهوازي (ت٤٤٦هـ) أنّ «الحروف الموانع تسعة: الحاء والخاء والعين والغين والصاد والضاد والطاء والظاء والقاف. وأضاف أنه لمّا كانت جميع حروف الاستعلاء من المانعة للإمالة فربّما ألحق بعضهم الحاء والعين لمشاركتهما حروف الاستعلاء في أنها تمنع الإمالة. ويعلّق الحمد على ذلك بقوله: ولكن تعريف الحروف المستعلية لا ينطبق على العين والحاء، إذ ليس للّسان دور في إنتاجهما، ولأنّ أقصى اللسان لا يستعلي معهما نحو الحنك[٢١]. وسنرى أن استعلاء أقصى اللسان وحده ليس شرطًا وحيدًا لتوليد التفخيم.

ونقل الدكتور عبد البديع النيرباني من مصادر القراءات أنّ بعضهم أضاف الحاء والعين إلى حروف الاستعلاء، فصارت تسعة، كذلك أُضيفت الألف فأصبحت عشرة. وأما الحاء والعين فلِمشاركتهما الألف في الحلق، وهما يفتحان عين (يفعَل)، والماضي (فَعَلَ) إذا كانتا لامًا من الفعل، نحو: ذبحَ يذبَح، ويفتحان أنفسهما إذا كانتا عينًا، نحو فعَل يفعَل، ورحَل يرحَل[٢٢]. كما نقل خبر قراءة الكسائي بإمالة الفتحة قبل هاء التأنيث في الوقف لشبهها بألف التأنيث لفظًا ومعنى، فإذا وصل فتح، لأنها تعود تاء، ولا شبه بينها وبين الألف، وروي عن العرب: أخذت أخذه، وضربت ضربه (بالإمالة)[٢٣]. فلمّا تمكّن الشبه في الوقف بالسكون أجراها الكسائي

(٢١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم الحمد، ص٢٩١-٢٩٢، وأصحاب الإمالة من القراء هم أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ)، والكسائي (ت١٨٩هـ)، وورش (عثمان بن سعيد ت١٩٧هـ). انظر: الدرّ النثير والعذب النمير، ص٣٩٠.

(٢٢) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات لعبد البديع النيرباني، ص٧١، وشرح الهداية المهدوي، ١/ ١٢٠-١٢١.

(٢٣) الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٤٠.

مجرى الألف في الوقف خاصة، فأمال ما قبلها من الفتح، فقرّبه من الكسر، كما يفعل بألف التأنيث.. فإن وصل فتح لأنها تصير تاء[٢٤].

وهكذا يتبيّن أنّ هناك اتجاهًا لدى بعض القرّاء ومصنّفي القراءات لجعل العين والحاء ملحقة بحروف الاستعلاء السبعة، لِما لُوحظ فيهما من أثر للتفخيم، وأنّ هناك مِن هؤلاء مَن ألحق الهمزة والهاء بها، وجعلها جميعًا من موانع الإمالة، إضافة إلى الألف التي أجمعوا على منع الإمالة عندها في هاء التأنيث. كذلك أضاف هؤلاء الراء والكاف، كما تقدّم.

٣- التفخيم بين الاستعلاء والتحليق:

التفخيم وصف لوقع خاصّ على السمع، أي وقع غليظ أو سمين أو فخم. وحروفه هي حروف الإطباق والاستعلاء، ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة. ومن خصائص الحروف المفخمة الأساسية أنها تمنع الإمالة بجوارها، أي تمنع جنوح الفتحة إلى الكسرة[٢٥]. فالتفخيم انحصار الصوت بين اللسان والحنك، وهو نظير الاستعلاء والإطباق، والفرق بين الاستعلاء والإطباق، وبين الترقيق والتفخيم أنّ الاستعلاء يلزم حروفه، فلا يزول عنها، وكذلك الإطباق -فهي دائما مفخمة- بخلاف الترقيق والتغليظ، فإنهما يتعاقبان على الراء واللام كالإمالة والتفخيم في الألف[٢٦]. ووصف ابن الجزري حروف الإطباق والاستعلاء بأنها حروف التفخيم على الصواب[٢٧]. فالتفخيم والإطباق والاستعلاء من واد واحد[٢٨]. ويدلّ هذا

(٢٤) الجوانب الصوتية للنيرباني، ص١٩٤-١٩٥.

(٢٥) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو، وقارن بمرشد القارئ لابن الطحان، ص٥٥-٥٦.

(٢٦) الموضح في التجويد للقرطبي، ص١١٠.

(٢٧) النشر لابن الجزري، ١/ ٢٠٢-٢٠٣ (ط.المكتبة التجارية الكبرى بمصر).

(٢٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم الحمد، ص٢٩٣. واصطلح القرّاء على =

على أنّ الحاء والعين تُعدّان مفخّمتين لإلحاقهما بحروف الاستعلاء المفخّمة حكمًا. لكنّ كانتينو يرى أنّ هذين الحرفين لم يكونا في العربية الفصحى مفخّمين، ولا من الحروف التي تمنع إمالة الفتحة المجاورة لها. أما في العربية الدارجة فيجب التمييز بين اللهجات التي الحاء والعين فيهما مفخّمان في الأصل وتمنعان الإمالة، وبين اللهجات التي يجوز فيها تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما، وذلك حسب الجوار الصوتي. واستشهد بكلمات فيها عين أو حاء مفتوحتان قبل هاء التأنيث في الوقف[٢٩]. ويبدو أنّ كانتينو لم يطّلع على مذاهب القرّاء والنحاة في إمالة ما قبل هاء التأنيث. والإمالة فيها، ومنعها من كلام العرب، كما تقدّم، وكلّ يعضّده السماع.

وقد ظهر في الدرس الحديث تدقيق في الحركات المولِّدة للتفخيم. فقد لاحظ عدد من الباحثين المحدثين أنّ للحلق وما يحدث فيه أثرًا مهمًّا في هذا الصدد. فبرجشتراسر يرى أنّ الاستعلاء رفع لأقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك. ويزاد على ذلك تقلّص ما في الحلق وأقصى الفم[٣٠]. ويرى كانتينو أنّ انقباض عضلات وسط الحلق أدخل في الحلق عند التفخيم منه عند الترقيق. كما عدّ كانتينو الحاء والعين من الحروف الأدنى حلقية، أي التي تقرع بتضييق أدنى الحلق، وبانقباض جداره[٣١]. ويرى يوسف غازي أنّ الطنين – في العربية – يأتي في آخر الفم عامة، أي في الحنجرة والبلعوم، وهو أمر يؤدي إليه ما يعرف بالتفخيم (Emphase)[٣٢]

= إطلاق التفخيم أيضًا في الراءات، والتغليظ في اللّامات. انظر النشر، ٢/ ٦٨، ٨٣.

(٢٩) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو، ص١١٧ – ١١٨.

(٣٠) التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، ص٢٦.

(٣١) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو، ص١١٨.

(٣٢) مدخل إلى الألسنية ليوسف غازي، ص١٣٥.

وفي أساسيات علم الكلام أنّ الأصوات الحلقية تحدث بتضييق في جدران الحلق بسبب تراجع اللسان وارتفاعه قليلًا في الحلق[٣٣]. أما عبد العزيز حليلي فيرى أنّ الإطباق من حيث النطق هو تحرّك بعض أعضاء جهاز النطق نحو الحلق، وارتفاع مؤخرة اللسان ممّا يؤدي إلى اتساع الحجرة الرنانة داخل الفم[٣٤].

والخلاصة أنّ نطق العين والحاء يكون مصحوبًا بانقباض في الحلق، وذلك باقتراب مؤخرة اللسان (أي أقصاه) من الجدار الخلفي للحلق نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة، ويولّد هذا النطق ظاهرة التحليق (phariyngealizuation)[٣٥].

ويميّز العلاقة الدكتور تمام حسّان بين الطبقية والإطباق. فالطبقية تدلّ على النطق في مخرج الطبق (كالخاء والغين وتلحق بهما القاف). أما الإطباق، أو ما يسمّى في علم الأصوات (velarization)، فيدلّ على ارتفاع مؤخر اللسان باتجاه الطبق بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبق، كنطق الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي حروف الإطباق لدى القدامى. وقد عبّر النحاة والقرّاء الأقدمون عن الطبقية والإطباق كليهما باصطلاح الاستعلاء، وقصدوا بذلك علوّ مؤخر اللسان في اتجاه الطبق سواء اتّصل به، كما في الطبقية، أم لم يتصل كما في الإطباق. وكلا الإطباق والطبقية ينتج بعض القيمة التفخيمية. ولكنّ التفخيم لا يتمّ إلا إذا انضمّ التحليق إلى

(٣٣) أساسيات علم الكلام لبوردن وهاريس، ص٢٤١، والكلام للمترجم محيي الدين حميدي.

(٣٤) اللسانيات العامة واللسانيات العربية لعبد العزيز حليلي، ص٦٤.

(٣٥) الأصوات ووظائفها لمحمد منصف القماطي، ص٧٣، ومعجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي ذكر أنّ (pharyngealization) يعادل التحليق أو التفخيم. وهو نطق الصوت مصحوبًا بتضييق في البلعوم ممّا ينشأ عنه تفخيمه. انظر ص٢٠٨.

الإطباق أو الطبقية، والتحليق يدلّ على سحب اللسان إلى الخلف في نقطة معينة، وهو غير النطق الخلفي الذي توصف به العين والحاء. ويؤكد تمام حسّان أنّ الإطباق ليس السبب الأول والأخير في ظاهرة التفخيم، بل هو أحد عنصري هذه الظاهرة. أما العنصر الآخر – كما تقدّم – من عناصر التفخيم فهو التحليق. فالتفخيم إذن ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تغيّر من شكل حجرات الرنين بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المفخمة(٣٦). ولم يتعرّض للكاف التي صنّفها في المخرج الطبقي بخصوص استعلائها وتفخيمها المتوقّعين من إدراجها في المخرج الطبقي بحسب التصنيف الذي اقترحه. كما لم يعرض لتفخيم العين والحاء اللتين تقتربان من التحليق كما يُفهم مِن كلامه بخصوص ذلك.

ويرى محمد منصف القماطي أنّ الحاء والعين تكاد تنفرد بهما اللغة العربية، وإن كانا صوتين فطريين. فكثير من الناس يشوب أصواتهم إشباع بالحاء أو العين، وهو ما يُعرف لغويًّا بظاهرة التحليق. ويحيل إلى هارتمان (Hartmann)(٣٧). ودرس سلمان العاني أصوات العربية الفصحى في العصر الحديث، وبيّنت رسوم صور الأشعة ارتفاع أقصى اللسان ووسطه باتجاه الحنك الأعلى، أي الطبق، في نطق الحاء والعين. وأن الحاء أقرب إلى مقدّم

(٣٦) مناهج البحث في اللغة لتمام حسّان، ص١١٥-١٢٥ ويقول: الطبقيات من أصوات الاستعلاء التي اعترف بها العرب، أي التي يتمّ نطقها في الطبق هي أصوات الخاء والغين والقاف مع توسّع في مدلول الطبق في حالة القاف حتى يشمل اللهاة باعتبارها قصوى أجزائه. انظر مناهج البحث، ص١٢١. ثم وصف الكاف بأنه صوت طبقي شديد مهموس مرقّق يتمّ نطقه برفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق. انظر، ص١٢٣ – ١٢٤.

(٣٧) الأصوات ووظائفها لمحمد منصف القماطي، ص٧٣، وكتاب هارتمان هو معجم اللغة واللسانيات (بالإنجليزية). انظر: المراجع الأوربية في كتاب القماطي، ص٢٣٢.

الفم من العين غالبًا. وأنّ الحاء المفتوحة ترتفع باتجاه وسط الحنك زيادة على العين المفتوحة مع قرب العين من جدار الحلق أكثر من الحاء[٣٨]. وانتهى العاني إلى ملاحظة حاسمة في هذا السياق، هي «أنّ المصطلح الذي شاع استخدامه بين اللغويين دلالة على التفخيم هو الإطباق (velarization). ولكن يتّضح بعد فحص هذه المجموعة المسماة بالساكنات (الصوامت) المطبقة أكوستيكيًّا وفسيولوجيًّا أنّ المنطقة المنشغلة بإحداثها ليست الطبق فقط، لكنها منطقة الحلق. وعلى هذا يبدو أنّ وصفها بالأصوات الحلقية (pharyngealized) أنسب من وصفها بالأصوات المطبقة (velarized). وهذا الكلام مبني على التحليل المخبري الذي دلّت صوره على أنّ الصوامت المفخّمة يرتفع معها أقصى اللسان ويتراجع باتجاه الحلق كثيرًا[٣٩]. وتشير هذه الآراء إلى أنّ ظاهرة التحليق تتقدّم على الإطباق في توليد التفخيم، وأنّ الحاء والعين تقتربان مِن التحليق، زيادة على مخرجهما الحلقي، وما فيه من تقلّص ما في الحلق وأقصى الفم، وانقباض لعضلات وسط الحلق أشدّ عند التفخيم منه عند الترقيق. وقد تقدّم الكثير من الرأي الفاحص لحركات الحلق في أثناء الإطباق والاستعلاء المولّدين للتفخيم.

ونخلص ممّا تقدّم إلى أن إلحاق العين والحاء بحروف الاستعلاء لدى بعض القرّاء ومصنّفي التجويد له سنده الواضح ممّا استجدّ في الدرس الصوتي حديثًا نتيجة استعمال التقانات المختلفة في مخابر الأصوات الأجنبية. ويدلّ اتجاه قدامى العلماء في درس موانع الإمالة على تعمّق لكلام العرب، واستناد إلى السليقة. ولذلك نقترح على أهل الذكر من أصحاب الاختصاص أن يعتدّوا

(٣٨) التشكيل الصوتي في اللغة العربية لسلمان العاني، ص١٠٩-١١١.

(٣٩) المرجع السابق، ص٧١، ٨٨-٨٩.

في موانع الإمالة رأي المانعين لها، إن كان قبل هاء التأنيث حرف من هذه الحروف (حروف الاستعلاء) مع العين والحاء. أما الهمزة والهاء والألف فلها من توليد التفخيم نصيب يأتي من المخرج الحلقي وفراغاته المرنانة. وأما الكاف التي صنّفت حديثًا في المخرج الطبقي غالبًا، فلها منه – مع قربها من القاف – ما يولّد تفخيمًا ما. وكلّ هؤلاء لا بدّ فيه من التحليق كي تكتمل فيه عناصر التفخيم. أما قراءة الكسائي بإمالة الفتحة قبل هاء التأنيث مع وجود حروف الاستعلاء كلها، فلا تلغي كون هذه الحروف مستعلية بإجماع القرّاء والنحاة. وكذلك الشأن فيما يتّصل بالعين والحاء، ممّا أخذ به واختاره جلّة القرّاء، وهم من أهل العربية في الصميم.

* * *

المصادر والمراجع

أ- الكتب:

- أساسيات علم الكلام لبوردن وهاريس، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، حلب وبيروت، د. ت.
- الأصوات في رواية حفص عن عاصم لأحمد مصطفى أبو الخير، الدار الفنية، القاهرة، ط. أولى ١٩٨٩م.
- أصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب، القاهرة، ط. أولى ١٩٦٣م.
- الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة ١٩٧١م.

- الأصوات ووظائفها لمحمد منصف القماطي، دار الوليد، طرابلس (الغرب)، ط. ثالثة، ٢٠١٠م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) لسلمان حسن العاني، ترجمة ياسر الملاح ومراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط. أولى، ١٩٨٣م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للطيب البكوشي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله بتونس، ط. ثالثة، ١٩٩٢م.
- التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر، ط. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- التمهيد في معرفة التجويد للهمذاني العطار، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ط. أولى ٢٠٠٠م.
- جهد المقلّ للمرعشي الملقب بساجقلي زاده، دراسة وتحقيق سالم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، د. ت.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات لعبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط. أولى، ٢٠٠٦م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٦م.
- الدرّ النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير للمالقي (ت٧٠٥هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط. أولى، ٢٠٠٦م، (قسم التحقيق).
- دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المعارف، دمشق، ط. أولى، ١٩٧٣م.

- سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط. أولى، ١٩٨٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (رضي الدين المتوفى سنة ٦٨٨هـ)، مع شرح شواهده لعبدالقادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣هـ)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف و محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٣٥٦-١٣٥٨هـ.
- شرح شافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط للخضر اليزدي (أتمّه سنة ٧٢٠هـ)، دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط. أولى، ٢٠٠٨م.
- شرح المفصل لابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، د. ت.
- شرح الهداية للمهدويّ (أحمد بن عمار المتوفى نحو سنة ٤٤٠هـ)، دراسة وتحقيق حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم بإيران، ١٤٠٥هـ.
- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي بن محمد المعروف بابن أبي مريم، المتوفى بعد سنة ٥٦٥ للهجرة، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجّدة، ط. أولى، ١٩٩٣م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- اللسانيات العامة واللسانيات العربية لعبد العزيز حليلي، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط. أولى، ١٩٩١م.
- مدخل إلى الألسنية ليوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ط. أولى، ١٩٨٥م.

- مرشد القارئ إلى معالم المقارئ لابن الطحان السماتي، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى، ١٩٩٩م.
- معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، ط. أولى ١٩٨٢م.
- الموضح في التجويد للقرطبي (عبد الوهاب بن محمد المتوفى سنة ٤٦١ للهجرة)، تقديم وتحقيق غانم قدّوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ط. ثانية، ٢٠٠٩م.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، قدّم له علي محمد الضباع، وخرّج آياته زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ثالثة، ٢٠٠٦م.
- النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- الوجيز في فقه اللغة لمحمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، بيروت، د. ت.

ب- البحوث:

- «إمالة ما قبل هاء التأنيث في قراءة الإمام الكسائي، نظرات جديدة في ضوء علم الأصوات الحديث» لطارق محمود سلمان خوالدة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الثاني من العدد الثالث والثلاثين، د.ت.
- «علم الأصوات عند سيبويه» لأرتور شاده، نشر صبيح التميمي، مجلة آداب الرافدين، العدد (٥٨) لعام ٢٠١٠م (نسخة من الشابكة).
- «وجهة نظر جديدة في مخرج الأصوات الستة» لغانم قدّوري الحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٧٧)، لعام ٢٠١٠م.

* * *

دِيوَانُ راجح الحلي ﴿ت ٦٢٧هـ﴾ في تحقيقين نظراتٌ نقديَّةٌ... ومُستدرَكٌ

أ. م. د. عباس هاني الچراخ(*)

في مدينة الحلَّة، وتحديدًا في سنة ٥٧٢هـ وُلِدَ أبو الوفاء شرف الدين راجح بن إسماعيل بن أَبي القاسم بن الحسن الأسديّ، وانتقلَ إلى بغدادَ في عَهدِ المُستَضيء العبَّاسيِّ، ومَا لبثَ أَن اتَّجَهَ صَوبَ بلاد الشام قاصدًا بلاط الأَيُّوبيِّين، حتَّى وَفَاتِهِ في دمشق سنة ٦٢٧هـ.

تَرجَمَ لهُ المؤرِّخُونَ والأدباءُ القدماءُ، وأَورَدُوا في مُصَنَّفَاتِهم - بعدَ التَّعريفِ بهِ - قَصائدَ أَو قِطعًا مِن شِعرهِ، نَقلًا عَن دِيوَانِهِ.

وقفنا في هذا البحث على نَشْرَتَينِ جَامِعِيَّتَينِ للديوانِ، وحاولنا الموازنة بينهما، ورصد وُجُوه الخلاف، ولا سيَّما ما كانَ لصيقًا بالمآخذ والهفوات، في فِقَرٍ مُحدَّدة الموضوع، ثمَّ كان المُستدرك عليهما.

في العصر الحديث كتبَ المرحومُ د. جواد عَلْوَش بَحثًا عَنِ الشَّاعرِ، وحِين عَرَجَ إِلى دِيوَانِهِ قَالَ: «من المؤسف جِدًّا أَنْ يضيع ديوان راجح فلا نجد لهُ أثرًا»(١).

(*) رئيس تحرير مجلة (المحقِّق) المحكَّمة - العراق.

ورد إلى المجمع بتاريخ ٧/ ٩/ ٢٠٢٢م.

(١) أدباءُ حِلِّيُّون ص١١١، وكانَ قد نَشَرَ الجُزءَ الخَاص بالشاعرِ - في هذا الكتاب - بمجلة =

ويبدو أنَّ د. عَلْوَشَ ذكرَ هذا مِن غَيرِ أَنْ يَطَّلعَ على ما وَرَدَ في كُتُبِ الفهارس وقتذاك، فَقد أشارَ بروكلمان[٢] إلى نُسخَةٍ تَقبعُ في مكتبة بريل أول ١٣ بهولندا، وقد بِيعَتْ إلى مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتَّحدة الأَمريكيَّة سنة ١٩٧٥م[٣]، وتَقَعُ في ٥٠٠ صفحة، نَسَخَها عليُّ بنُ تاجِ الدِّينِ السنجاريّ الحَنفيّ[٤]، وأُخرَى في الخِزَانَةِ الملكيَّة بالرِّباط بالرَّقمِ ٣٩٥٢، ناقصة الأول والآخر، وهي في ٢٥٠ صفحة.

وكانَ من الضَّروريِّ أَنْ يظهرَ الدِّيوانُ مُحَقَّقًا، وقد تَمَّ هذا بالفعلِ، إذْ حُقِّقَ مَرَّتَين - بالرجوعِ إلى تينِكَ المخطوطتين - على النَّحوِ الآتي:

١- ديوان راجح الحليّ، تحقيق ودراسة أميرة عبد الله محمود، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٨٣٦ص.

وهو في قسمين: الأول الديوان مُحَقَّقًا على المَخطُوطَتَينِ في ٢٠٨ قِطَعٍ، وانتَهَى إلى ص٧٠٥، وكانَ القسمُ الثاني (مُلحقًا) في خَمسِ صحائف، وقد حَوَى أربعَ قِطَعٍ في ٤٥ بيتًا. ثُمَّ المصادر والمراجع التي كانتْ ١٦٦ مَصدَرًا ومَرجعًا.

وقد بلغَتْ أَبيَاتُ الشَّاعرِ - في نَشرَتِهَا - بِإحصَائي - ٨٦١٢ بَيتًا[٥].

= (الأستاذ) للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٠، ١٩٦٢م، ص٣٠٢-٣١٧.

(٢) تاريخ الأدب العربيّ ٥/ ٥١.

(٣) يُنظر: ديوان راجح الحلي (الدوكالي) ٩٠.

(٤) فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون ١/ ٣٠-٣١، رقم (٤٣)، وفيه أنَّ لقبَهُ «السخاوي»، وهو تحريفٌ.

(٥) ذَكَرَ د. مجاهد مصطفَى بهجت - في كِتَابِهِ: المكتبة الشعرية في العصر العباسيِّ ص٢٩٩ - أنَّ الديوان يقع في ٨٦٧١ بَيتًا، وهذا غيرُ صَحيحٍ؛ إذْ لا يَصِلُ المجموعُ إلى الرَّقمِ الذي أَثبَتَهُ، حتَّى في حالةِ إحصَائِنَا أَبياتِ الواسطيّ الثَّلاثة الواردة في مقدِّمَةِ الدِّيوانِ، مع قصيدة محمد بن جعفر الربعيّ الحائيَّة الواقعة في ١٣ بيتًا.

وتَسبقُ الدِّيوَانَ دِرَاسَةٌ ضَمَّتْ ثلاثةَ فُصُولٍ، في ٨٨ صحيفة: الفصل الأول في سيرة الشاعر، ص٦-١٨، وكان الفصل الثاني عن أَغراضِ شِعرهِ، ص١٩-٦٤، والفصل الثالث (ملامح فنية)، ص٦٥-٨٣، ثُمَّ مقدمة التَّحقيق، ووَصْف نُسخَتي الديوان، ص٨٤-٩٢.

٢- ديوان شرف الدين الحلِّيّ، أبي الوفاء راجح الحلِّيّ (ت ٦٢٧هـ)، تحقيق ودراسة د. الدوكالي محمد نصر، كليَّة الدَّعوة الإِسلامِيَّة، طرابلس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٤م. وقع في ٨٣٨ص.

وكان في قِسْمَينِ كَبيرَينِ؛ الأَوَّل (القسم الدراسي)، وضمَّ أربعة فصول: الفصلُ الأولُ: عصر الشاعر، والثاني: حياته، والثالث: شعره، والرابع: المخطوطة وتحقيقها، ثُمَّ قائمة المصادر والمراجع، وكانت ١٠٦ كُتُبٍ، وصورٌ من المخطوطتَين، وينتهي هذا القسمُ بالصَّحيفَةِ ٩٧.

والقسم الثاني (القسم التحقيقيّ)، وحَوَى ٢٠٨ قطعة، وشاءَ أنْ يَجعَلَهُ في جُزأَين، ثُمَّ جاءَ (ملحق) للأَشعَارِ التي لم تَتَضَمَّنهما المخطوطتَانِ.

وبلغَتْ أبياتُ الشَّاعرِ - في نَشرَتِهِ - بِإِحصَائي - ٨٧٦٤ بَيتًا.

ثالثًا: عَرَفتُ هذينِ «التحقيقين»[٦] قبل نحو ثَلاثةِ عُقُودٍ، وَكُنتُ قد أَورَدتُ التَّحقيقَ الأَوَّلَ في بَعضِ أَعمَالي الببليوغرَافيَّة[٧]، أمَّا التحقيق الثاني

(٦) اطَّلعتُ في الشابكة على خبر هو: «تحقيق ديوان أبي الوفاء راجح شرف الدين الحليّ، أطروحة دكتوراه تَقَدَّمَ بها حسن جاد حسن، جامعة الأزهر ١٩٧٩م، ٧٣٤ ص»، فكَتَبتُ من فوري إلى أَخي د. عبد المجيد الإسداويِّ لتصويرها، وبعد شهرين أفادني بِأَنَّهُ كلَّفَ د. إبراهيم صبري راشد بالأَمرِ، وكانَ جَوابُهُ: إنَّ الخَبَرَ غير صحيح بالمرة، فالأُطروحَةُ كانتْ عن ابن زيدون، مكتوبة بِخَطِّ يَدِهِ، وتاريخها سنة ١٩٤٦م، ولا علاقة لها براجحٍ الحليّ.

(٧) يُنظر: نشر الشِّعر وتحقيقه في العراق ٥١، معجم الدواوين والمجاميع الشعرية في العراق ٢٠١.

فقد اقتَنَيتُهُ، وعلَّقتُ عليهِ جُملةَ مَلاحِظَ في وَقتِهِ.

ويُلاحظُ أنَّ عَدَدَ الصَّفَحَاتِ قَريبٌ في كليهما، ولكنَّ الخلافَ يكمنُ في قسم الدراسة وهوامش التَّحقيق(٨)، وعدد الأبيات في الصَّحيفَةِ الوَاحِدَةِ(٩)، عندهما.

وبدَا لي أَنْ أَكتُبَ ما عَنَّ لي مِن مُلاحظاتٍ ونَظَرَاتٍ نقديَّةٍ على هاتينِ النَّشرَتَينِ مَعًا؛ لِتَكونَ الفائدةُ أَكبَرَ؛ ولِيُدرِكَ القَارئُ أَيُّ التَّحقِيقَينِ كانَ أَكثَرَ التِزَامًا بِقَوَاعِدِ تَحقِيقِ النُّصُوصِ؟ وأيهما الأَولَى بِالاعتِمَادِ عليهِ في دِرَاسَةِ سِيرَةِ الشَّاعِرِ وشِعرِهِ في ضَوءِ هذهِ الفِقَرِ المَسُوقَةِ هُنَا؟:

أَوَّلًا - الدِّرَاسَةُ:

في الدراسةِ بَونٌ شَاسِعٌ بينَ ما فعلَهُ د. الدوكاليُّ، وما قَامَتْ بهِ أَميرة في كتابَةِ (الدراسة) التي تسبق الديوان، فالأَوَّلَ وَضَعَ كلمَةَ (الدراسة) على غِلافِ عَملهِ جَنبًا إلى جنب مَعَ (التَّحقيق)، ولكنَّ نظرةً سريعةً تُبَيِّنُ أَنَّ ما كَتَبَهُ كانَ سَريعًا، وإِنْ قيلَ: إِنَّ سَبَبَ ذلك يَعودُ إلى كونهِ في المغربِ العَربيِّ البعيدِ عَن المشرق، حيث العراق و«الحلة»، فهذا لا يُعفيهِ مِنَ الكلامِ المُقتَضَبِ والسَّريعِ الذي عَقَدَهُ عن (الصور والأخيلة)؛ فقد أَسرَفَ في إثباتِ الشواهد الشعريَّةِ، وليسَ في مَبحَثِ (الحليّ في ميزان النقد) ص٨٣-٨٤ أيّ تحليل علميّ أو بحثٍ أو مناقشة، سِوَى نَقْلِ آرَاءِ القُدَمَاءِ في الشَّاعِرِ وشِعرِهِ، وتَرَكَ مصادرَ مهمةً مبذولةً، كانَتْ تُفِيدهُ لو رَجَعَ إليها، وأهملَ الفهارسَ النافعَةَ، وخاصة فهرس القوافي.

فالدكتور الدوكاليُّ لمْ يَهتَم بقسمِ الدِّرَاسِةِ أَو يَفِهِ حَقّه على الإطلاقِ.

أَمَّا أميرة فكانَتْ في عملها على خِلَافِهِ تَمامًا، فقد أَوفَتِ المُرَادَ في

(٨) قد نجدُ ثلاثةَ هوامش في سطرٍ واحدٍ عند الدوكاليّ، منها ص٣١١.

(٩) معدَّل الأبيات في كل صفحة عند الدوكالي (٢٧) بيتًا، وعند أميرة (١٨) بيتًا.

الكتابةِ عن سيرة الشَّاعرِ، أَو قسم الدراسة الموضوعية والفنيَّة، ومِن ثَمَّ كانت مصادرها التي رَجَعَتْ إليها غنيةً، وكانَ جهدُ المُشرفِ د. ناظم رشيد وَاضِحًا وكبيرًا في تحقيقِ الدِّيوَانِ وإرشاداتهِ للطالبة، ابتداءً مِن مُقَدِّمَتِهِ وفُصُولِ دِرَاسته، وطريقة كتابة تراجم الأَعلام والتَّعريف بالمواضع، وما إلى ذلك، حتَّى صُنع فهارسه وبنائها.

وسَنَذكُرُ أَمثلةً على هذا التَّباينِ.

عند الحَدِيثِ عَن اسمهِ فَاتهما أَنَّهُ وَرَدَ بصيغةِ: (إسماعيل بن راجح) في: إنسان العيون ٣٠٤، وهو خَطَأٌ وَاضحٌ مِن غَيرِ شَكٍّ، ولكن كان من الضروريّ الرجوع إليهِ، وبيان خَطَئِهِ.

وقالتْ أميرةُ عِندَ حَدِيثِهَا عَن وَفَاتِه – ص١٧ –: إنَّ المصادرَ أجمعت على أَنَّهُ تُوُفِّيَ في ليلة السابع والعشرين من شعبان عام ٦٢٧هـ[١٠].

واكتفَى الدوكاليُّ – ص٥٨ – بذِكْرِ السنة فقط.

قُلتُ: ذَكَرَ ابنُ العديم (ت ٦٦٠هـ) أَنَّهُ تُوُفِّيَ في يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان[١١]، أَمَّا ابنُ جماعة (ت ٧٦٧هـ) فقال: إنَّ ذلكَ في الرابع عشر من الشهر نفسه[١٢].

– وفي مَبحَثِ وَصْفِ المَخطوطتين، قالتْ عن نسخة برنستون: «إنها علق نفيس وتحفة جديرة بالحفظ، لأَنَّها النسخةُ الوحيدةُ التي وصلت إلينا كاملة لا نقص فيها...»، ص٨٧، وسنرَى أنَّ هذا الكلامَ غَيرُ دَقِيقٍ.

---

(١٠) كرَّرتْ أميرة هذا الكلام في بحثها المنشور بمجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، ع ٢٨، ٢٠١٦م، ص٣٢٩، وهو جزءٌ من الدراسة التي قَدَّمَتْها للديوانِ، وليس في هذا التكرار جديدٌ، بعدَ ٣٩ سنة!

(١١) بغية الطلب ٨/ ٣٥٤٥.

(١٢) التعليقة ٩٦ ب.

ووَصَفَتْ نسخةَ الرِّبَاطِ بِأَنَّهَا «لا قيمة لها لما منيت به من العيوب التي قدحت بها، وأصبح وجودها بين أيدينا غير ذي فائدة، فلم نستفد منها في معالجة ما بدا غير مستقيم في النسخة الأولى، فاستبعدناها» ص٨٩.

أما الدوكاليُّ فَوَصَفَ المخطوطة المغربية أولًا، ورَمَزَ لها بحرف (م)، وأشار إلى أنها تبدأ بِقَصِيدَةٍ مطلعها:

غدت رشقات طرفك وهي داء فهل رشفات فيك لها دواء؟

وقالَ: إِنَّها ليستْ في نسخة برنستون، وهذا أَمرٌ مُهِمٌّ لم تذكرهُ أميرة.

ثُمَّ انتَقَلَ - ثانيًا - إلى النسخة الثانية، فَوَصَفَهَا بخِلافِ ما وَصَفَتْهَا أميرة، إِذْ قال: «ويلاحظ على هذه النسخة كثرة الأخطاء الإملائية والنَّحويَّة ممَّا يحتاج إِلى جهدٍ في تَصحِيحِهِ، وإدراك هذا الخطأ الذي يُوقِعُ أَحيانًا في كثيرٍ مِنَ اللَّبس. هذا إِلى بَعضِ الأَلفاظ المطموسة بحكم الزمن، وقد كانَ النَّاسخُ يُعنونُ القَصَائِدَ بِخَطٍّ مُغَايرٍ لأَبياتِ القصيدة، وإِذا أخطأ في كتابةِ كلمة ما وَضَعَ فَوقَهَا خَطًّا وصَحَّحَها في الهامش، ومع أَنَّ هذهِ النسخة قد استوعبت حروف الهجاء وزَادت على ضعف النسخة الأولى، فإنها لم تستوعب كل شعر الحليّ»!

وقد اتَّفقَ المُحقِّقانِ على جَعْلِ نسخة برنستون هي (الأصل) في التَّحقيقِ، وقَامتْ أميرة بإثبات أرقامها داخل عضادتين، ولكن الدوكاليّ أهملَ ذلكَ الأَمرَ المُهِمَّ.

- مُعظم تحقيق د. الدوكاليّ غيرُ مضبوط بالشكل، فضلًا عن خلوِّهِ من علامات الترقيم في الأبيات، وهي ضروريةٌ كما هُوَ مَعلُومٌ.

- أَطالَ د. الدوكاليُّ في الشَّروحِ، ففي ص١٨٩ أوردَ قصَّة أبي نُوَاس

معَ الخَصيبِ، وفي ص٣٨٢ أَورَدَ المَثَلَ «وعند جهينة الخبر اليقين»، وكان يكفيهِ سَطرٌ واحدٌ، أو الإحالة على أَحَدِ كُتُبِ الأَمثَالِ.

وفي ص٣٧٦ عرَّفَ كلمةَ (داريـن)، ولكـن هـذا التعريـف أَكَـلَ سـبعةَ أَسطُرٍ، عدا مصدره وهو (معجم البلـدان)، وكـان فـي إمكانِـهِ أَنْ يَكتُـبَ فـي ذلكَ سَطرًا فقط.

وأكتفي بهذه الملاحظات(١٣).

تفسير المفردات:

يُلاحظُ ما يأتي:

– عندما تردُ الكلمة المثنَّاة مجـرورَةً فـي الأبيـات يقـومُ المُحَقِّـقُ الـدوكاليُّ بِإِبقَائِهَـا مَجـرُورةً أيضًـا فـي الهَـامشِ، مثـل: ص٤٢٤ «بنـي المـدبر»، وص٥٧٧ «السـامقين»، وص٣٧١ «الفرقـدين والسـماكين»، و٦٤٧ «بنـي الأصـفر»، وص٦٨٧ «الغوطتين»، وكان الأَنسبُ أَنْ تَرِدَ هذه الكلمات بِالرَّفعِ عِنـدَ شَـرحِهَا: بنو المدبر والسامقون والفرقدان والسماكان وبنو الأصفر والغوطتان.

وقـد فَعَلَـتْ أَميـرةُ الشَّـيءَ عَينَـهُ، ومثـال ذلـك ص١٠١ (الـدارعين)، وص١٠٤ (الخـافقين)، وص١٥٤ (المـدلجين)، وص٢٤١ (ذي الغضـا)، وص٤٩١ «المطاعين»، وغيرها.

وأَحيَانًا تَنقلُ حَرَكَةَ القَافِيَةِ نَفسَهَا مِـنَ المَـتْنِ إلـى الهـامش، عِنـدَ تَفسـيرِ الكلمة، ففي ص٣٥٢ وَرَدَتْ قَافيةُ البيت رقـم (٧): «حـاجزا»، فَكَتَبَـتْ فـي الهامش: «حاجزًا: مانعًا»، والصوابُ أَنْ تُـوردَ الكلمـةَ بـالرَّفع، علـى أنِّـي لا

(١٣) ذَكَرَ الدوكاليُّ ص٨–٩: «أما الفصـل الرابـع فقـد خصصـته للحـديث عـن مخطوطـات الديوان ووصـفها، ومنهجـي فـي تحقيقهـا»، والصـواب: «... عـن مخطـوطتي الـديوان ووصفهما، ومنهجي في تحقيقهما».

أَرَى حَاجَةً إلى هذا الهامش أَصلًا، ما دَامَتِ الكلمة واضحة ولا تحتاج إلى تفسيرٍ أَو شَرحٍ !، وفي ص٥٠٣: «ماذقًا: كاذبًا»، إلخ.

- ص٢١١، فَسَّرَت أَميرة عبارةَ «ذو الثفنات»: كثير العطايا.

والصواب ما ذكره د. الدوكاليّ، ص٢٢٦: «الثفنات: جمع ثفنة وهي الركبة».

- في ص٦٣٢، الدوكالي، فَسَّرَ كلمةَ «الملث»، وكرَّرَ تفسيرَهَا ص٦٦٠، وشرح عبارة «دامية أنسرها» ص٥٦٩، وأعادها ص٥٧٣.

وفي ص٥١٥، البيت ٧، فَسَّرَتْ أميرةُ الفعلَ «تُلحَيْ» بـ«تلحّ في الأسئلة»، وهو: «اللَّومُ» في تفسير الدوكاليُّ ص٥٥٠.

وأحيانًا يقودُ الخطأ في قراءَةِ الكلمةِ إِلى تَفسيرها على نَحوِ غَيرِ صَحيحٍ.

ففي ص٢٦٤ وَرَدَ عند أميرة:

أَما وعُلاكَ حَنقةُ مَن يُرامي عداك وسهمه أبدًا سريدُ

فَكَتَبَتْ في الهامش: «السريد: ما يخرز أو يثقب به».

قُلتُ: هذا تحريفٌ، والصَّوَابُ: «سديدُ»، وهو ما ورد في نشرةِ الدوكاليّ ٢٨٢، أي: إنَّ سَهْمَهُ كانَ دَائِمًا يُصِيبُ الهَدَفَ بِدقَّةٍ.

- ص٢٩٤، أميرة:

أصالة حزم أيدتها شهامة وثابت حزم دونه ضربة الهادي

وعَلَّقَتْ في الهامش: «الهادي: أبو محمد موسى بن محمد المهدي المتوفى سنة ١٧١هـ».

أقولُ: ما علاقة الهادي العبَّاسيّ بالأمر؟

الصَّوَابُ أنَّ الهادي هو العُنُقُ، وسُمِّيَ بذلكَ «لتَقدُّمِه على سائِرِ البَدَنِ»[١٤]، والمَعنَى يتطلبُهُ فقط.

(١٤) تاج العروس (هدي) ٤٠/ ٢٧٨.

المصادر والمراجع

أورَدَتْ أميرة قائمةً بالمصادرِ والمراجعِ في الصفحات ٨١٦-٨٣٦، وكانت بترقيمها ١٦٦ مصدرًا ومرجعًا، وقد أَدخَلَتْ في هذا الفِهرِسِ المَصدَرَينِ المَخطوطَينِ - (ديوان ابن دنينير) و(عقود الجمان) - وما هو منشورٌ في المجلات - (المنهج المشهور)، مجلة «المورد» -، وكان يستحسن أَنْ تَضَعَ المخطوط أَوَّلًا، ثم المطبوع، ثم الدوريات.

وفي ص٨١٨، قَدَّمَتْ كتابَ (أيام العرب في الجاهلية) على (أيام العرب في الإسلام).

وفي ص٨٢٥ سقط (ديوان المتنبي) بالرقم ٧٩، وإن بَقِيَتْ بياناته الببلوغرافية.

وفي ص٨٢٣ وفاة النواجيّ ٧٨٨هـ، والصواب ٨٥٩هـ.

وفي ص٨٢٨، ذَكَرَتْ أَنَّ وَفَاة الشّريشيّ ٦٨٥هـ، والصواب ٦١٩هـ.

أَمَّا الدوكاليّ فأوردَ (المراجع والمصادر) - كذا- بعد قسم الدراسة، وليس في نهاية الكتاب، وتَحدِيدًا في الصَّفَحَاتِ ٩٩-١٠٨، وكانت ١٠٩ كتبٍ، بعضها مخطوط.

وأَورَدَ في ص١٠٤: «سحر العيون: للبدر الدمشقي. طبعة مجهولة».

أَقُولُ: كيف تكون مجهولة وقد رجع إليها ؟ والصواب أنْ تَكُونَ بياناتها الكاملة على النحو الآتي:

- سحرُ العيون: أبو بكر البدريّ الدمشقيّ (ت٨٩٤هـ)، نَشَرَهُ الشيخ عبد الهادي الأبياريّ، القاهرة، ١٢٧٦هـ[١٥].

(١٥) أَصدَرَهُ سيِّد صدِّيق عبد الفتاح بِعُنوان (الدرُّ المصون المسمَّى بسحر العيون) عن دار الشَّعب، القاهرة، ١٩٩٨م، وقد وَسَمَ عملَهُ بأَنَّهُ «تحقيق»، في حين أَنَّهُ «نَشْرٌ» يَتَعَاوَرَهُ التصحيفُ والتحريفُ، ويَقُومُ د. عليّ عبد القادر الطويل بِتَحقيقِهِ.

ثانيًا - الدِّيبوَانُ مُحقَّقًا:

١- الاختلافُ في إيراد بعض ديباجات القطع:

وَرَدَ اسمُ الشَّاعِرِ في ديباجة القطعة (٣٩)، ص٢٤١ - «شرف الدين الراجح»، فَغَيَّرَتهُ أميرة إلى «راجح»، وعلَّقتْ: «الأصل: الراجح، والصواب ما أثبتناهُ حيث لا وجهَ للتَّعرِيفِ»، ظنًّا منها أَنَّهُ خَطَأٌ، في حين أَنَّهُ وَرَدَ هكذا في ص٧٤٥ (الهامش) من كلامِ القَيلويِّ صَديقِهِ وجَامِعِ ديوانه، وكذلك جاءَ في: حلبة الكميت ٣٥٠، ممَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ وجودَ (أل) التَّعريفِ لا يَضرُّ[١٦].

أَمَّا الدوكاليُّ فقد عَدَّلَ الاسمَ في المَوضِعِ الأَوَّلِ إلى «راجح»، من غير أنْ يُنبِّهَ على الأصل، ولم يذكر الموضعَ الثاني على الرغم من أَهَمِّيَّتِهِ!

- ص١٨٨، ق ٤٤، أميرة: «وقال يمدح الأمير الكبير سيف الدين أبا الحسن بن قليج ويرثي [الملك الكامل الظاهر غازي بن يوسف]»، وفي الهامش: «بين المعقوفين ساقط من الأصل، عُرف من سياق القصيدة».

ولكن جَاءَتِ الدِّيبَاجَةُ عِندَ الدّوكاليِّ ص٢٠٣، ولا سقط في نهايتها، بل جاءتْ كلمةُ «عَرَضًا» بدلًا من «بن يوسف».

والقطعة الدَّالية (٤٢)- ص٢٤٥ - عند أميرة انتهتْ بعبارة: «أدام الله أيامه ونصر أعلامه»، لكنها لمْ تَرِد عندَ الدوكالي ص٢٦٥.

وكذلكَ وَرَدَتْ عبارةُ: «أدام الله أيامه» في نهايةِ ديباجَةِ القِطعةِ الدالية (٥٦) ص٢٩٥ عند أميرة لم ترد عند الدوكاليِّ ص٣١٣.

وسَقَطَتْ عِبَارةُ «صاحب الموصل» من نهاية ديباجة القطعة (٦٠) ٣٢٦ عند الدوكالي، وهي ثابتةٌ عِندَ أميرة ص٣٠٧.

كما سَقَطَتْ «بحلب» من نهاية ديباجة القطعة (٩٩) ٤٥٦ عند

(١٦) وسيردُ «الراجح» أيضًا بعدَ قليل في مخطوط (تأهيل الغريب) للنواجيِّ.

الدوكالي، وهي ثابتة عند أميرة، ص٤٣٦.

وجَاءَتْ ديباجةُ القطعة (١٩٩) طويلةً في تحقيق أميرة، ص٧٦٧، واكتَفَى الدوكاليُّ ص١٩٩ بإيراد بدايتها، ثُمَّ ذَكَرَ تَتِمَّتَها في الهامش، ولا ندري لِمَ لَمْ يوردها كاملةً تَقَيُّدًا بالمخطوطة، كما يفعل، وعلى أيِّ أَسَاسٍ فَعلَ هذا؟!

– ص٤٣٤ الدُّوكاليّ: «وقال، وكتب بها إلى حسام الدين شحنة حلب، يطلب شعيرًا لدوابه»، وعند أَميرة ص٤١٥ سقطتْ أولُ كلمة من الديباجَةِ وآخرُها.

– ص٤٠٠ وردَ رقم (٥٤) على أنَّهُ ترقيمٌ لآخر بيتٍ للقطعة (٨٧)، والصَّحيحُ أَنَّ الرَّقمَ زَائِدٌ؛ لأَنَّهُ لا وجود للبيتِ أَصلًا!، وكذلك الرقم (٣٤) في نهايةِ القِطعَةِ (١١٣) ص٤٨٤.

وأكتفي بهذا.

٢- إهمالُ روايات المَصَادِر:

ص١٢٢، الدوكاليّ:

وثنى الحيا عطف الغدير فصفقت أوراقه، وتغنت الورقاء

وعَلَّقَ: «في حلبة الكميت وفي م (أطرافه) بدل أوراقه وهي الأولى؛ لأن للغدير أطراف[١٧] وليس له أوراق».

وهذا التَّعليقُ يُوَضِّحُ ما يَأتي:

١/ أهمية النسخة المغربية في إثبات رواية أخرى، وروايات كثيرة غيرها.

٢/ إيراد الرواية الجديدة في الهامش، وترجيحها على (المتن / الأصل)، مع بيان سبب الترجيح.

٣/ وجود رواية ثانية في كتاب (حلبة الكميت) للنواجيِّ.

٤/ أَهمَلتْ أَميرةُ في تحقيقها الإشارةَ إِلى هذا، على الرّغمِ مِن رجوعها

(١٧) الصَّحيح: «أطرافًا».

إلى كتابِ النَّواجيِّ، ص١٠٨.

أقولُ:

نحنُ أمام منهجينِ مُتَبَايِنَينِ في تحقيق الديوان، ودراستِهِ.

الأوَّل: منهج د. الدّوكاليِّ الذي اعتمد على النُّسخَتَينِ المَعرُوفَتَينِ مِن الدِّيوَانِ كلتيهما، ولمْ يُعِقهُ الخَطُّ الذي نُسِخَتْ بهِ المَخطُوطةُ المغربيةُ، لذا أَفَادَ مِمَّا فيها مِن رِوَايَاتٍ جَديدَةٍ نَثَرَهَا في هَوَامشِ تَحقيقِهِ، فضلًا عن القصيدة الهمزية التي انفردَتْ بها هذهِ النُّسخَةُ، وتقعُ في (٤٦) بيتًا.

الآخر: منهج أميرة التي أَهمَلَتْ بِصورَةٍ تَامَّةٍ النُّسخَةَ المَغربيَّةَ، فَأَخلَّتْ بإحدَى قَوَاعدِ التَّحقيقِ العِلميِّ السَّليم، وكان من نتيجة هذا أَنْ فَاتَها إثبات تلك القصيدة الهمزيَّة.

٣- أهمية النسخة المغربية (م):

في ص٣١٦-٣١٧ من نشرة الدوكاليِّ، وَرَدَتْ قَصِيدةٌ في ٤٤ بيتًا، مطلعها:

دع في المدامة مولعَ التفنيدِ فلقلَّما تَثني المدامةُ جيدي

وعندما وَصَلَ إلى البيتِ رقم ١٧ كَتَبَ في الهامش: «بعد هذا البيت سقطتْ ثلاثةُ أبياتٍ من أ، وهي موجودة في م»، ثُمَّ أَوردَ الأَبيات الثلاثةَ.

وكذلك سَقَطَ بَيتٌ بَعدَ البيتِ ٢٨، من القصيدة نفسها، وهو واردٌ في (م) أيضًا.

قُلتُ:

١/ كان من الصحيح إثبات الأبيات الأربعة الجديدة في المتن داخل عضادات [معقوفات]، وترقيمها.

٢/ أما أميرة فَبِسَبَبِ إهمالها نسخة (م) فقد فَاتَتْهَا هذِهِ الأَبياتُ، لذا أَخَلَّ بها تحقيقُها.

٣/ وردتْ كلمةُ «التفنيد» عند أميرة في البيت أعلاه: «التنفيد»، وهو تَحريفٌ.

وفي هامش ص١٢٣، من نشرة الدوكاليّ وَرَدَ بيتٌ في (م) على قافية الهمزة، بالرَّقَمِ (٥)، وهو ساقطٌ من (أ).

وفي ص٢٢٦، انفردَتْ (م) بِبَيتٍ مِن القصيدة التَّائيَّةِ رقم (٣١)، وسقط من (أ).

وكذلك في هامش ص٤٩١ القطعة العينية (١٠٦) جَاءَ بيتٌ جديدٌ في (م).

وفي ص٦٢٣ القصيدة اللَّامية (١٤٥) سقط بيتٌ آخر منها من (أ).

وفي ص٢٤٦ القصيدة الحائيَّة رقم ٣٦، سقط بيتٌ من (أ) بعد البيت ٢٢، وهو واردٌ في (م).

وفي ص٣١٥ القصيدة الدالية رقم ٥٦، سقط بيتٌ بعد البيت ١٨، علاوةً على سقوطِ البيتِ الأَخيرِ من القصيدةِ نَفسِها، وهُما وَاردان في (م).

- ص٣٥٦ أميرة:

عاطيته فيها المدامة راجيًا تسهيلَ [دربٍ] لم يزلْ مُتوعِّرا

وعَلَّقَتْ: «ما بين العضادتين ساقط من الأصل، ولعلَّ ما أثبتناه هو الصواب».

قُلتُ: الكلمةُ المقترحةُ خطأٌ، أمَّا الصحيحةُ فهي التي وَرَدَتْ في النُّسخَةِ المَغربيَّةِ التي أَهمَلَتْها، وهو «خُلْق»، وقد أوردها د. الدوكاليُّ - ص٣٧٦ - في الهامشِ، على مَنهَجهِ المَرجُوحِ.

- في ص٥٠٩ وَرَدَتْ قَصِيدَةٌ فَائِيَّةٌ من (المنسرح)، ولكنَّها تَنقُص بَيتًا جاءَ في (فوات الوفيات)، وهو:

تلك خصور ما زال مختطفًا لب فؤاد الحليم مُخطَفُها

وقد قامَ المحققُ بِإِنزَالِهِ إِلى الهَامِشِ.

قُلتُ: كانَ الأَولَى أَنْ يَضَعَ البيتَ في المَتنِ؛ إذْ لعلَّهُ سَقَطَ مِن نَاسخِ المخطوطة.

وفي ص٥٣١، وَرَدَ بَيتٌ مِن قَصِيدَتِهِ القافيَّةِ رقم (١١٨) وهو في (فوات الوفيات).

٤- من الاختلاف في القراءة، وما يَتَرَتَّبُ على ذلك:

جاء عند الدوكاليّ - القطعة ١٠٣، ص٤٧٥ -: «وقال يمدح الأمير ابن كرسس». وقال: «لم أعثر على من ترجم له».

وقد جاء الاسم في البيت ١٣:

تفرقتْ تفريقَ جيش فله في الحرب سيف الفارس ابن كرسسِ

ولكن جاءتِ الديباجةُ في تحقيقِ أميرة - ص٤٤٧ - مختلفةً اختلافًا كبيرًا، هكذا: «وقال يمدح الأمير غياث الدين بن يوسف بحلب»!

أَمَّا البيتُ المَعنيُّ فَوَرَدَ عندها، والقافيةُ فيهِ: «بن كروّس»، وترجَمَتْ في الحاشية للكروس بن زيد بن حصن الطائي، الشاعر الإسلامي (ت ٧١هـ)، برجوعها إلى أربعة مصادر!

وفي ص٧١٤ وَرَدَ هذا البيتُ عند الدوكاليِّ، من قصيدةٍ ميميَّةٍ:

سقى الله أجراع الكثيب وضارج .....

ومكانُ النقاطِ عِندَهْ لم يستطعْ قِرَاءَتَهُ، ولكن البيت كاملًا وَرَدَ في تحقيق أميرة ص٦٨٩، وجاء العجز:

سحائب آمال له وروائم

في ص٨٢٧ ورد البيتان ٣٠ و٣١ عند الدوكالي، ومكانهما نقاط، من قَصِيدَةٍ يَائِيَّةٍ، وعلَّقَ: «كلاهما مطموس»، والبيتان واردان في تحقيق أميرة -

ص٧٩٧ – ما عدا ثلاث أو أربع كلماتٍ في صَدرِهِمَا، وَضَعَتْ مكانَها نُقاطًا، وعَلَّقَتْ: «موضع النقاط مطموس في الأصل»، وهذا يعني أنَّ البيتين ليسَا مَطموسَينِ بِالكامِلِ على ما ذَكَرَ الدوكاليُّ.

وفي البيت ٣٤ وَرَدَ عِندَهُ:

مثل أوصاف صارم الدين وهل يوجد يومًا طلق سوى أريحيِّ

والصَّحيحُ أنَّ العجزَ هُوَ عَجزُ البيت التالي الذي وَرَدَ فيهِ أَيضًا، ولمْ يَنتَبِه إِلى هذا التَّكرَارِ الوَاضِحِ.

وصوابُ البَيتِ كاملًا، مَعَ تَقسِيمِهِ على الشَّطرَينِ:

مثل أوصاف صارم الدينِ أَو أَخـ ـلاقِهِ الغُرِّ والثَّنَاء الزَّكيِّ

– الدوكاليّ ص١١٣:

واعتل خفاق النسيم وقد جَرَى مُتَعَثِّرًا بمساقط الأنواء

وعلَّقَ: «(متسترا) في نسمة السحر»، وقد رَجَعَ إِلى مخطوطة هذا الكتاب، ولكنْ وَرَدَ في المطبوعِ المُحقَّقِ منهُ: «متعسرا».

وَأَهمَلَ المُحَقِّقُ إيرادَ خاتمة الديوان في مكانها ص٨٢٨ بعدَ انتهاءِ آخرِ قَصِيدَةٍ منهُ، وفيها اسم الناسخ (عليّ بن تاج الدين السنجابيّ الحنفيّ) – وإِنْ أَشَارَ إِليهَا ص٩١ من مقدِّمتهِ – والصواب في لقبهِ «السنجاريّ»، وهذهِ الإِشَارَةُ لا تكفي، وقد أَثبَتَتْ أميرةُ خاتمةَ الدِّيوانِ، ص٧٩٨، وتَرجَمَتْ للنَّاسِخِ.

وآخر ثالث، وهو إِهمَالُهُ الهامش الطويل الذي أَثبَتَهُ النَّاسخُ مَعَ البيت ٤٥، ص٧٧٠، من القصيدة النُّونيَّة، وهو وَارِدٌ بِتَمَامِهِ في تحقيقِ أميرة، ص٧٤٥، وكذلك الهامش الطويل في التعليقِ على البيتين (٣٩) و(٤٢) من القصيدة اليائية، ص٨١٥–٨١٦، وهما واردان عند أميرة ص٧٨٣–٧٨٤.

ويُلاحَظُ أَنَّ القِطعَةَ التي مطلعها:

هنيئًا فإنَّ السَّعدَ رَاحَ مُخَلَّدَا وقد أنجزَ الرَّحمنُ بالنَّصرِ مَوعِدَا

رَجَعَ الدوكاليُّ - ص٨٣٣ - في إثباتها إلى كتاب (فوات الوفيات) فقط، في حين رَجَعَتْ أميرة في تخريجها - ص٨٠١ - إلى عشرة مصادر ومرجع واحد، وذكرتْ أنَّ المقريزيَّ في كتابهِ: السلوك ١/ ٢١٠ نَسَبَهَا إِلى قاضي غزة هبة الله بن محاسن.

قُلتُ: نعم! ولكنَّهُ قالَ في كتابه الآخر (المواعظ والاعتبار) ١/ ٤٢٨: «وقد قيل: إنَّ الذي أنشد هذه الأبيات إنما هو راجح الحليّ الشاعر»، وهذا ما لمْ تُشِرْ إليهِ برغم أهميَّتِه، لأَنَّهُ لم يقطع بنسبتها إلى قاضي غزَّة.

وأُضِيفُ أَنَّ القَصِيدَةَ لراجح في: مسالك الأبصار ١٤/ ١٨٧ (المخطوط)، الوافي بالوفيات ١/ ١١٩-١٢٠، اتحاف الأخصَّا ٢/ ٢٨٤، مطالع البدور ١/ ٢٢٦-٢٢٧.

٥- تراجم الأعلام:

جَاءَ في نهايةِ مقدمة القيلويِّ للدِّيوان اسم (الواسطيِّ)، فَترجَمَ لهُ د. الدوكاليُّ ص١٤٤، أمَّا أميرة فقد كتبتْ في هامش ص٩٦: «لم أقف على ترجمة له».

ومن الغريب، وهي تُترجِمُ للشَّاعِرِ الجَاهليِّ حاتم الطائي، ص١٧٠، أَنْ يَكونَ مِن مَصَادِرها (تاريخ الخميس) لِلدِّيارِ بَكْري (ت ٩٦٦هـ)!

وهي لم تقُم بِتَرتيبِ مصادر التَّرجمة على وفق سنوات مُؤَلِّفِيهَا، بل أَورَدَتْهَا مُبعثَرَةً لا ضَابِطَ لها. ومثال ذلك أَنَّهَا تَرجَمَتْ ص٢٥٥ لقسّ بن ساعدة الإياديّ برجوعها إلى: الأغاني والبيان والتبيين وخزانة البغداديّ

والشريشيّ (تقصد: شرح مقامات الحريريّ) والشعر والشعراء.

أَقُولُ: الصَّوَابُ أَنْ يكونَ تَرتيبُ المصادرِ على النَّحوِ الآتي: البيان والتبيين والشِّعر والشعراء والأغاني والشريشيّ وخزانة البغداديّ.

ومِنَ الغَريبِ أَنَّهُ وَرَدَ مِن قَبلُ في ص٢٠٠، البيت ٢٥ (القطعة ٢٢)، ولكنَّها تَرجَمَتْ في هذا الموضع لقيس بن سعد بن عُبادة، وقد فَعَلَ الدوكاليُّ الصَّوابَ ص٢٣٥.

وفي ص٤٠٣ تَرجَمَتْ للإسكندر المقدونيِّ ذاكرةً سبعة مصادر، مع قولها إنَّهُ «شخصية مشهورة»! أو الملك الكامل – ص٢٤٥ – بِرجوعها إلى ثمانيةَ عَشَرَ مَصدرًا، كلّها غير مرتبة، وغير ذلك كثير، وأَنَا أَميلُ– وأَدعُو – إلى الاختصارِ في الترجمة، مع ذِكْرِ مَصدَرٍ أَو اثنَينِ.

ص٢٢٦، ورد في البيتِ ٢٢:

عند موسى بن جعفر وعليّ بـ ـن الحسين السجاد ذي الثفنات

فَتَرجَمَ في الهامش: «ذو الثفنات هو: علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وقيل هو عليّ بن عبد الله بن العبَّاس...» إلى نهاية الهامش.

الصواب: هو الاسم الأَوَّل فقط، وهو مرادُ الشَّاعرِ؛ بدليلِ أَنَّهُ ذَكَرَ اسمَهُ ولقَبَهُ في البيتِ صَرَاحَةً «علي بن الحسين السجاد»، ولم يُرِدِ الآخَرَ، بل لمْ يقصدهُ الشاعرُ، وقد التزمَتْ أميرةُ بِالصَّوابِ هنا.

ص٧٥٣، أميرة، في البيت ٤٠، وردتْ كلمةُ «الفهمي»، فقالت: «لم نعثر على ترجمة له فيما توفر لدينا من مصادر»، ولكن د. الدوكاليّ، ص٧٧٧، قال: «الفهمي هو تأبط شرًّا، ثابت بن سفيان الفهمي...»، وهو الصوابُ.

– ص٤٣٢: «شمس الدين نقيب العلويين بحلب ابن زهرة»، فعلَّقَ

المحقِّقُ: «لم أجد له ترجمة».

وقالت أميرة – هامش ص٤١٣–: «لعله الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن علي بن محمد العلوي الحسنيّ، أبو عليّ، النقيب. ولد سنة (٥٤٦هـ)، كاتب مترسل...»، وهذا أمرٌ يُحسَبُ لها.

– ترجم د. الدوكاليُّ، ص١٤٣، للقيلويِّ، برجوعهِ إلى (معجم البلدان) فقط، وهذا المصدرُ ليسَ فيهِ إلَّا «أبو علي الحسن بن محمد بن إسماعيل القيلويّ».

وترجمَتْ له أميرة – في هامش ص٩٤– برجوعها الى (مرآة الزمان) و(معجم البلدان) فقط.

قُلتُ: هو عزُّ الدين الحسن بن محمد بن إسماعيل بن أبي العز بن عليّ القيلويّ. وُلِدَ بالنيل (الحلَّة) سنة ٥٦٤هـ. اتَّجَرَ بالكُتُبِ، ونَسَخَ كثيرًا منها، وسَافَرَ بها إلى الشام وبلاد الجزيرة. تُوُفِّيَ سنة ٦٣٣هـ(١٨).

– تَرجَمَ د. الدوكاليُّ في ٧٩٢ لهارون الرشيد بالاعتمادِ على (أنوار الربيع) ! وهذا الكتاب ليس من كتب التَّراجم!

وفي ص٦٠٠ ترجمَ لقيس بن عمرو النجاشيّ بِرجوعِهِ إلى (أعيان الشيعة) و (أنوار الربيع)!

وَرَدَ ص٧٠٦ البيت:

وما مات من نجَّى الظعائن هُلكُهُ وأبقى جميلَ الذكر كابنِ مكرّمِ

وعند أميرة – ص٦٨١–: «مكدَّم»، وهو الصحيحُ، وترجمتْ لربيعة بن مكدم، الذي قُتِلَ وهو يحمي الظعن، ولكن أوردتْ في عروض الصدر «هِلْكةً».

(١٨) ترجمتهُ في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٢٢، العبر ٥/ ١٣٣، الوافي بالوفيات ١٢/ ٢١٨، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٣، وكتبنا بحثًا كاملًا عنهُ.

وقضيَّةُ عدم تفرقة الناسخ بين الضاد والظاء في الكلماتِ واضحةٌ في نسخة برنستون، وأشارتْ إلى ذلك أميرة في حواشيها بكثرة، وكانَ يكفيها الإشارة إلى ذلكَ في المقدِّمة.

من ذلك ص٣٠١، في صَدرِ البَيتِ:

وعساكَ إنْ ضنَّتْ بوادرُ أدمعي

قالت: «الأصل: ظنت، تحريف»، أَمَّا الدّوكاليّ فَاكتَفَى بِإيرَادِ الصَّوَاب، ولمْ يُشِرِ إلى خطأِ الناسخ، ص٣٢٠، وغيرها.

ولكنَّها أوردتْ قافية البيت خطأً في ص٤١٢:

ما افترَّ برقٌ وتغنَّت طَربًا ورقٌ بغصنٍ مورقٍ نظيرِ

والصوابُ: «نضير»، فهي أَخطَأَتْ في إِيرَادِ الكلمةِ، علاوةً على عدم تنبيهها على خطأ النَّاسخ! وقد وَرَدَتْ على الصحَّةِ عند الدوكاليِّ .٤٣١

٦- السَّقطُ في الأَبيَاتِ وَالأَسطُرِ

منها:

- أميرة ص١١٣:

..... بروحِ راحٍ لها في السرِّ إسراءُ

وعلَّقت: «موضع النقاط مطموس في الأصل».

ولكنَّ البَيتَ بَدَا كاملًا في نشرة د. الدوكاليِّ، ص١٢٧، والصدرُ هو:

فحيِّ في الكأسِ كسرى تُحي رِمَّتَهُ

ويُلاحظُ أنَّ القَصِيدَةَ وَرَدَتْ في (أ) فقط، كيلا يُقال: إنَّ المُحَقِّقَ استعَانَ بـ(م)؛ لأَجلِ إِثبَاتِ الصَّدرِ، وعلى هذا فلا طَمسَ في صَدرِ البَيتِ.

- ص٣٨٢، أميرة:

يجيـــر مـــن حـــادث الليـــالي إذا الملوك.....

وهَمَّشَتْ: «في موضع النقاط غير مقروءة».

قلتُ: بل هما كلمتان، فَالعجزُ وَاضِحٌ عندَ الدوكاليِّ، ص٤٠٢:

إذا الملوك اعتدوا وجاروا

وعندها ص٣٩١:

قـــد خُـــصَّ بالتـــاج وبالســـرير فعدِّ.....

وعَلَّقَتْ: «موضع النقاط مطموس في الأصل».

ولكنَّ العَجزَ وَاضِحٌ عند الدوكاليِّ، ص٤١٠:

فَعَدِّ عن كسرَى وأَزدَشيرِ

وعند أميرة ص٧١٥:

شادَ بيتًا شَاذَويًّا لا كما.....

وعلَّقَتْ: «موضع النقاط مطموس في الأصل».

ولكنَّ العَجزَ وَاضِحٌ عِند الدُّوكاليِّ، ص٧١٤:

شَيَّدتهُ الفُرسُ مِن إيوانِها

وسَقَطَ البيتُ (٥) كاملًا من القطعة التائيَّة رقم (٣٠) في تحقيق أميرة ص٢٠٩، وهو ثابتٌ في نشرة الدوكاليِّ ص٢٢٤:

فَسَلِ الـدَّهرَ أيـن كسـرَى أنوشـر وانَ ربُّ الإيـوان ذي الشُّـرُفاتِ؟

وكذلكَ وَضَعَتْ نقاطًا مكان البيت (٨) «المطموس في الأصل» عندها من القصيدة (١٩٠)، ص٧٣٩، وهو وَاضِحٌ في تحقيق الدوكاليّ ص٧٦٤، وهو:

أنســيتَ إيــوانَ المَــدَائن مثلمــا أنسَــى عُــلا كســرى أنوشــروانِ

وكذلكَ لمْ تَستَطِعْ إثبَاتَ البيت (١٠) من القطعة (١٩٣) ص٧٥٠؛ لأَنَّـهُ -

على وفق كلامها – «مطموس»، ولكنَّهُ ثَابِتٌ في تَحقيق الدُّوكاليِّ ص٧٧٥.

– ص١٧٥، الدّوكاليّ:

وَرَأوا الجبال الشم ليست عصمة من مدِّ زاخر بحرك المغلولبِ

والوَاضِحُ زيادة حرف الواو في أوَّله، وبه ينكسرُ الوزنُ.

وفي تحقيق أميرة – ص١٥٨ – حَذَفَتِ الوَاوَ، فاستقامَ البَيتَ، وعلَّقَتْ في الهامش: «الأصل: ورأوا، تحريف».

– ص٦٣٦، الدُّوكاليّ:

(.....) يعمر ورزق بحسن القطع والوصلا

وعَلَّقَ: «الشطر الأول غير واضح في الأصل».

قُلتُ: وَرَدَتْ كلمتان خطأً أيضًا في العَجزِ، وجاء في تحقيقِ أميرة – ص٦٠٨:

حكَى مِن قنا الخطِّ اعتدالًا وأَنَّهُ بِعجزٍ ورزقٍ يحسنُ القَطعَ والوَصلا

٧- الخطأ في إثبات الصَّوابِ عِندَهُمَا:

والأمثلةُ كثيرةٌ، ومنها:

– أميرة ص١٠٩، الدوكالي ص١٢٣:

في ظِلِّ دَوحٍ ظَلَّ ناضرُ رَوضِهِ وانسابَ جدولُهُ ورقَّ هواء

قُلتُ: «ظل» الثانية تصحيفٌ عندهما معًا، والصَّوَابُ: «طُلَّ»، فيكون صوابُ الصَّدرِ:

في ظِلِّ دَوْحٍ طُلَّ نَاضِرُ رَوضِهِ

– ص١٢٢، الدوكاليّ:

نَشَرَتْ عقودَ سمائها الأنداءُ بِيَدِ النسيم فللثرَى إِثراءُ

الصَّوابُ: «نثرت»، وهو ما ورد صَوابًا عندَ أميرة ص١٠٨.

- أميرة، ص٥٢٧، بعد البيت (٩) علَّقتْ بِمَا نَصُّهُ: «في الهامش بيت سقطت قافيته:

وبدت نجوم أسنَّة أنواؤها سحب الردى وسماءهم....»

قلتُ: من منهجها أنْ تَضَعَ في المتنِ الكلماتِ الوَارِدَةَ في الهامش إذا سَقَطَتْ مِنَ المَخطُوطَةِ، ولكنْ لا أدري لماذا لمْ تُثبتِ البيتَ في المتن، وهو أَولَى مِن إثباتِ الكلمة أو الكلمتين؟

والبيتُ عند الدوكالي ص٥٢٧، وقد جَاءَ في المَتْنِ بِالرَّقمِ (١٠) واضحًا بِوُجودِ قَافِيَتِهِ:

وبدتْ نُجومُ أَسنَّة أنواؤها سحب الرَّدى وسماؤُهنَّ قساطلُ»

- أميرة، ص٢٥٦:

ثعلب في صل رمح ما لَهُ عملانٌ في سوى نحرِ وهادِ

قُلتُ: «عملان» تحريفٌ، والصَّواب ما وَرَدَ عِندَ الدُّوكاليِّ، ص٢٧٥: «عَسَلانٌ».

- عند الدوكاليّ، ص٥٤١:

ويا أحبَّائي الأولى ضيَّعوا عهدي وما داموا على (خالقي)

وعلَّقَ على كلمة القافية: «(خالقي) كذا، ولعل الصواب (موثقي) ليستقيم المعنَى وتصحح القافية».

ولكنَّ القَافِيَةَ عِندَ أميرة (ص٥٠٧) صحيحة: «ما بقي»، وكذلك وردت «الأُلى» عندها على الصَّواب.

بَقي أَنْ نَذكُرَ اتِّفاق التحقيقَينِ في عَدَدِ القِطَعِ في الديوان (٢٠٨) قطعة، ولكن بالتدقيق والفحص نجد ما يأتي:

في ص٢٤٥ (الدوكاليّ) القصيدة رقم (٣٩) وَرَدتْ قصيدةٌ للشهاب محمد بن جعفر الربعي في الملك الأشرف مُوسَى في ١٣ بيتًا، مطلعها:

سقاكِ غوادٍ للحيا وروائح وجادك يا أروية السَّفح سافحُ

وبَعدَهَا مباشرة وَرَدَتْ قصيدةٌ لراجح الحلِّيّ يَمدَحُ بها ذاك الشاعِر، مطلعها:

خليليَّ إن لم تسعداني بوقفةٍ فمثلكما عندي رقيبٌ وكاشحُ

أما أميرة – ص٢٣٩ – فَأَثبَتَتِ القَصِيدَةَ الأُولى، وأَعطَتها رَقمَ (٣٨)، ثمَّ فَصَلَتْ قَصيدَةَ راجح الحليّ وأَعطَتهَا رَقمًا جَدِيدًا هو (٣٩).

والصَّحيحُ مَا فَعَلَهُ د. الدوكاليُّ؛ لأنَّ قصيدةَ الرَّبعيِّ ليستْ لراجح الحِلِّيّ بل «تمهيد» لها، وإنْ وَرَدَتْ في دِيوَانِهِ، وكانَ بِإمكانِهَا إثبَاتُها فقط، وتكون مع قصيدةِ راجح برقمٍ وَاحِدٍ فقط.

٨- إهمالُ الرِّوَايَاتِ:

- الدوكاليُّ ٢٧٩، أميرة ٢٦٠:

قعد الملوكُ عن العُلى فسعَى إلى العلياءِ فردَا

وجَاءَ البيتُ في (التعليقة) ٩٦ ب برواية جديدة في صدرِهِ:

جَارَى المُلوكَ فبذَّهُمْ وَسَعَى إِلى العَلياءِ فَردَا

- جَاءتْ عندَ الدُّوكاليِّ ص٦٢٣، وأميرة ص٥٩٣-٥٩٥ قصيدةٌ من ٤٣ بيتًا، وَرَدَ بعضُهَا في (مسالك الأَبصار) ١٠، وفيهَا رواياتٌ مختلفةٌ، وسأَكتَفي بثلاثة أمثلةٍ فقط.

فَالبَيتُ ١٧:

وفي شعب الأكوار أبناء مطلب شعارهم ترصيع شعر متمم

وتَرجَمَ لِمُتمِّمِ بنِ نُويرةَ في أربعةِ أَسطُرٍ!

وفي: بغية الطلب ٨/ ٣٥٤٤:

شعارهم توشيعُ شعرٍ مُنَمنَمِ

وبهذا يَتَّضِحُ الخَطَأُ الذي أَثْبَتَهُ الدُّوكاليُّ، ومِن ثَمَّ لا حَاجَةَ إِلى هَامِشِهِ!

والبيت ٢٦ عندهما:

تُريهِ وُجُوهَ الغَيثِ مِرآةُ فِكرِهِ لِتؤمِنَهُ مِن كُلِّ ظَنِّ مُرَجَّمِ

وفي: بغية الطلب ٨/ ٣٥٥٤، مسالك الأبصار ١٠/ ٤١٩: «وجوه الغيب».

والبيت ٤٤ عندهما:

أبتْ لكم آباءُ صدقٍ نموَّكُمْ تخيُّلَ ظعنٍ يقتضي نقضَ مُبرمِ

وَهُوَ في: بغية الطلب ٨/ ٣٥٤٥، تذكرة ابن العديم ٥٢٢:

أَبتْ لَكُمُ آبَاءُ صِدقٍ نَمَتْكُمُ تَخَيُّلَ ضغنٍ يَقتضي نَقضَ مُبرَمِ

- الدوكاليّ ٢١٨، أميرة ٢٠١:

فَرُمْتُ أَكرَعُ في خمر الرضاب فقل في شاعر دأبه إفساد توبته

وفي: إنسان العيون ٣٠٩: «في عَذبِ الوصال».

- ص٣٩٧:

وذي هيف فِي البان مِنْهُ وَفي النقا مشابهة (...) يضم ويهصرا

وقَالَ في الهامش: «ما بين القوسين بياض في الأصل لعل مكانه (في أن)».

وعَلَّقتْ أميرة ص٣٧٤: «ما بين العضادتين ساقط من الأصل، ولعل ما أثبتناه يناسب المعنى»، لذا وَضَعَتْ [من أنْ] في المتن.

قُلتُ: صَوابُ العَجُزِ:

مَشَابِهُ جَلَّتْ أَنْ تُضَمَّ وتُهْصَرَا

ينظر: الوافي بالوفيات ١٤/ ٥٥.

٩- الرُّجُوعُ إلى تَعليقَاتِ النَّاسِخِ وروايَاتِهِ:

حَرَصَتْ أميرة على نَقلِ الرّواياتِ الكثيرةِ التي يُوردها الناسخُ (الأصل) في حواشي النسخة، تصحيحًا لِعَدَدٍ مِنَ الكلمات، أَو إلحاقًا بالبيتِ نفسهِ، ولكن د. الدوكاليّ أَهمَلَ إثباتَ إشاراتِ النَّاسِخ تلك في الغالب، إلَّا في ص١٧٩، القصيدة البائيَّة، إذْ أورد حاشيةً تَخُص البَيتَ ٣١، في حِينَ لَمْ تَفعلْ أَميرةُ ذلك، ص١٦٢.

وكانَ الدُّوكاليّ يَأْخذُ رِوَايَاتِ النَّاسِخِ في الحاشيةِ، ويُثبتُها في المَتْنِ من دون إشارة، مثال ذلكَ ص٢٣٣، صدر البيت ٨: «هات كاسات الحميا واسقني»، وهو في الحقيقةِ روايةُ النَّاسخِ، أَمَّا في الأَصل فكانَ: «فأدر كأس الحميا واسقني»، وهذا ما أَورَدَتهُ أميرة ص٢١٩ في الهامش.

واتَّفقَا - في بَعضِ الأَحيَانِ - على تَوجِيهِ البَيت إذا اضطَرَبَتِ المخطوطةُ - أَو المخطوطتَانِ - في إيرادِهِ صحيحًا، كما في البيت (١١) من القطعة البائية المرقمة بـ(٢٢/ ٢٣) ص١٩٧، ١٨٢، والبيت (١١) من القطعة الفائية (١١٤)، ص٥١٨، ٤٨٦.

١٠- أسماء البحور:

ص٥٦٩ / الدُّوكاليّ، جَاءَتْ قطعةٌ مطلعُها:

لمن على الأجادل كل هزبر باسل

وذَكَرَ أَنَّهَا مِن (مجزوء الكامل)، وعند أميرة - ص٥٣٤ - (مجزوء الرجز)، وهو الصَّحيحُ!

- ص٧٩٠ وَرَدَتْ قِطعَةٌ عند الدوكاليِّ، مطلعها:

يا مشتري الحمد بأغلى الأثمانْ وخير مرجو لأهل الإيمانْ

وذكر أنَّها مِن (مشطور السريع)، وهو الصَّحيح، وحَدَّدَتْها أميرة بأنَّها من (الرجز).

وسها د. الدوكاليُّ عن إثبات اسْمَيِ البَحر في قَصِيدَتَينِ في نَشرَتِهِ.

فالقصيدة - رقم ٢٦ ص٢٠٦- التي مطلعها:

يا تَعدِّي ظَلْم الثنايا العذاب أي ظُلْم أعدت لي وعذاب

هي من (الخفيف).

والقصيدة رقم ٢٩، ص٢١٧، التي مطلعها:

مَن أطلع البدر في ديجور طرته وأودعَ السحرَ في تكسير مقلته

هي من (البسيط).

١١- المُلحَقُ:

في ص٨٢٩-٨٣٦ وَرَدَ في نشرة الدوكاليِّ «ملحق لأشعار الحليّ التي لمْ تتضمَّنها المخطوطتان»، وجَعَلَ تَرقِيمَ القِطَعِ مُنفَردًا عَن ترقيم قِطَعِ الدِّيوَانِ المَبني على المَخطُوطَتَينِ، وضَمَّ ١١ قطعة، في ٧٠ بيتًا، بِرجُوعهِ إِلى (حلبة الكميت)، و(مفرج الكروب)، و(فوات الوفيات)، و(بدائع البدائه)، و(شعراء الحلَّة)، على قوافي الهمزة والباء والتاء والدال والراء والسين والعين والقاف والميم، ولمْ يَشرَح بعضَ الكلمات التي تحتاجُ إِلى ذلكَ.

أَمَّا أميرةُ فلمْ تَضَعْ عُنوَانًا يُمَيِّزُ الدِّيوَانَ المُحَقَّقَ مِنَ (الذيل) الذي صَنَعَتهُ، بل جَاءَ الأَخيرُ مُتَسَلسِلًا مَعَ الأَرقَامِ السَّابِقَةِ، فَبَدَأَ بالرَّقم (٢٠٩)، وانتهَى بالرقم (٢١٢)، أَي: إِنَّهُ حَوَى أَربَعَ قِطَعٍ فقط، على قوافي الباء والدال والعين والميم، في ٤٦ بَيتًا.

ولكنَّ ملحقَ الدُّوكاليِّ يَتَفَوَّقُ على مُلْحَقِ أميرة بزيادةِ القطع، ومِن المُهِمِّ

ظَفَرُهُ بِقِطعَتَينِ لِلشَّاعِرِ في كتابِ (حلبة الكميت)، وقطعة ثالثة في (بدائع البدائه)، وكلا الكتابين غَيرُ مُفَهرَس، وقد قَادَهُ تَتَبُّعُهُ إلى الاعتماد على كتاب (شعراء الحلة)، وهو مرجعٌ حديثٌ، ووَقَفَ فيهِ على ثَلاثِ قِطَعٍ جَديدَةٍ.

والواضحُ اتِّفاق (المُلحَقَينِ) في أربع قطع في ٤٦ بيتًا، مع ملاحظة أَنَّ في (ملحق) أميرة مَخطُوطَةَ (عقود الجُمان) للزّركشيِّ، وهي مِن مُصَوَّرَاتِ الأُستاذ المُشرِفِ د. ناظم رشيد، رَحِمَهُ اللهُ[١٩].

ورجعَ الدوكاليُّ إلى كتاب: شعراء الحلة ٢/ ٣٦٦ في إيراد هذه النتفة:

خداه ورد والعذار بنفسج والريق خمر واللواحظ نرجس

فكأنني من خده وعذاره ورضابه ولحاظه في مجلس

وقد وَجَدتُ هذِهِ النُّتَفَةَ بَعدَ التَّدقِيقِ والبَحثِ مَنسُوبَةً إلى «بعض اللُّطفاء» في: حلبة الكميت ٣٤-٣٥.

أَمَّا القِطعَةُ الأُولى التي نَقَلهَا من (حلبة الكميت) ١١٥ فنصُّها:

أعجب شيء رأته عيني ما بين عود وخفق ماء

زحف سرور لجيش هَمٍّ وقتل حمرا بسيف ماء

وهي فيه: «وقال الحلي»، من غَيرِ تَحديدٍ.

ولكن عَثَرتُ على البيتين مَنسُوبَينِ إلى شرف الدين راجح الحليِّ صَرَاحةً في: (تأهيل الغريب) لابن حجَّة ٧٨٤-٧٨٥، مطالع البدور (القاهرة) ١/ ١٥٨ و(بيروت ١/ ٣٣٩)[٢٠]، بهذه الرواية:

---

(١٩) بعثَ إليَّ د. ناظم رشيد - بِنَاءً على طلبي- ترجمةً الشاعر يوسف بن لؤلؤ الذهبيّ (ت ٦٨٠هـ) من كتاب (عقود الجُمان وتذييل وفيات الأعيان)؛ مخطوطة مكتبة الفاتح، وهي منقولة بخطِّ يدهِ، في ٣/ ٨/ ٢٠٠٢م.

(٢٠) جاء في هذه الطبعة البيروتية التي يُزعم أنها محقَّقة: «وحقق نائي»، و«بجيشهم»!

أعجبُ شَيءٍ رَأَتـهُ عَينـي ما بينَ عُودٍ وخَفـقِ نَـائي
زَحفُ سُرُورٍ بِجَيشِ هَـمٍّ وقَتلُ خَمْرٍ بِسَـيفِ مَـائي

والقطعة (٣) المنقولة مِنَ المَصدَرِ عَينِهِ ٣٢٤، وهما بيتان، سَأُورِدهُما مَضبُوطَين بِالشَّكلِ:

وَبَشَّـرَتْ بِوَفـاةِ اللَّيـلِ سَـاجِعَةٌ لأَنَّها في غَدِيرِ الصُّبحِ قَد سَبَحَتْ
مَخضُـوبَةُ الكَـفِّ لا تَنفَـكُّ نَائِحَـةً كَـأَنَّ أَفرَاخَهـا فـي كَفِّهـا ذُبِحَـتْ

وقد سُبِقَا بكلمة «الحلي»، من دون تحديد! وهما لصفيِّ الـدِّين الحِلِّـيِّ في ديوانه ١٥٥.

وعلى هذا يُمكننا أنْ نُسقط قِطعتينِ في أربعة أبيات من (ملحقه)؛ لعـدم الدقة في النقل!

لقد رَجَعَ الدُّوكاليُّ إِلى الطَّبعَةِ الأُولى مِن هـذا المرجـع، وتَقَـعُ ترجمـةُ راجح الحليّ فيهِ في تسع صحائف، ولكـنَّ الخاقـانيَّ أَعَـادَ طَبْـعَ كِتَابِـهِ هـذا طبعةً ثانيةً (١٣٧٥هـ/ ١٩٧٥م) ذَكَرَ أَنَّهـا «تمتـاز بزيـادات كثيـرة وتحقيـق»؛ لِذلكَ صَارَتِ التَّرجَمَةُ في تسع عشـرة صـحيفة، وهنـا أسـقطَ التتفـةَ السِّـينيَّةَ المَذكورةَ، التي يبدو أَنَّهُ تَحقَّقَ لهُ - في هذه الطبعة - أنها ليستْ للشَّاعِرِ.

ونقلَ الدُّوكاليُّ عن المَرجَـعِ نَفسِـهِ (٢/ ٣٦٧) أربعـةَ أَبيـاتٍ قافيَّـةٍ، فـي حين أَنَّهُ أَورَدَهَا في طبعتِهِ الجديدَةِ - عن (الوافي بالوفيات) - ضمن قصيدة طويلةٍ في ٢٨ بيتًا، وقَد أَثبَتنا الأبيات الـ(٢٤) التي لم يذكرها الـدوكاليّ مـن هذهِ القصيدة في (مُستدركنا) الآتي.

وفَضلًا عن هذا الكتاب هنـاكَ مَرجـعٌ آخـر يُنافِسُـهُ هُـوَ كتـابُ (البابليَّـات) للشيخ محمَّد عليّ اليَعقُوبيّ (ت ١٣٨٥هـ)، وهو مطبوعٌ في النَّجَـفِ الأَشـرَفِ،

المطبعة الحيدريَّة، ١٩٥٤م، وترجمة الشاعر في: ١/ ٤٧-٥٢، وفيه رجعَ إلى المَصادِرِ التي ذَكَرَهَا المُؤَلِّفُ السابقُ، ممَّا يُؤَكِّدُ سعة اطِّلاع الشَّيخَينِ الخاقانيِّ واليعقوبيِّ في ذلك الوقت، ولا سيَّما مخطوطة كتاب (الوافي بالوفيات) التي رجعَا إِليهَا ونَهلا منها، و(خزانة الأدب) لابن حجَّة، ولمْ يَفعَلْ ذلك المُحقِّقانِ الأَكاديميَّانِ اللَّذان جَاءَا بَعدَهُمَا، فَفَاتَهُمَا عددٌ مِنَ الأَبيَاتِ!

وقد تَبَيَّنَ لي أَنَّ جُزءًا مِن القِطعَةِ الثانية والأخيرة (القافية والميمية) واردٌ في الجزء الرابع عشر المخطوط من كتابِ (الوافي بالوفيات)، حيث ترجمة الشاعر.

١٢- الأخطاء الطباعية:

«مقدمة» القيلويِّ هي في أَوَّلِ الدِّيوَان، كما في المخطوطتين، وفي تحقيق أميرة، ولكنْ جَاءَتْ في نشرةِ د. الدُّوكاليّ بعد مُفتَتَحِ قافية بالباء، في ص١٤٣-١٤٤، وتلاها بالقصيدة المرقمة ٨.

وأَظُنُّ أنَّ السَّبَبَ يَعودُ إِلى المطبعةِ التي طَبَعَتِ الدِّيوان؛ لاستحالةِ أَنْ يَصدرَ هذا الخَطَأُ عَن المُحَقِّقِ.

ومن المُؤسِفِ حُدُوثُ خَطَأٍ آخر عندهُ يَتَمَثَّلُ في طباعةِ القَصائد المُرَقَّمَةِ بالأرقام ٧٩ و٨٠ و٨١. فَالقصيدَةُ ٧٩ بَدَأَتْ في ص٣٩١ و٣٩٢، ولكنَّ تَتِمَّتَهَا في الصحيفتين ٣٠٥ و ٣٠٤، على التَّوالي! والقصيدة ٨٠ تبدأ ص٣٧٩، وتتمتها في ص٣٦٩، ثُمَّ ٣٩٩ و ٣٩٨، أما القصيدة ٨١ ففي ص٣٩٣ وتتمتها في ص٤٠٠ وما بعدها!

ولم يَسْلمْ تَحقيقُ أميرة من أخطاء الطباعةِ التي لم تُصحِّحها؛ لأنها وَقفَتْ على الديوان وضَبَطَتِ الأَبيات بِخَطِّ يَدِها بالقلمِ الأَسوَدِ، وصَحَّحَتْ ما فيهِ وقتذاك، منها: (ص٣٠١، الهامش الأخير)، وص٣٤٥ (هامش ٢٠)،

وص٣٤٧ (هامش ٣٦)، وص٤١٦ (هامش ٢٢)، وص٤٣٣ (هامش ٦)، وص٤٩٤ (هامش التخريج).

المُستدرَكُ

في ما يأتي مُستدركٌ مهمٌّ على ما أَخَلَّتْ بهِ نَشرتَا ديوان راجح الحليّ، مع الإحالة في الأبيات المفردة على نَشرَةِ الدوكاليِّ؛ لأنها مطبوعة:

[١]

يُستدركُ هذا البيتُ على القطعة ٦٨ ص٣٥٠، ويكونُ بَعدَ البَيتِ ٣٥:

[الكامل]

وَصِفِ المُصَابَ، وقُلْ فُجِعتُ بِدَوحَةٍ نَبَويَّةٍ كادَتْ تَطُولُ الفَرقَدَا

التخريج: بغية الطلب ٨/ ٣٥٤٠.

[٢]

قال راجح الحليّ: [الكامل]

يا ليلُ طُلْتَ وَلَمْ تَرِقَّ لِمُغرَمٍ لَمْ يَظلِمُوا إِذْ لَقَّبُوكَ بِكافِرِ

التخريج: خزانة الأدب وغاية الأرب (القاهرة) ٢٤٦، (شعيتو) ١/ ٢٣٤، (دياب) ٣/ ٥٠.

[٣]

قال: [الكامل]

١- مَا كُنتُ بِالبَاكي جَآذِرَ لَعلَعِ لو كانَ قَلبُكَ يَومَ كاظِمَةٍ مَعي

٢- لَكِنْ نَجَوتَ مِنَ الهَوَى وتَرَكتَني ذا مُقلَةٍ عَبرَى وقَلْبٍ مُوجَعِ

٣- وعَذَلتَ إِذْ لَمْ تَدرِ ما قَدر[٢١] الجَوَى بِالظَّاعِنينَ، ولا الأَسَى بِالأَربُعِ

٤- فَدَعِ المَلامَ، فَإِنَّ جِسْمي ذَلكَ[٢٢] الـ ـمُضنَى، ومُقلَتِيَ التي لَمْ تَهْجَعِ

(٢١) في (المطبوع): «تدرِ قَدرَ»، خطأ.

(٢٢) في (المطبوع): «ذَلَّلَ»، خطأ.

٥- لو كانَ في دَاءِ الصَّبَابَةِ[٢٣] حِيلةٌ مَا شَبَّ مَاءُ الجَفنِ نَارَ الأَضلُعِ
٦- وإذا الصَّبَا بَعَثَتْ وُفودَ نَسِيمِهَا فَقُلِ: السَّلامُ على اللِّوَى والأَجرُعِ
٧- حَمَلَتْ تَحِيَّاتِ العُذَيبِ وحَاجِرٍ وَتَبَسَّمَتْ، فَفَهِمْتُ ما لَمْ أَسْمَعِ
٨- وكأَنَّمَا رَقَصَتْ قُدُودُ غُصُونِهَا طَرَبًا؛ لِطِيبِ حَدِيثِهَا المُتَضَوِّعِ
٩- كَلَفي بِمَحجُوبِ الجَمَالِ مُنَزَّهٌ[٢٤] الـ ـوَجَناتِ عَن كَلَفِ البُدُورِ الطُّلَّعِ
١٠- لانَتْ على الشَّكوَى مَعَاطِفُ قَدِّهِ لِينَ القَضيبِ مَعَ النَّسِيمِ المُولَعِ

وهذا البيتُ يَكونُ في آخرِ القِطعَةِ:

١١- فَجَعَلتُ نُقْلي لَثمَهُ، ومَدَائحي في الظَّاهِرِ المَلِكِ الغِيَاثِ الأَروَعِ[٢٥]

التخريج: تأهيل الغريب للنواجيّ (المخطوط) ق ١٧٧، (المطبوع) ٦١٠-٦١١.

قُلتُ: الأَبياتُ بَعدَ البيتِ التاسع وقبل العاشر مَذكورةٌ في (فوات الوفيات)، وعددها تسعة، لذا لم نَذكرها هنا، وما بينها وَارِدٌ في (تأهيل الغريب)، فقام مُحَقِّقُهُ د. أحمد محمد عطا بِفَصْلِ القَصيدَةِ إلى اثنتين، وقال: «خلط الناسخ بين هذه الأبيات وأبيات أخرى لشرف الدين الحلي في مقطوعة واحدة، ونسبت لشرف الدين المذكور، لذا فصلنا تلك الأبيات عن أبيات شرف الدين الحلي وجعلناهما في مقطوعتين»!

وما فَعَلهُ عَينُ الخَطَأ ! فالأَبياتُ كاملة هي من قَصِيدَةٍ واحدةٍ في الكتاب الأخير نَفسِهِ، وأخطأ ثانيةً عندما حَدَّدَ بَحرَ القَصيدةِ بـ(البسيط)!

ورجعتُ إلى (المخطوط) من هذا الكتاب، وإذا بالديباجةِ فيهِ: «الشرف بن إسماعيل الراجح الحليّ (كذا)، وهي في ديوانِ ابنِ السَّاعاتيِّ في مدح ابن بهرام»، وليستْ هذهِ الدِّيباجَةُ في (المطبوع) سِوَى نِسبَتِهَا إلى راجح الحلِّيِّ، وهذهِ بَعضُ هَفَوَاتِ هذا «التحقيق» المُثْقَلِ بالأَوهَامِ العِظَامِ، ورَجَعتُ إلى دِيوَانِ ابنِ السَّاعاتيِّ، فَإِذا هيَ وَارِدَةٌ فِيه ٢/ ٨٩-٩٠، مع أبياتٍ أُخَر كثيرَةٍ، ما عدَا الأَخير فهوَ لرَاجح، لذا لم نَضَعَ هذهِ القصيدةَ بِرِمَّتِهَا في (المنسوب).

---

(٢٣) في (المطبوع): «ذا الصبابة»، خطأ.

(٢٤) في (المطبوع): «مُمَنَّعُ»، وأَثْبَتنَا مَا وَرَدَ في (المخطوط)، وديوان ابن السَّاعاتيّ.

(٢٥) في (المطبوع): «الأورع»، خطأ.

[٤]

قَالَ: [الكامل]

١- إِنَّ الأُلى بِقَدِيمِ عَهْدِي لَمْ يَفُوا ... وعَدُوا مُحِبَّهُمُ الجَمِيلَ فَأَخلَفُوا
٢- صَدُّوا، فَيَا للهِ مِنْ قَلْبِ شَجٍ ... بِهِمُ، وطَرْفٍ بِالمَدَامِعِ يَطرفُ
٣- وَجدي كمَا شَاءَ الهَوَى مُتَضَاعِفٌ ... في حُبِّهِمْ وقُوَى التَّصَبُّرُ تَضعُفُ
٤- مَا أَنصَفَ المُشتَاقَ حُكَّامُ الهَوَى ... هَيهَاتَ ذَلِكَ، أَينَ أَينَ المُنصِفُ؟
٥- لو كانَ في شَرْعِ الغَرَامِ مُطَالِبٌ ... وَجَبَتْ غَرَامَةُ كُلِّ قَلْبٍ أَتلَفُوا
٦- إِنِّي صَبَرتُ على أَذَى هِجْرَانِهِمْ ... مُتَجَاهِلًا في حُبِّهِمْ مَا أَعرِفُ
٧- وحَمَلْتُ أَعبَاءَ الغَرَامِ، وَلَمْ أَقُلْ: ... يَا قَلْبُ دَعْ تَذْكَارَهُمْ، قَد أَسرَفُوا
٨- في طَاعَةِ الوَجدِ المُبَرِّحِ والأَسَى ... عَينٌ بِهِمْ عَبْرَى، وقَلْبٌ مُدنَفُ
٩- ولقَد حَنَوتُ على الأَحِبَّةِ عَاطِفًا ... قَلْبي، فلمْ يَحنُوا، ولمْ يَتَعَطَّفُوا
١٠- وإِذا تَكَلَّفتُ التَّصَبُّرَ عَنهُمُ ... أَتَتِ الطِّبَاعُ بِضِدِّ مَا أَتَكَلَّفُ
١١- وأَغَنُّ، أَمَّا طَرفُهُ فَمُهَنَّدٌ ... مَاضٍ، وأَمَّا عِطْفُهُ فَمُثَقَّفُ
١٢- وَسْنَانُ أَجيَدُ فَهْوَ ظَبْيٌ أَحوَرٌ ... رَيَّانُ أَملَدُ فَهوَ غُصْنٌ أَهيَفُ
١٣- وَاهي المَعَاقِدِ خَصرُهُ لو يَنثَني ... خَصِرُ[٢٦] المَرَاشِفِ رِيقُهُ لو يُرشَفُ
١٤- في خَدِّهِ رَوضُ المَلاحَةِ نَاضِرٌ ... نَشْوَى اللَّوَاحِظِ، وَردُهُ لا يُقطَفُ
١٥- فَبِنَفسَجي مِن عَارِضَيهِ، ونَرجِسي ... مِنْ مُقلتَيهِ، ورِيقُهُ لي قَرقَفُ
١٦- أَشكُو إِليهِ بَلِيَّتي، فَيُجِيبُني: ... ما الحُبُّ إِلَّا لَوعَةٌ وتَأَسُّفُ

التخريج: ثغور المدح البواسم ٢٧٨-٢٧٩.

[٥]

أوردَ الدوكاليُّ عن (شعراء الحلة) للخاقانيُّ مقطَّعةً في أربعة أبيات، أوَّلها:

(٢٦) الخصر: البارد. وفي الأصل: «خضر» تصحيف.

لِمَـــنْ سَـــهْمٌ تُفَوِّقُـــهُ إِلَـى قَلبِـي فَيَرشـقُهُ؟

ويُستَدرَكُ عليها: [مجزوء الوافر]

١- فَيَـــا للهِ طَـــرفٌ لَا يَـــرِقُّ لَـــهُ مُورِقُـــهُ!
٢- وَلَا أَبقَـى سِـوَى دَمْـعِ غَـــدَاةَ الْبَـــينِ يُنْفِقُـــهُ
٣- وَذي هَيَـفٍ يُـزَرُّ علـى قَضِـيبِ البَـانِ يَلْمِقُـهُ
٤- وجَـاري أَدمُعـي أَبَـدًا علـى العَـادَاتِ يُطلِقُـهُ
٥- لَـهُ خَـدٌّ يَرُوقُـكَ مِنْـ ـــهُ بَهْجَتُـــهُ ورَونَقُـــهُ
٦- فَمِـــنْ نَـــارٍ تُلَيِّنُـــهُ وَمِـــنْ مَـــاءٍ يُرَقرِقُـــهُ
٧- فَلَيتَ وِصَـالُهُ حَظًّـا[٢٧] يُنَـالُ فَكُنـتُ أُرزَقُـهُ
٨- تثَنَّـــى فـــي ذُؤَابَتِـــهِ فـراق الطَّـرفَ مُورِقُـهُ
٩- أُلاحِظُـــهُ فـــلا رَمَـــقٌ لِقَلبـي حِـينَ أَرمُقُـهُ
١٠- ويَعـذُبُ فِيـهِ تَعـذِيبي علـى خُلُـقٍ يُنَزِّقُـهُ
١١- فَيَـــا رَشَـــأً مُتَيَّمُـــهُ بِنَـارِ الشَّـوقِ يُحرِقُـهُ
١٢- أَمَـا تَحنُـو علـى دَنِـفٍ سُـيُولُ الـدَّمع تُغرِقُـهُ؟
١٣- أَتُظْمِـي طَرفَـهُ أَبَـدًا وبِـالعَبَرَاتِ تُشْـرِقُهُ؟
١٤- فَهَـبْ لِلمُسْـتَهَامِ كَـرًى لَعَـلَّ الطَّيـفَ يَطرُقُـهُ
١٥- رَضِـيتُ بِـزَورَةٍ زُورًا فَـدَعْ وَعـدًا يُصَـدِّقُهُ
١٦- وَكَمْ لَيلٍ مَضَـى وَاللَّهْـ ـــوُ يَسْـرِقُني وأَسـرِقُهُ
١٧- أَدَرتُ عَليَّ شَمْسَ الـرَّا حِ حَتَّى انجَابَ مَغسَـقُهُ
١٨- على رَوضٍ يَرُوقُ العَيْـ ـــنَ أَبيَضُـــهُ وأَزرَقُـــهُ
١٩- تَمُـرُّ رِيَاحُـهُ نَشْـوَى علـــى رَوضٍ تُفَتِّقُـــهُ

(٢٧) لو قال: «فليتَ وِصَالَهُ حَظٌّ» لكانَ أَجوَد.

٢٠- وَإِنْ نَشْرُ الخُزَامَى فَا حَ قُمْتُ إِلَيْهِ أَنشَقُهُ
٢١- بِحَيْثُ حَمَامُهُ غَرِدٌ لَهُ نَغَمٌ يُشَوِّقُهُ
٢٢- تُظِلُّ الدَّوحُ رَاقِصَهُ وجَدوَلُهُ مُصَفِّقُهُ
٢٣- كَأَنَّ مَدَائِحَ السُّلطَا نِ يَتلُوهَا مُطَوَّقُهُ
٢٤- مَلِيكٌ يُوسُفِيُّ الخَيْـ ـمِ مَحْضُ الأَصْلِ مُعرِقُهُ

التخريج: الوافي بالوفيات ١٤/ ٥٦-٥٧، إنسان العيون ٣٠٧-٣٠٨.

[٦]

قال الشَّرَفُ الحِلِّيُّ، مِن قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

١- ليسَ التَّغَزُّلُ في الأَحبَابِ مِنْ شُغُلي ولا البُكاءُ على رَسْمٍ وَلا طَلَلِ
٢- لو كنتَ أَنتَ مُنادَى الطُّورِ مَا خُلِعَتْ نَعلاكَ تَكْرُمَةً تَعلُو على الجَبَلِ
٣- ولا تَوَلَّيتَ إِذ صَادَ العصا حَنَشًا حتَّى أُمِرتَ بِإِقبالٍ بِلا وَجَلِ
٤- كلَّا ولا قَصَدوا يَومَ النَّوَى حَجَرًا وفي يَمِينِكَ يَنبُوعٌ مِنَ الهَطَلِ
٥- كلَّا ولا ضَلَّ قَومٌ[٢٨] أَنتَ قَائِدُهُمْ ونُورُ وَجهِكَ يَهْدِيهِمْ إِلى السُّبُلِ

التخريج: اللفظُ الوجيزُ المستنبطُ مِنَ الكتابِ العزيز (غير مُرَقَّمٍ).

[٧]

مِمَّا يُستَدركُ على القِطعَةِ (١٣٧)، بعد البيت ٤، قوله: [الطويل]

١- وفَوقَ يَوَاقِيتِ الشِّفَاهِ زَبَرجَدٌ نَقَشْتَ بِهِ أَفرادَ دُرٍّ مُنَظَّمِ

ويأتي بَعدَ البَيتِ :٤٣

٢- فَيَا مَنْ لَهُ يَومَ النَّوالِ أَنامِلٌ إِليهَا الغُيُوثُ المُستَهِلَّةُ تَنتمي

التخريج: بُغيةُ الطَّلبِ ٨/ ٣٥٤٣، ٣٥٤٤.

(٢٨) في الأصل: «قومًا».

[٨]

ممَّا يُستَدرَكُ على القطعة (١٨١)، بعد البيت ٣١، قوله: [البسيط]

١- تَلاعَبَتْ بِصُروفِ الدَّهرِ سَـطْوَتُكُمْ تَلاعُبَ الرِّيحِ في الآذِيِّ[٢٩] بِالسُّـفُنِ

وبَعدَ البَيتِ ٣٥ يَرِدُ:

٢- دَعُوا العُلا أَو فَعُدُّوا مِثلَ سُؤْدَدِهِمْ (هذي المَنَاقِبُ لا قَعبَانِ مِن لَبَنِ)[٣٠]

وبَعدَ البَيتِ ٣٧ يأتي:

٣- مَا يَستَوي العُـودُ مُشْـتَدًّا عَرِيكتُـهُ (وابنُ اللَّبونِ إذا مَا لُزَّ فـي قَـرَنِ)[٣١]

٤- يَا مَنْ يَطُوفُ بـهِ وَفـدُ العُفـاةِ كمَـا طافَ الحَجِـيجُ بِبَيـتِ اللهِ والـرُّكُنِ

التخريج: بغية الطلب ٢/ ٣٥٤٢.

* * *

المصادر والمراجع

المَخطُوطةُ:

- إِنسَانُ العُيُونِ في مَشَاهِيرِ سَادِسِ القُرُونِ: أَحمد بن محمَّد بن عمر المعروف بـابن أبـي عُذيبـة (ت٨٥٦هـ)، مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، رقم الفلم ٥٩، رقم الكتاب ٢٤٨.
- تَأهيلُ الغَريبِ: مُحمَّد بن حسن النَّـواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، كتابخانـه مجلـس شـوراي ملـي، طهران، الرقم ٨٧٧.
- التَّعليقةُ في أَخبَارِ الشُّعَرَاءِ: عزُّ الدِّين عبد العزيز بن محمـد ابـن جماعـة (ت ٧٦٧هـ)، دار الكتب بباريس، الرقم (١٣٧٨) أَدَبيَّات.
- اللَّفظُ الوَجيزُ المُستَنبَطُ مِنَ الكِتَابِ العَزِيزِ[٣٢]: يُوسُف بن سيف الدولـة بـن زمَّـاخ الحمـدانيّ المهمندار (ت ٦٧٠هـ)، دار الكتب المِصريَّة، القاهرة، بالرقم ١٢٣ بلاغة.

(٢٩) الآذِيُّ: المَوجُ. تاج العروس (أذى) ٣٧/ ٥٩.

(٣٠) العجز مضمَّن، وهو لأُميَّة بن أبي الصَّلت.

(٣١) العجز مضمَّن، وهو لسحيم بن وثيل الرياحيّ.

(٣٢) انتهينا من تحقيقهِ وجَمْعِ شِعرِ مُؤَلِّفِهِ منذ سنة ٢٠١١م.

- مَسَالِكُ الأَبصارِ في مَمَالكِ الأَمصَارِ: أَحمد بن يحيَى العُمَريّ (ت ٧٤٩هـ)، أَشرَفَ على تصويرِهِ فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلاميَّة، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٨م.

المطبوعةُ:

- إِتحَافُ الأَخِصَّا بِفَضَائِلِ المَسجِدِ الأَقصَى: شمس الدِّين محمد بن أحمد بن علي المنهاجيّ الأسيوطيّ (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق د. أَحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ١٩٨٢/ ١٩٨٤م.
- أُدباءُ حلبُونَ: د. جواد أحمد عَلْوَش، منشورات عويدات، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الأَعلامُ: خير الدِّين الزِّرِكْليّ (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.
- أَعيَانُ الشِّيْعَةِ: السَّيِّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١هـ)، مطبعة الإنصاف، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- البَابِليَّاتُ: الشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ (ت ١٣٨٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٤م.
- بُغيَةُ الطَّلبِ في تاريخ حَلب: عمر بن محمد ابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تَحقِيق د. سهيل زكار، دار الفكر، دِمشق، ١٩٨٨م.
- تَاجُ العَرُوسِ مِن جَوَاهِرِ القَامُوس: محمَّد مُرتَضَى الحُسينيّ الزَّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة مُحقِّقين، مطبعة حكومة الكُويت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- تاريخُ الأدبِ العربيِّ: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، ترجمة حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٥م.
- تَأهِيلُ الغَرِيبِ: أَبو بكر بن عليّ بن عبد الله الحمويّ (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق محمود حسن المصريّ، نادي المدينة المُنوَّرة الأَدبيّ، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- تَأهِيلُ الغَرِيبِ: محمَّد بن حسن النَّواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق د. أحمد محمد عطا، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- تَذكرةُ ابنِ العَدِيم: كمال الدين ابن أَبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، عُنِيَ بتحقيقِهِ إبراهيم صالح، المجمع الثقافيّ، أبو ظبي، ١٤١٠هـ/ ٢٠١٠م.
- التكملةُ لِوَفَيَاتِ النَّقلة: عبد العظيم بن عبد القويِّ المنذريّ (ت ٦٥٦هـ)، حَقَّقَهُ وعلَّقَ عليه د. بشَّار عوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ثُغُورُ المدحِ البَواسِم: شهاب الدين إسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن القُوصيّ (ت ٦٥٣هـ)، دراسة وتحقيق إيمان عمران عبد الله أبو دهيم، أُطروحة دكتوراه، كليَّة الدِّراسات العُليا، الجامعة الأُردنيَّة، ٢٠١٤م.
- حَلْبَةُ الكُمَيتِ في الأَدَبِ والنَّوَادِرِ: محمَّد بن حسن النَّواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، المطبعة المصريَّة، القاهرة، ١٢٢٧هـ/ ١٨٥٩م.

- خِزَانَةُ الأَدَبِ وغَايَةُ الأَرَبِ: أبو بكر بن عليّ بنِ عبد الله، المعروفُ بابنِ حجَّة الحَمَويّ (ت ٨٣٧هـ)، طبعة حجرية، القاهرة.
- طبعة أُخرَى: شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
- طبعة أُخرَى: تحقيق د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- الدُّرُّ المَصُونُ المُسَمَّى بِسِحرِ العُيُون: أبو بكر تَقيّ الدِّين البدريّ الدِّمَشقيّ (ت٨٩٤هـ)، تحقيق سيِّد صدِّيق عبد الفتاح، دار الشَّعب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ديوانُ ابنِ السَّاعاتي (ت ٦٠٤هـ)، حقَّقَهُ أنيس المقدسيّ، الجامعة الأَمريكيَّة، بيروت، ١٩٣٨-١٩٣٩م.
- ديوانُ راجح الحليّ، تحقيق ودراسة أميرة عبد الله محمود، رسالةُ ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ديوانُ شرفِ الدِّينِ الحِلِّيّ أَبي الوَفَاءِ راجح الحلِّيّ (ت ٦٢٧هـ)، تحقيق ودراسة د. الدوكاليّ محمد نصر، كليَّة الدعوة الإِسلامِيَّة، طرابلس، ليبيا، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٤م.
- ديوانُ صفيِّ الدِّين الحِلِّيّ (ت٧٥٠هـ)، تحقيق كرم البُستانيّ، دار صادر-دار بيروت، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
- السُّلُوكُ لِمَعرِفَةِ دُوَلِ المُلُوكِ: أَحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد مصطفَى زيادة، دار الكتبِ المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م.
- شُعرَاءُ الحِلَّةِ أَو البابليات: عليّ الخاقانيّ (ت ١٣٩٩هـ)، مكتبةُ البيان، بغداد، ط ١، ١٩٥٢م. ط ٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- العِبرُ في خَبَرِ مَن غَبَر: شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المُنَجِّد، الكويت، ١٩٩٦م.
- فهرسُ المخطوطات العربيَّة في جامعة برنستون: تعريب وتحقيق محمد عايش، جدَّة، سقيفة الصفا العلمية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- فَوَاتُ الوَفَيَاتِ والذَّيلُ عليها: محمَّد بن شاكر الكُتُبيُّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- كنزُ الدُّرَرِ وجَامِعُ الغُرَرِ (الدُّرُّ الفَاخِرُ في سِيرَةِ المَلِكِ النَّاصِرِ): أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدَّوَادَاريّ (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق أولرخ هارمان، المعهد الأَلماني للآثار، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- مَسَالكُ الأَبصَارِ في مَمَالِكِ الأَمصَارِ: أحمدُ بنُ يَحيَى العُمَريُّ (ت ٧٤٩هـ)، تَحقِيق كامل سلمان الجبوريّ، دارُ الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٠م.
- مَطالعُ البُدُورِ في مَنَازِلِ السُّرُورِ: علاء الدين عليّ بن عبد الله الغزوليّ (ت ٨١٥هـ)، مطبعة الوطن، القاهرة، ١٣٠٠هـ.

- طبعة أُخرَى: حقَّقهُ وعلَّقَ حَوَاشيهِ التّجاني سعيد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- مُعجَمُ الدَّوَاوِينِ وَالمُجَامِيعِ الشِّعرِيَّةِ التي حَقَّقَهَا العِرَاقِيُّونَ حَتَّى سنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م: د. عباس هاني الجراخ، مركز إحياء التراث التَّابع لدار مخطوطات العتبة العباسيَّة المُقَدَّسَة، مطبعة دار الكفيل، كربلاء، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- المكتبةُ الشعريةُ في العَصرِ العبَّاسيِّ (١٣٢هـ-٦٥٦هـ)، ثَبَتٌ وفَهرَسَةٌ وَصفِيَّةٌ تَحليليَّةٌ للدَّواوين والمجاميع الشِّعريَّة: د. مجاهد مُصطفَى بهجت، دار البشير للنشر والتوزيع، عمَّان، ١٩٩٤م.
- المواعظُ والاعتبارُ بِذِكْرِ الخططِ والآثارِ: تقيّ الدِّين أَحمد بن عليّ بن عبد القادر المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٨هـ.
- النُّجُومُ الزَّاهرةُ في مُلُوكِ مِصر والقاهرة: جمال الدين يُوسُفُ بنُ تَغري بَردي (ت ٨٧٤هـ)، مطبعة دار الكتب المِصريَّة، القاهرة، ١٩٣٦م.
- نَسْمَةُ السَّحَرِ بِذِكْرِ مَنْ تَشَيَّعَ وشَعَر: الشريف يوسف بن يحيَى الحَسنِيّ اليمانيّ الصنعانيّ (ت ١١٢١هـ)، تَحقِيق كامل سلمان الجُبُوريّ، دار المؤرخ العربيّ، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- نشر الشِّعر وتحقيقه في العراق: د. علي جواد الطاهر وعباس هاني الجراخ، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٠م.
- الوَافي بِالوَفَيَاتِ: خليل بن أَيبك الصَّفَدِيّ (ت ٧٦٤هـ)، جمعية المستشرقين الأَلمانيَّة، فرانز شتاينر، بيروت.
- وَفَيَاتُ الأَعيَانِ وأَنباءُ أَبناء الزَّمان: أحمد بن محمد ابن خلِّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثَّقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

الدَّوريَّاتُ:

- راجح الحلي: د. جواد أحمد علوش، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٠، جامعة بغداد، ١٩٦٢م.
- شَرَفُ الدِّينِ الحلِّيّ أبو الوفاء راجح الحلِّيّ (ملامح مِن سِيرَتِهِ وشِعرِهِ): أميرة محمود عبد الله، مجلة كلية التربية الأساسيَّة للعُلُومِ التَّربويَّةِ والإِنسَانِيَّةِ/ جامعة بابل، ع ٢٨، ٢٠١٦م.

* * *

شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت
نقد واستدراك

د. خليل محمّد أيّوب(*)

أوّلًا: تقديم:

عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت شاعرٌ ورِث الشّعر كابرًا عن كابر، عن أبيه عن جدّه، ثمّ أورثه من بعده ابنَه، حتّى قال المبرّد عن أهل بيته «وأعرقُ قوم كانوا في الشّعر آلُ حسَّان؛ فإنهم كانوا يعتدُّون ستّةً في نَسَقٍ كلُّهم شاعرٌ، وهم سعيد بن عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت بن المنذر بن حرام»[(١)] وهو الّذي عناه والده حسَّان بقوله[(٢)]:

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

وقد نهض أهل العلم منذ القديم، لجمع أشعاره وتتبُّع أخباره، فصنعَ له أبو الحسن عليّ بن محمّد المدائنيّ (٢٢٥هـ) كتابًا أسماه «مهاجاةُ عبد الرَّحمن بن حسَّان النّجاشيَّ»[(٣)]، ثمّ صنّف في أخباره الزّبيرُ بن بكّار القرشيّ

(*) باحث في اللغة والتراث من سورية.
ورد إلى المجمع بتاريخ ٩/ ١١/ ٢٠٢٢م.

(١) الكامل في اللّغة والأدب، ١/ ٣٤٢.

(٢) ديوان حسَّان بن ثابت، ١/ ٤٤٧.

(٣) الفهرست، ١/ ٣٢١، ومعجم الأدباء، ٣/ ١٣٢٦.

(٢٥٦هـ) كتابًا سمّاه «أخبار عبد الرَّحمن بن حسَّان»[٤]، وتُوِّجت هذه الأعمالُ بصنع ديوان[٥] له، صنعَه أبو سعيد السّكّريّ (٢٧٥هـ). ولكنّ شيئًا من هذه التآليف لم يصل إلينا، وضاع فيما ضاع من شعرنا وتراثنا.

فتوارى شعرُ عبد الرَّحمن زمانًا طويلًا، إلّا ما كان يلوح منه في الكتب والمعجمات مفرَّقا منجّمًا بين وقتٍ وآخر، واستمرّت هذه الحال إلى أن وقع الدّكتور سامي مكّي العاني على مخطوطة للأخبار الموفّقيّات تضمّنتْ كثيرًا من أخبار عبد الرَّحمن وأشعاره، فانبرى لجمع ما تضمّنته من شعره، ثم ضمّ إليه ما تناثر من أشعاره في مظانّ أخرَ كحماسة البحتريّ والأغاني وغيرهما، فخرج بديوان صغير الحجم، أسماه: شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت، صدر سنة ١٩٧١م.

على أنّ الدّكتور العاني لم يستوفِ في مجموعه كلَّ شعر عبد الرَّحمن؛ ولم يعطه حقّه من الإحسان والتّجويد، وذلك دفعني إلى النّظر فيما جمعه، وتتبّعِ ما فاته، فكانت هذه الدّراسة النّاقدة المستدرِكة، الّتي كسرتها على قسمين: الأوّل: نظرات نقديّة في مجموع شعر عبد الرَّحمن. والثّاني مستدرك، وقد قسمت المستدرك قسمين: الأوّل: المنسوب إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان، والثّاني: المتنازَع في نسبته. وراعيت فيه ما يأتي:

١- ترتيب الشّعر بحسب القوافي.

٢- تخريج الشّعر من مظانّه تخريجًا شاملًا ما أمكن، ولا سيّ المنسوب إلى عبد الرَّحمن.

٣- التّنبيه على اختلاف الرّوايات، ولا سيّما في الشّعر المنسوب،

(٤) الفهرست، ١/ ٣٤٢، ومعجم الأدباء، ٤/ ١٨٥٨.

(٥) يُنظر: الفهرست، ١/ ٤٩١.

والإعراضُ عن ذلك في المتنازَع.

٤- إدراج البيت المتنازَع في نسبته في قسم الشّعر المنسوب إذا كان جزءًا من قصيدة، أو مقطّعة أطبقت المصادر على نسبتها إلى عبد الرَّحمن مع التّنبيه في الحاشية على تنازع النّسبة.

على أنّه ينبغي التّنبيه على أنّ ثمَّةَ مقالة للدّكتور يحيى الجبوري سَبَقَتْ هذه الدّراسة، وعنوانُها: «المستدرك على شعر عبد الرَّحمن»، وقد قسمها ثلاثة أقسام: قسم استدرك فيه بعض الأشعار التي فاتت العاني، واستغرق منه أربعَ صفحات ونصفًا، وقسم استدرك فيه على المحقّق اختلاف الرّوايات ومصادرَ التّخريج، وثالث صحّح فيه أخطاء الضّبط والتّحقيق والوزن.

وإذا كان ذلك كذلك فثَمَّ سؤال وجيه، وهو: ما الدّاعي إلى هذه الدّراسة وقد سُبِقَتْ بمثلها، وهل ثمّة فرق بين ما كُتِب، وما سيُكْتَب؟ والجواب عن هذا السّؤال: أنّ الدّراسة ستعرض لقضايا مهمّةٍ، لم تعرض لها مقالة الجبوري، كنسبة شعرٍ لعبد الرّحمن، وهو ليس له، وتنزيلِ الشّعر الموضوع منزلة الصّحيح الثّابت، ثمّ ستضيف فوائت شردت عن المجموع، وعن المقالة، وهي فوائت ليست بالنّادرة، ولا القليلة، مع تخريجها تخريجًا وافيًا، وستميّز بين ما نُسب إلى عبد الرَّحمن، وما تنازعت المصادر في نسبته.

وستتّضح أهمّية هذا المستدرك بعرضه على مستدرك الجبوري الّذي تبدو عليه علامات التّعجّل، ومن تلك العلامات: عدمُ تمييزه في كثير من المستدركات بين المنسوب والمتنازَع في نسبته، واقتصارُه في التّخريج على مصدر واحد، مع أنّه كان يستدرك في مقالته على العاني مصادر لم يرجع إليها في التّخريج، ونسبتُه أشعارًا إلى عبد الرَّحمن وهي لغيره. لذا يمكن القول: إنّ هذه الدّراسة هي تتميم للمجموع ولمقالةِ الجبوري، ونقدٌ لهما في آن واحدٍ.

ثانياً: نظرات نقديّة في مجموع شعر عبد الرَّحمن:

لن تُعنى هذه الفقرة بمشكلات الضّبط والتّوثيق والتّخريج التي يواجهها قارئ المجموع، فقد سُبِقَتْ إلى ذلك بمقالة الجبوري، وإنّما ستُعنى بقضايا أُخَر، وهذه القضايا هي:

١- نسبُ العاني شعراً لعبد الرَّحمن، وهو لغيره:

وذلك في أربعة مواضع، وهذا كثير بالنّظر إلى صغر حجم الدّيوان، وهو دالّ على شيء من التّعجّل وعدم التّدقيق، وهي:

الموضع الأوّل، ص١٧:

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

نسب العاني هذا البيت إلى عبد الرَّحمن، وأحال على كتاب التّحفة اللّطيفة، لكنّ الّذي في التّحفة ٢/ ٤٨٠- ٤٨٢: «عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت الشّاعر وابن الشاعر، يقال: إنّه أدرك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وصَحِبَ عمرَ رضي الله عنه، وقد خرَّج له ابن ماجة، وفيه يقول بعضهم:

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَثَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

وهذا الذي جاء في التّحفة: «وفيه يقول بعضهم:...» منقول عن تاريخ الإسلام، ٢/ ٦٧٣، ففيه: «ولعبد الرَّحمن شعر سائر، وفيه يقول بعضهم:...» والضّمير في قوله: (فيه) راجع إلى عبد الرَّحمن، والمراد من (بعضهم) حسَّان بن ثابت رضي الله عنه؛ قاله رثاء[٦] لزيد بن ثابت - رضي الله عنهما -. والبيت في ديوان حسَّان، تح: عرفات، ١/ ٤٧٤، وشرح ديوان حسَّان، ص٦٧، وهو له في سائر المصادر كالمحكم ١١/ ١٧٦، والعقد الفريد، ٤/ ١٦٣، وتاريخ دمشق، ١٩/ ٣٤١، ولسان العرب، (ثني)،

(٦) يُنظر: الإصابة في تمييز الصّحابة، ٤/ ٤٣.

والإصابة ٧/ ٢١٣، وتاج العروس، (ثني)، وغير ذلك.

الموضع الثاني، ص٢٧:

أَبْلِيَانِي اليَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمَا إِنَّ حُزْنًا مِنْكُمَا بَادٍ لَشَرْ
لَا أَرَانِي اليَوْمَ إِلَّا مَيِّتًا إِنَّ بَعْدَ المَوْتِ دَارَ المُسْتَقَرْ

هذا الشّعر لهُدْبَة بن الخَشْرَم، وقد أطبقت المصادر على ذلك، فهو في ديوانه، ص١٠٧ والكامل في اللّغة والأدب، ٣/ ١٤٥٥، والأغاني ٢١/ ١٨٩، والتّذكرة الحمدونيّة، ٣/ ٤٠ والدّرّ الفريد، ٩/ ١٠٩، وخزانة الأدب، ٩/ ٣٣٩، وغيرها. ولم ينسبه إلى عبد الرَّحمن غير الدّكتور العاني مستندًا إلى كتاب المحاسن والمساوئ، والكتاب براء من ذلك، وهذا خبر المحاسن، يقول: «هُدْبَة بن خَشْرَم قتل ابن عمّ له يُسمّى زيادة بن زيد، فحُبس ليقاد به، فلم يزل محبوسًا حتّى شبّ ابن المقتول، فدخل عليه السّجن وهو يلاعب صاحبًا له بالشّطرنج، فقيل له: قم إلى القتل! فقال: حتّى أفرغ من لعبتي. فلمّا فرغ خرج وجعل يهرول؛ فقيل له: ما بالك تأتي الموت هكذا؟ فقال: لا آتيه إلا شدًّا. فلقيه عبد الرَّحمن بن حسَّان فقال: أنشدني؛ فأنشده:

أَلَا عَلِّلَانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ وَقَبْلَ اطِّلَاعِ النَّفْسِ بَيْنَ الجَوَانِحِ

قال: ثمّ أُقْعِدَ ليقاد، فنظر إلى أبويه فقال:

أَبْلِيَانِي اليَوْمَ صَبْرًا مِنْكُمَا إِنَّ حُزْنًا مِنْكُمَا بَادٍ لَشَرْ[٧]

الموضع الثّالث، ص٣١:

وَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ القَفا وَالوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزَعَا
وَكُونِي حَبِيسًا أَوْ لِأَرْوَعِ مَاجِدٍ إِذَا ضَنَّ أَغْسَاسُ الرِّجَالِ تَبَرُّعَا

هذا الشّعر قاله هدبةُ يخاطب امرأته في خبر البيت السّابق، وهو في ديوانه

(٧) المحاسن والمساوئ، ص ٥١٣، ٥١٤.

ص١١٤، ١١٥، وحماسة البحتري، ص٢٦٥، والكامل، ٣/ ١٤٥٤ ص٢٦٥ والأغاني ٢١/ ١٨٩، والمحاسن والمساوئ، ص٥١٣، وغير ذلك كثير.

الموضع الرّابع، ص٣١:

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَيْ فَزَارَةُ لَا هَنَاكِ المَرْتَعُ

لم ينسبه أحد إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان قبل الدكتور العاني، ولا أعرف كيف ضُمَّ إلى الأبيات الَّتي مطلعها:

أَبْلِغْ بَنِي الأَشْعَرِ إِنْ جِئْتَهُمْ مَا بَالُ أَبْنَاءِ بَنِي وَاسِعِ

وهو للفرزدق في ديوانه ٢/ ٥٣ باختلاف في رواية بعض ألفاظه، والكتاب، ٣/ ٥٥٤ والكامل في اللّغة والأدب، ٢/ ٦٢٦، ٩٨٤، والمقتضب ١/ ١٦٧، وغير ذلك كثير. والعجيب أنّ الدّكتور العاني لم يخرّج البيت، واكتفى بتخريج الأبيات ١-٤ في حاشية الشّعر بذكر الموفّقيّات والأغاني، وفي موضع التّخريج، ص٦٥ بذكر الأغاني وأسد الغابة، والبيت ليس في هذه المصادر، والأبيات ١-٤ ليست في أسد الغابة، بلهَ بيتَ الفرزدق.

وهذا الّذي زلَّتْ فيه قدمُ الدّكتور العاني، لم يسلم منه الدّكتور يحيى الجبوري الّذي نَقَدَ عمل المحقق نقدات لاذعة، فقد نسب إلى عبد الرَّحمن شعرًا، وهو لغيره في ثلاثة مواضع، وهي:

الموضع الأوّل، ص٧٣٧: أضاف الدّكتور الجبوري إلى المقطّعة ١٤، في شعر عبد الرَّحمن ص٢١، ٢٢:

مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا: عَاجِزٌ وَجَلِيدُ

وَلَيْسَ الغِنَى وَالفَقْرُ مِنْ حِيْلَةِ الفَتَى وَلَكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُوْدُ

وَإِنَّ امْرَأً يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

بيتين نسبهما إلى عبد الرَّحمن، وهما:

إِذَا المَـرْءُ أَعْيَتْـهُ المُـرُوءَةُ نَاشِـئًا فَمَطْلَبُهَـا كَهْـلًا عَلَيْـهِ شَـدِيدُ

وَكَـائِنْ رَأَيْنَـا مِـنْ غَنِـيٍّ مُـذَمَّمٍ وَصُعْلُوكِ قَـوْمٍ مَـاتَ وَهْـوَ حَمِيـدُ

وأحال في ذلك على شرح المرزوقيّ، ٢/ ١١٤٨، وهي إحالة غريبة؛ إذ إنّ المرزوقيّ لم ينسبهما إلى عبد الرَّحمن، بل إلى رجل من بني قُرَيْع متابعًا في ذلك نسبة الحماسة. ولعلّ مسوّغه في ذلك أنّ هذين البيتين سُبِقا في الحماسة بالبيتين الأوّل والثّاني المنسوبين إلى عبد الرَّحمن في شعره، وهذا مسوّغ لا يصحّ عند التّحقيق، فهذه المقطّعة النّي نسبها العاني إلى عبد الرَّحمن لا تصحّ له، وقد تفرّد بنسبتها إليه زهر الآداب، ٢/ ٢٣٠-٢٣٢، ونصّ على أنّ الثّالث منها رواه الجاحظ لعبد الرَّحمن، لكنّ الجاحظ في البيان والتّبيين، ٢/ ٣٦٤ والحيوان، ١/ ٢٤، ٣/ ٥١ لم ينسب الثّالث لعبد الرَّحمن بل نسبه لولده سعيد، ونُسب لسعيد في المحاسن والمساوئ، ٥٣٧، وتحوّط ابن قتيبة في نسبة البيت الثّالث إلى عبد الرَّحمن، في الشّعر والشّعراء، ١/ ٣٠٧-٣٠٨ فلم يقطع بنسبته إليه، إذ قال: «وقال حسَّان أو ابنه عبد الرَّحمن: قلت شعرًا لم أقل مثله، وهو:...» لكنّه قطع بهذه النّسبة إلى حسَّان في عيون الأخبار، ٢/ ١٩. وهو لحسَّان في ديوانه بطبعتيه حنفي، ص٣٥٢، وعرفات ١/ ، ٤١٤، وفي شرح ديوان حسَّان بن ثابت للبرقوقيّ، ١٤٢ والدّلائل في غريب الحديث، ٣/ ١٠٢٨، والإعجاز والإيجاز، ص١٨٥، وسمط اللآلئ، ١/ ٥٦٨-٥٦٩، والدّرّ الفريد، ١٠/ ١٥٨، ١٠/ ١٧٠. وغيرها من مصادر.

ونُسب الأوّل والثاني لسُوَيْد بن خَذّاقٍ العَبْديّ، في لسان العرب وتاج العروس (حظظ)، ونسبهما لِلْمَعْلُوطِ مع ثلاثة من الأبيات عيون الأخبار ١/ ٣٥٧، ٣/ ٧٧ والدّرّ الفريد ٢/ ٣٢٠-٣٢١، ونسبهما له أيضًا، لكن مع

اثنين، لا مع ثلاثة - وهما اللّذان أضافهما الدّكتور الجبوري إلى شعر عبد الرَّحمن- حماسةُ أبي تمام، ١/ ٥٧٥-٥٧٦، والحماسة البصريّة، ٣/ ٩٣٨، وشرح ديوان الحماسة، ٢/ ١١٤٨، وديوان الحماسة بشرح التّبريزي، ٣/ ١٤٩، لكن من غير التّصريح بالقائل، ففي حماسة أبي تمّام: «قال رجل من بني قريع». وفي الحماسة البصريّة: «قال أعرابيّ من بني قريع». وصرّح باسم الرّجل ابن جنّي في التّنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة، ص٢٩١، ففيه: «قال المَعْلُوطُ بن بَدَلٍ القُرَيْعِيُ». وفي خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، ٣/ ٢١٩ -٢٢١: «وهذه الأبيات لرجل من بني قُرَيع، بِالتَّصغير، وَهُوَ قريع بن عَوْف بن كَعْب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَميم، كذا فِي حماسة أبي تَمّام، وحماسة الأعلم. وعيّنه ابْن جنّي فِي إِعراب الحماسة، فقال: هو المعلوط بن بدل القريعيّ. وَفِي حَاشِيَة صِحَاح الجوهريّ فِي مادَّة (حَظّ): هِيَ للمعلوط السعديّ، وتروى لسويد بن خذّاق العبديّ، وَكَذَا قَالَ ابْن بري فِي أَمَالِيهِ على الصِّحَاح. وَالله أعلم».

وخلاصة القول: إنّ هذا الشّعر مختلف في نسبته، وإِنَّ نسبته إلى عبد الرّحمن غير صحيحة البتَّة، وإِنَّ البيتين اللّذين أضافهما الجبوري لم ينسبهما أحد إلى عبد الرَّحمن على كثرة المصادر الّتي رُوِيَا فيها.

الموضع الثّاني ص٧٤٠:

لَا خَيْرَ فِي الوُدِّ مِمَّنْ لَا تَزَالُ لَهُ مُسْتَشْعِرًا أَبَدًا مِنْ خِيفَةٍ وَجَلَا
إِذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تُسِيْءُ بِهِ ظَنًّا وَتَسْأَلُ عَمَّا قَالَ أَوْ فَعَلَا

نسب الدّكتور الجبوري هذا الشّعر إلى عبد الرَّحمن نقلًا عن عيون الأخبار، طبعة دار الكتب المصريّة، ٤/ ٧٧، وفي هذه النّسبة تحريف؛ والصّواب ما في طبعة منذر أبو شعر لعيون الأخبار ٢/ ٤٩٢ وقد نُسب فيها إلى عبد الله بن حسن،

وعلّق في الحاشية: «كب: عبد الرَّحمن حسن، مص: عبد الرَّحمن بن حسَّان، وكلاهما تحريف». وقد جاء في أمالي القالي ٣/ ١٢٢: «أنشدنا أحمد بن يحيى لعبد الله بن حسن، أو غيره من الهاشميّين» والبيتان في حلية المحاضرة، ١/ ٤٤٠ مع أبيات أخر منسوبة إلى عَبد الله بن معَاوَية بن عبد الله بن جَعفر، ونسب الأوّل منها إلى عبد الله بن معاوية في الدّرّ الفريد أيضًا ١١/ ٢٠٤.

الموضع الثّالث، ص٧٤٠:

يَا أُمَّ بِشْرٍ ثِقِي بِاللهِ وَاعْتَرِفِي ... بِالحَقِّ إنَّ قَضَاءَ اللهِ مَبْرُومُ
وَانْعَيْ أَبَاكِ إِذَا مَا قَالَ مُخْتَبِطٌ ... أَيْنَ الكِرَامُ المَطَاعِينُ المَطَاعِيمُ
مِثْلُ السِّنَانِ لَطِيفُ البَطْنِ لَا مَرِحٌ ... إِنْ نَالَ دُنْيَا وَلَا بِالزَّادِ مَنْهُومُ
لَا يُسْلِمُ الجَارَ وَالمَوْلَى لِعَثْرَتِهِ ... وَلَا يُسَالِمُ وَابْنُ العَمِّ مَظْلُومُ

نسب الجبوري هذه الأبيات إلى عبد الرَّحمن نقلًا عن الأشباه والنّظائر، ٢/ ٣٥٤، ٣٥٥ والصّحيح أنّ الشّعر لعبد الرَّحمن بن حسَّان الكلابيّ، وليس لابن حسَّان بن ثابت فقبل هذا الشّعر بصفحة واحدة ٢/ ٣٥٣ في المصدر: «ولعبد الرَّحمن بن حسَّان الكلابيّ (؟ كذا)»، وساق له قصيدة من ستّة عشر بيتًا، ثمّ قال في الصّفحة اللّاحقة: ٢/ ٣٥٤: «ولعبد الرَّحمن بن حسَّان أيضًا» يقصد الكلابيّ، وساق الشّعر، ثمّ أتبعه بشعر آخر في الصّفحة ٣٥٥: «وله أيضًا:

قَالَتْ سُلَيْمَى وَأَبْصَرَتْ عَجَبًا ... مَالَكَ نِضْوًا وَاللُّبُّ مُشْتَرَكُ

على أنَّه لا يبعد أن يكونَ الكلابيّ محرّفًا عن الأنصاريّ، لكنْ لا يمكن القطع بذلك، والمجازفة بنسبة الشّعر إلى عبد الرّحمن؛ فليس ثمّة ما يمنع من وجود شاعرٍ مقلّ مغمورٍ من بني كلاب وافق اسمُه اسمَ ابن حسّان.

ولعلّه من تتمّة القول في هذا الموضوع الإشارةُ إلى أنّ الدّكتور فخر الدّين قباوة نسب سهوًا وتعجّلًا إلى عبد الرّحمن شعرًا، لم ينسبه إليه أحد

من قبلُ، ففي تخريجه لمقطّعة نُسبت إلى الأخطل مطلعُها:

وَلَهَـــا بِالمَـــاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا[٨]

قـال: «الأبيـات تُنسـب إلـى يزيـد بـن معاويـة... وتُنسـب أيضًـا إلـى الأحوص، وإلى عبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت، وإلـى أبـي دَهْبَـل»[٩]. ولا يبعد عندي أن يكون أحـد مصـادر الـدّكتور قبـاوة – وهـو خزانـة الأدب[١٠] الّـذي خـرّج منـه الشّـعر، هـو مـا أوقعـه فـي ذلـك السّـهو، وتِبيـان ذلـك أنّ البغداديّ استشهد عقب هذه المقطّعة بشعر نُسب إلى عبد الرّحمن وغيره:

طَـــالَ لَيْلِـــي وَبِـــتُّ كَـــالمَجْنُونِ وَاعْتَرَتْنِي الهُمُـومُ بِالمَـاطِرُونِ[١١]

وجاء به تعليقًا على سهو العينيّ في الاستشهاد بشـعر (وَلَهَـا بِالمَـاطِرُونَ..): «حيث نُزِّل منزلة الزّيتون في إلزامه الـواو، وإعرابـه بـالحروف، وصـوابه وإعرابـه بالحركات»[١٢] ثم أورد البغداديُّ بعد ذلك الشّعر الّذي منه هذا الشّاهد، ومطلعه:

صَـــاحِ، حَيَّـــا الإِلَـــهُ حَيًّـــا وَدُورًا عِنْدَ أَصْـلِ القَنَـاةِ مِـنْ جَيْـرُونِ[١٣]

ثم تكلّم على التّنازع في نسـبة هـذا الشّـعر، فقـال: «ويقـال: إنّهـا لعبـد الرّحمن بن حسّان بن ثابت. وذهب إليه الجوهريّ وغيره. وقـال ابـن بـرّيّ: الصّحيح أنّها لأبي دَهْبَل»[١٤] فلعلّ الدّكتور قبـاوة لمـح مـتعجّلًا وُرودَ لفـظ الماطِرون في الشّعرين، ووروده‍ما في موضع واحد، في صفحاتٍ متقاربـة،

(٨) شعر الأخطل، ص٥٥٣.
(٩) المصدر السّابق، ص٥٥٣.
(١٠) خزانة الأدب، ٧/ ٣٠٩ –٣١٩.
(١١) المصدر السّابق، ٧/ ٣١٤.
(١٢) السّابق، ٧/ ٣١٤.
(١٣) السّابق، ٧/ ٣١٤.
(١٤) السّابق، ٧/ ٣١٧.

ثم لمح أيضًا ورودَ اسم أبي دَهْبَل فيمن نُسب إليه الشّعران، فخُيِّلَ إليه أنّ شعر: **وَلَهَا بِالمَاطِرُونَ**... قد نُسب إلى عبد الرّحمن، وما ذلك بصحيح.

٢- تنزيل الشّعر الموضوع منزلة الشّعر الصّحيح الثّابت النّسبة إلى عبد الرَّحمن:

ونواجه هذا في ديوان عبد الرَّحمن في المقطّعتين (٢) و(١١) اللّتين وُضِعَتا على لسانه في قصة مكذوبة نسبت له وللأحوص، ونصّ على ذلك أبو الفرج الأصفهانيّ، يقول: «ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدّمشقي خبر الأحوص مع سلّامة الّتي ذكرها في هذا الشّعر، وهو موضوع لا أشكّ فيه؛ لأنّ شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقط سخيف، لا يشبه نمط الأحوص، والتّوليد بيّنٌ فيه يشهد على أنّه محدَث. والقصّة أيضًا باطلة لا أصل لها؛ ولكنّي ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو محمّد الجزريّ قال: كانت بالمدينة سلّامة من أحسن النساءِ وجهًا وأتمّهن عقلًا، وأحسنهن حديثًا، قد قرأت القرآن، وروت الأشعار، وقالت الشّعر، وكان عبد الرَّحمن بن حسَّان والأحوص بن محمَد يختلفان إليها، فيروّيانها الشّعر، ويناشدانها إيّاه، فعَلِقَتِ الأحوص، وصدّت عن عبد الرَّحمن، فقال لها عبد الرَّحمن يعرّض لها بما ظنّه من ذلك:

أَرَى الإِقْبَالَ مِنْكِ عَلَى خَلِيلِي ... وَمَا لِي فِي حَدِيثِكُمُ نَصِيبُ

فأجابته:

لِأَنَّ اللهَ عَلَّقَهُ فُؤَادِي ... فَحَازَ الحُبَّ دُونَكُمُ الحَبِيبُ

فقال الأحوص:

خَلِيلِي لَا تَلُمْهَا فِي هَوَاهَا ... أَلَذُّ العَيْشِ مَا تَهْوَى القُلُوبُ[١٥]

(١٥) سيُنسب هذا البيت في ذمّ الهوى، ص٥١٩ إلى عبد الرَّحمن، وسيُنسب بيت عبد الرَّحمن إلى الأحوص؛ لأنّ ابن الجوزيّ عكس القصّة، فجعل سلّامة تصدّ عن الأحوص، وتهوى عبد الرَّحمن.

قال: فأضرب عنها ابن حسَّان، وخرج ممتدحًا ليزيدَ بن معاوية، فأكرمه وأعطاه، فلمّا أراد الانصراف قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة؛ قال: وما هي؟ قال: جارية خلّفتها بالمدينة لامرأة من قريش، من أجمل الناس، وأكملهم، وأعقلهم، ولا تصلح أن تكون إلّا لأمير المؤمنين، وفي سمّاره. فأرسل إليها يزيد، فاشتريت له، وحملت إليه؛ فوقعت منه موقعًا عظيمًا، وفضّلها على جميع من عنده. وقدم عبد الرَّحمن المدينة، فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يزيده إلى ما به فقال[١٦]:

يَا مُبْتَلًى بِالحُبِّ مَفْدُوحًا ... لَاقَى مِنَ الحُبِّ تَبَارِيحَا
أَلْجَمَهُ الْحُبُّ فَمَا يَنْثَنِي ... إِلَّا بِكَأْسِ الشَّوْقِ مَصْبُوحَا
وَصَارَ مَا يُعْجِبُهُ مُغْلَقًا ... عَنْهُ وَمَا يَكْرَهُ مَفْتُوحَا
قَدْ حَازَهَا مَنْ أَصْبَحَتْ عِنْدَهُ ... يَنَالُ مِنْهَا الشَّمَّ وَالرِّيحَا
خَلِيفَةُ اللهِ فَسَلِّ الْهَوَى ... وَعَزِّ قَلْبًا مِنْكَ مَجْرُوحَا

فأمسك الأحوص عن جوابه...»[١٧] وقد نقل المحقّق الفاضل هذا الشّعر عن الأغاني، ونقل في الحاشية خبر الشّعر، لكنّه لم ينقل مقالة الأصفهانيّ بوضعه واختلاقه، فبتر الخبر، وقرّر من تلقاء نفسه أنّ هذا الشّعر لعبد الرَّحمن، لا شكّ فيه.

ومن يتتبّع الخبرَ في المصادر الّتي أَعْقَبتِ الأغاني فسيجد اختلافًا عجيبًا، وزيادةً في الشّعر ونقصانًا، وتبديلًا وتحريفًا، ومن تلك المصادر كتابُ ذمّ الهوى[١٨] الّذي روى القِصَّة، فقلبَ أحداثها، وبدّل أدوار شخوصها، فإذا عبد

(١٦) ستُنسب هذه الأبيات إلى الأحوص في ذمّ الهوى، ص٥٢٠.
(١٧) الأغاني، ٩/ ١٣٣-١٣٦، ويُنظر الخبرُ في المصادر الآتية: تاريخ دمشق ٦٩/ ٢٨٨-٢٣١، ومختصر تاريخ دمشق، ١٠/ ٢٦١-٢٦٣، والبداية والنّهاية،١١/ ٦٥٦-٦٥٩.
(١٨) ذمّ الهوى، ٥١٩ - ٥٢١.

الرَّحمن حبيب سلّامة بعد أن كان الأحوص في الأغاني، وإذا شعر الأحوص في الأغاني يُنْسَبُ في كتاب ذمّ الهوى إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان، مع تغيير وتبديل وحذف وزيادة يدلّ كلّ الدّلالة على كذب هذه القصّة، وبطلان نسبة ما فيها من شعر إلى عبد الرَّحمن والأحوص معًا.

ولعلّه كان يحسن بالدّكتور الفاضل أن يُفْرِد هذا الشّعر في قسم خاصّ تحت عنوان: «الشّعر المصنوع» على نحو ما فعل الدّكتور عادل سليمان جمال في شعر الأحوص[١٩].

٣- كثرة الخطأ في المخطوطة المعتمد عليها في جمع كثير من شعر عبد الرَّحمن:

اعتمد الدّكتور العاني في جمع شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان- والّذي بلغ مجموعه ٣١٦ بيتًا- على مصادر أدبيّة ولغويّة عديدة، في مقدّمتها مخطوطة الأخبار الموفّقيّات (آل باش)، وقد بلغ عدد الأبيات المنسوبة إلى عبد الرَّحمن في الأخبار الموفّقيّات ١٩٧ بيتا تقريبًا، جاء نصفُها في القصيدة السّابعة والثّلاثين، لكنّ المخطوطة الّتي اعتمد عليها العاني لم تكن جيّدة، فهي «كثيرة الخطأ، وناسخها كثير السّهو، وربّما أسقط أحيانًا صفحة كاملة، بالإضافة إلى التّصحيف والتّحريف»[٢٠] فانتقلت كلّ هذه الأخطاء إلى مجموع شعر عبد الرَّحمن، وذلك أنّ العاني لم يُعِدِ النّظر فيما جمعه من شعر، بعد طبعه كتاب الأخبار الموفّقيّات اعتمادًا على مخطوطة (جوتنجن) الّتي هي أحسن حالًا من مخطوطة (آل باش)، فخرج شعر عبد الرَّحمن في مطبوع الأخبار خاليًا سالمًا من بعض الأسقام الّتي داخلت المجموع ولزمته.

وسأكتفي هنا بثلاثة أمثلة لبيان الأسقام الّتي لا تزال في ديوان عبد

(١٩) ديوان الأحوص، ص ٧٩ و٢٨٣.

(٢٠) الأخبار الموفَقيّات، ص٢٤.

الرَّحمن، وصوابُها في مطبوع الأخبار الموفّقيّات: **المثال الأوّل**: في شعر عبد الرَّحمن، ص ١٨:

ولا هُمْ – قسرْتَ وَطِبْتَ نَفْسًا – لَنَا يَا ابْنَ الْمَفَاضَةِ بِالْخَرَاجِ

وهو كلام فاسد لا معنى له؛ وصوابُه ما في الأخبار الموفّقيّات المطبوع ص،٢١٧:

وَلَولاهُمْ قُسِرْتَ وَطِبْتَ نَفْسًا لَنَا يَا ابْنَ الْمَفَاضَةِ بِالْخَرَاجِ

المثال الثّاني: في شعر عبد الرَّحمن، ص١٦:

يُوصِي أَوَائِلُهُمْ بِالقول آخِرَهُمْ وَشَرُّ مَنْ ذَاقَ طَعْمَ النُّوكِ مَنْ شَابَا

(بالقول) تحريف، وصوابُه: (بِالنُّوكِ)، كما في مطبوع الأخبار الموفّقيّات، ص٢١٦:

المثال الثّالث: في شعر عبد الرَّحمن، ص٦٢:

حَدِّث حَدِيثَكَ إِذَا تَالّ بِعَيْنِهِ رَجُلٌ يَظُنُّكَ صَالَحًا وَأَمِينَا

كلام فاسد لا معنى له، وخير منه ما في مطبوع الأخبار الموفّقيّات، ص٢١٨:

حَدِّث حَدِيثَكَ إِذْ أَتَاكَ بِعَيْبَةٍ رَجُلٌ يَظُنُّكَ صَالَحًا وَأَمِينَا

وقوله: «بعيبة» مُصحّف، صوابُه كما ذكر الجبوري ص٧٥٠: «يقينه». والعجيب أنّ الدّكتور العاني في هذه المواضع وأمثالها كان يحيل في تحقيقه للموفَّقيَّات على شعر عبد الرَّحمن، ولا ينبّه على ما في ألفاظه من تصحيف، وذلك على الرّغم من مخالفته في مواضع عديدة للمتن الّذي ارتضاه للموفَّقيّات. ولا ينبغي أن يُفهم من ذلك أن عُظْمَ ما في الأخبار الموفّقيّات من شعر لعبد الرّحمن حقٌّ وصوابٌ، فما ذلك أردتُ، ولكنّي أردت أنّ شعره في الأخبار أحسن حالًا ممّا هو عليه في المجموع. ودونك مقطّعة من مجموع شعره تكاثرت فيها أسقام التّصحيف، حتّى استغلقت

أبياتها على الفهم، ثمّ لم يسلم مطبوع الأخبار من هذه الأسقام، بل قد تجد، على نُدرة وقلّة، الصّوابَ في مجموع الشّعر، لا في الأخبار الموفّقيّات: يقول في شعره، ص٢٣: [من الرّجز]

أُشْهِدُ[٢١] كُلَّ مُسْلِمٍ شَهَادَهْ
مَنْ لا يَبِيعُ دِينَهُ قِلادَهْ
مَا بَيْنَ أَقْصَى ضَرْعِهِ فَصَادَهْ
أَوْ مَلِكٍ يَلْقَى لَهُ إِسْنَادَهْ

فالبيتان الثّالث والرّابع لا معنى لهما، ولو أرجعنا البصرَ فيهما مرّات ومرّات، فإذا طلبنا المقطّعة في الأخبار الموفّقيّات، ووقفنا على متنها ص١٩٩:

أُشْهِدُ كُلَّ مُسْلِمٍ شَهَادَهْ
مَنْ لا يَبِيعُ دِينَهُ تِلادَهْ
مَا بَيْنَ أَقْصَى ضَرْغَدٍ فَصَادَهْ[٢٢]
أَوْ مَلِكٍ تَلْقَى لَهُ آسَادَهْ

وجدناها أحسن حالًا، لكنّها ليست معافاة من أسقام التّصحيف، ففي البيت الثّاني من الموفّقيّات: (تِلَادَه)، مصحّف، وصوابُه: (قِلَادَة) كما في شعر عبد الرّحمن، أي: لا يبيع هذا المستشهَدُ دينَه بـ(قِلَادَةٍ)، وأمّا لفظ (تِلَادَه)، فلا وجه له؛ لأنّ الإنسانَ لا يبيع ما يملك من أشياءَ بماله القديم الذي وُلِدَ عنده، وإنّما يبيع أشياءه بمال الناس مِن حولِه؛ ليكسب منهم ويربح، فإذا نظرنا في البيتين الثّالث والرّابع وجدْنا روايةَ الأخبار الموفَقيّات صحّحتْ لفظين مُصحّفَين وَردَا في المجموع، هما: (ضَرْعه)، و(يَلْقَى)، وصوابُهما: (ضَرْغَد)، و(تَلْقَى)، وأمّا اللّفظ

(٢١) (أَنْشَدَ) بدل: (أُشْهِدُ) في مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ، مجلد ١٣/ ١٠٠.
(٢٢) ضرغد: جبل، وصاد: جشبل بنجد.

الثّالث في المجموع: (إِسْنَادَه) فمُصحَّف - لا شكّ - وخيرٌ منه روايةُ الأخبار الموفَقيّات: (آسَادَه)، جمع: (أَسَد)، على أنّ في النفس شيئًا من هذه الرّواية؛ إذ لا وجه للجارّ والمجرور (له) في هذا السّياق، والمعنى يستقيم من دونه: أو ملك تَلْقَى رجالَه الشّجعان. والرّاجح عندي أنّه مُصحّف أيضًا، وصوابُه: (إِسَادَهْ) بمعنى: (وِسَادَة)، أمّا الفعل (يَلْقَى) فصوابُه: (تُلْقَى)، وليس (تَلْقَى)، دليل ذلك ما جاء في اختيار الممتع من شعرٍ، نُسِبَ لامرأة من كندةَ، شبيهٍ بشعر عبد الرّحمن:

نَشَدْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ شَهَادَهْ
هَلْ تَعْلَمُونَ فِي الهُجَيْمِ سَادَهْ
أَوْ مَلِكًا تُلْقَى لَهُ إِسَادَهْ(٢٣)

والمعنى في شعر ابن حسّان: أنّه يستشهد في شهادته كلَّ مسلم قويّ الإسلام، لا يبيع دينَه بقلادة، أو ملكٍ عظيم مخدوم، تُعَدُّ له أبسطُ الأشياء، وتُبْسَطُ كالوِسادة.

ولعلّه صار بيِّنًا وجوبُ أن يعرِضَ قارئُ شعر عبد الرّحمن شعرَه على كتاب الأخبار الموفّقيّات؛ ليقارن بين الرّوايات، ثمّ ينعمَ النّظر فيها، فيستبقي الصّالح، ويذرَ الفاسد.

ثالثًا: المستدرَك على شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت:

١- المنسوب إليه:

قافية الباء

(١)

قال عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت يعني معاوية: [من الطّويل]

(٢٣) اختيار الممتع، ص٣٥٤.

فَـــلَا تَجْعَلَنَّـــا لُعْبَـــةً لِقَطِينِـــهِ فَيَعْلَمَ إِنْ عِشْنَا بِمَا كَانَ يَلْعَـبُ[٢٤]

التَّخريج: الأخبار الموفّقيّات، طبعة العاني، ص١٩٧، طبعة المزيديّ، ص١٠٥. وهذا البيت جزء من مُقَطَّعة عِدَّتها ثمانية أبيات في الأخبار الموفّقيّات، وهو فيها السَّابع في التّرتيب، ذكرَ منها الدَّكتور العاني في شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان، ص١٤ سبعةً، نقلًا عن الأخبار الموفّقيّات. وسبب سقوط البيتِ أنّه سقط من مخطوطة «أعيان باش» للأخبار الموفّقيّات[٢٥] الّتي اعتمد عليها العاني في جمع كثير من الشّعر.

(٢)

وقال: [من الطّويل]

إِذَا كُنْتَ ذَا مُلْكٍ وَلَـمْ تُسْدِ طَائِلًا إِلَيْنَـا وَكُنَّـا مِـنْ رَعِيَّتِـكَ اللُّبَّـا

نُؤَمِّـلُ يَوْمًـا بَعْـدَ يَـوْمٍ وَنَرْتَجِـي لِفَائِـتِ أَمْـرٍ مِنْـكَ أَعْجَزَنَـا قُرْبَـا

فَـنَحْنُ رَضِـيعُ العَنْـزِ مَـصَّ زَنَامَـةً وَأَنَّى لَهُ خَيْـرٌ وَقَـدْ أَخْطَـأَ الشَّـخْبَا

التّخريج: مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب، ص٨٩.

قافية التّاء

(٣)

وقال: [من البسيط]

الضَّبُّ حِـينَ يَـرُومُ اللَّـجَّ مُشْـتَرَكٌ وَالحُوتُ يَهْلِكُ فِي البِيدِ الأَمَالِيتِ

وهذا شعر أوّله:

يَـا سَـلْمَ جَارَتَنَـا بِـالغَمْرِ حُيِّيـتِ عَنَّا وَصَوْبَ الغَمَامِ الـرِّهْمِ سُـقِّيتِ

وآخره:

تَـاللهِ يَـأْلَفُ شَـكْلٌ شَـكْلَهَا أَبَـدًا حَتَّى يُؤَلَّفَ بَيْنَ الضَّـبِّ وَالحُـوتِ

---

(٢٤) الهاء في «قطينه» راجعة إلى يزيدَ بنِ معاويةَ في بيت سلَفَ:

وَأَنَّ يَزِيـدَ لَـيْسَ يَطْلُـبُ عِنْـدَنَا كِتَابًـا وَلا حَقًّـا وَذُو الحَـقِ يَطْلُـبُ

(٢٥) يُنظـر: مقدمـة د. العـاني لكتـاب الأخبـار المُوَفَّقِيَّـات، ص٢٢- ٢٥؛ ففيهـا تِبْيـان للمخطوطات الّتي اعتمد عليها، ولمنهجه في التّحقيق.

التَّخريج: الإبدال والمعاقبة، ص٥٦. والشّعر في المستدرك على شعر عبد الرَّحمن، ص٧٣٧.

(٤)

وقال يصف خيلًا: [من مجزوءِ الكاملِ]

أَوْغَلْتُ فِيهِ مَعَ الصَّبَا ... حِ بِمِنْهَبٍ صَافٍ سَرَاتُهْ
وَرْدٍ كَلَوْنِ صَلَايَةٍ ... طُلِيَتْ بِجَادِيٍّ مَرَاتُهْ[٢٦]
عَبْلِ الشَّوَى يَأْوِي إِلَى ... حُضْرٍ إِذَا جَدَّ انْصِلَاتُهْ
كَحَفِيفِ ذِي البَرَدِ المُجَلْـ ... ـجِلِ رَاحَ مُسْتَدًّا خَوَاتُهْ[٢٧]
نهْدٍ مَرَاكِلُهُ شَدِيـ ... ـدِ الأَسْرِ مُشْرِفةٍ قَطَاتُهْ
يَعْدُو كَعَدْوِ التَّيْسِ بالـ ... ـمَعْزَاءِ أَنْفَرَهُ رُمَاتُهْ

التّخريج: الأنوار ومحاسن الأشعار،١/ ٢٩٥، ٢٩٦.

قافية الرّاء

(٥)

وقال في الحكمة: [من الطّويل]

وَإِنَّ سَعِيدَ الجَدِّ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً ... وَأَصْبَحَ لَمْ يُؤْشَبْ بِبَعْضِ الكَبَائِرِ
فَمَوْلَاكَ لَا يُهْضَمْ لَدَيْكَ فَإِنَّمَا ... هَضِيمَةُ مَوْلَى المَرْءِ جَدْعُ المَنَاخِرِ[٢٨]
وَجَارُك لَا يَذْمُمْكَ إِنَّ مَسَبَّةً ... عَلَى المَرْءِ فِي الأَدْنَيْنَ ذَمُّ المُجَاوِرِ[٢٩]
وَإِنْ قُلْتَ فَاعْلَمْ مَا تَقُولُ فَإِنَّهُ ... إِلَى سَامِعٍ مِمَّنْ يُغَادِي وَآثِرِ[٣٠]

(٢٦) مراتُه: مَرْآتُهُ، أي: مَنْظَرُه.

(٢٧) المرادُ بذي البَرْدِ: العُقابُ. المُسْتَدُّ: المنتظمُ. الخَوات: دَوِيُّ جَناحِ العُقابِ.

(٢٨) في حماسة البحتريّ، ص٢٤٦: «لا يُظْلَمْ» بدلَ: «لَا يُهْضَمْ»، و«حَزُّ المَنَاحِرِ» بدلَ: «جَدْعُ المَنَاخِرِ»، وفي شعرِ عبدِ الرَّحمن بنِ حسَّان، ص٢٤: «حَزُّ الحَنَاجِرِ».

(٢٩) وفي الدّرّ الفريد وبيت القصيد، ١٠/ ٢١١:

وَجَارِكَ لَا **تَهضِمْ** فَإِنَّ مَسَبَّةً ... عَلَى المَرْءِ فِي **الأَقْوَامِ** ذَمُّ المُجَاوِرِ

(٣٠) في شعرِ عبدِ الرَّحمن بنِ حسَّان، ص٢٣. وفي حماسة البحتريّ، ص٤٥٥: «**فَإِنْ** قُلْتَ... إِلَى سَامِعٍ مِمَّنْ **تُعَادِي وَنَاصِرِ**».

فَإِنَّـــكَ لَا تَسْـــطِيعُ رَدَّ مَقَالَـــةٍ ... شَأَتْكَ وَزَلَّتْ عَنْ فُكَاهَةِ فَـاغِرِ[٣١]

كَمَا لَـيْسَ رَامٍ بَعْـدَ إِرْسَـالِ سَـهْمِهِ ... عَلَـى رَدِّهِ قَبْـلَ الوُقُـوعِ بِقَـادِرِ[٣٢]

إِذَا أَنْتَ عَادَيْتَ الرِّجَـالَ فَـلَا تَـزَلْ ... عَلَى حَذَرٍ لَا خَيْـرَ فِـي غَيْـرِ حَـاذِرِ

وَمَـنْ لَا يُصَـانِعْ فِـي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ ... يُضَـرَّسْ بِأَنْيَـابٍ وَيُوطَـأْ بِحَـافِرِ

تَرَى المَرْءَ مَخْلُوقًا وَلِلْعَيْنِ حَظُّهَـا ... وَلَـيْسَ بِأَحْنَـاءِ الأُمُـورِ بِخَـابِرِ[٣٣]

فَـذَاكَ كَمَـاءِ البَحْـرِ لَسْـتَ مُسِيغَهُ ... وَيَعْجَـبُ مِنْـهُ سَـاجِيًا كُـلُّ نَـاظِرِ

وَتَلْقَى الأَصِيلَ الفَاضِلَ الرَّأْيِ جِسْمُهُ ... إِذَا مَا مَشَى فِي القَوْمِ لَـيْسَ بِقَـاهِرِ

كَذَلِكَ جَفْنٌ رَثَّ عَـنْ طُـولِ مُكْثِـهِ ... عَلَى حَدِّ مَفْتُوقِ الغِرَارَيْنِ بَـاتِرِ[٣٤]

وَعَـــاشٍ بِعَيْنَيْـــهِ لِمَـــا لَا يَنَالُـــهُ ... كَسَـاعٍ بِرِجْلَيْـهِ لِإِدْرَاكِ طَـائِرِ[٣٥]

وَمُسْـتَنْزِلٍ حَرْبًـا عَلَـى غَيْـرِ ثَـرْوَةٍ ... كُمُقْتَحِمٍ فِي البَحْرِ لَيْسَ بِمَاهِرِ[٣٦]

وَمُلْـــتَمِسٍ وُدًّا لِمَـــنْ لَا يَـــوَدُّهُ ... كَمُعْتَـذِرٍ يَوْمًـا إِلَـى غَيْـرِ عَـاذِرِ[٣٧]

---

(٣١) في شعرِ عبدِ الرَّحمن بنِ حسَّان، ص٢٣، وفي حماسة البحتريّ، ص٤٥٥: «**وَإِنَّكَ**... **سَارَتْ** وَزلَّتْ **فِي مَسَامِعِ آخَرِ**».

(٣٢) في شعر عبدِ الرَّحمن بنِ حسَّان، ص٢٣، وفي حماسة البحتريّ، ص٤٥٥. «بَعْدَ إِطْلَاقِ» بدلَ: «بَعْدَ إِرْسَالِ». وفي شعر عبد الرَّحمن (بَعْدَ الوُقُوعِ)، بدلَ (قَبْلَ الوُقُوعِ)، وهو من تغيير المحقّق لِمَا وردَ في حماسة البحتريّ، تح: مصطفى كمال، مع أنّ المصادر التي روت البيت أطبقت على رواية: (قَبْلَ). ولذلك وجه لا يخفى، وهو أنَّ السهم إذا ما أُطلق لم يقدرْ راميه على ردّه ومنعِه من السّقوط والوقوعِ على رَمِيَّتِه.

(٣٣) في الدّرّ الفريد وبيت القصيد، ١٠/ ١٠٥: «**وَلَسْتَ** بِأَحْنَاءِ».

(٣٤) وصدرُه في شعر عبد الرَّحمن، وفي حماسة البحتريّ، ص٢٨٢ برواية: «فَـذَاكَ كَجِسْـمٍ رَثَّ مِنْ طُولِ ضَيْعَةٍ».

(٣٥) في الصّداقة والصّديق، ص٢٢٨ برواية: «لمن لا يباله» بدل: «لِمَا لا يناله».

(٣٦) فـي الصّـداقة والصّـديق، ص٢٢٨: «وَمُسْـتَوْقِدٍ حَرْبًـا» وفـي الـدر الفريـد، ١٠/ ٤٢٠: «وَمُسْتَرْفِدٍ حُذْيَا»، وفيهما: «فِي اليَمِّ» بدلَ: «فِي البَحْرِ».

(٣٧) في الصّداقة والصّديق، ٢٢٨، والدر الفريد، ١٠/ ٢٤٠: «وَمُتَّخِذ» بدل: «وَمُلْتَمِسٍ».

وَمُتَّخِـــذٍ عُـــذْرًا فَعَـــادَ مَلَامَـــةً كَوَالِي اليَتَامَى مَالُهُمْ غَيْرُ وَافِرِ[٣٨]
فَسَارِعْ إِذَا سَافَرْتَ فِي الحَمْدِ وَاعْلَمَنْ بِـأَنَّ ثَنَـاءَ الرَّكْـبِ حَـظُّ المُسَـافِرِ
وَطَـاوِعْهُمُ فِيمَـا أَرَادُوا وَقُـلْ لَهُـمْ فِـدًى لِلَّـذِي رُمْـتُمْ كَـلَالُ الأَبَـاعِرِ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا حَظٍّ مِنَ المَالِ فَـالتَمِسْ بِهِ الأَجْرَ وَارْفَعْ ذِكْرَ أَهْـلِ المَقَـابِرِ
فَـإِنِّي رَأَيْـتُ المَـالَ يَفْنَـى وَذِكْـرُهُ كَظِـلٍّ يَقِيـكَ الظِّـلُّ حَـرَّ الهَـوَاجِرِ

التّخريج: وردتِ الأبيات في أمالي القالي، طبعة دار الكتب المصريّة ١/ ٣٠١-٣٠٢. بلا نسبة، وفيها «أنشدنا أبو عليٍّ عن أبي حاتم»، لكنَّ طبعة دار الكتب العلميّة للأمالي ١/ ٢٥٢-٢٥٣ زادت اسم عبد الرَّحمن بن حسَّان إلى عبارة القالي في المتن، فصار النّصّ: «أنشدنا أبو عليّ عن أبي حاتم لعبد الرَّحمن بن حسَّان». وهذا تلفيق لا يجوز، ويوهم أنَّ القاليَ نسب الأبياتِ إلى عبد الرَّحمن، وكذا جاءت الأبيات بلا نسبة نقلًا عن الأمالي في زهر الأكم في الأمثال والحكم، ٣/ ١٠٩- ١١٠، وهو في المستدرك، ص٧٣٨ نقلًا عن الأمالي.

وفي سمط اللآلئ، ١/ ٥٦٨، نسبها أبو عبيد البكري إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان نقلًا عن الصّوليّ، لكنّه ذكر أنّه رأى أبياتًا من هذا الشّعر منسوبة إلى محمّد بن يسير الرّياشيّ. ونُسب البيتان الثّالث والسّابع إلى عبد الرَّحمن في الدّرّ الفريد، ١٠/ ٢١١، و٢/ ٣٥٧. وجاء السّابع في اللّامع العزيزيّ، ص٢٠١ بلا نسبة. ونُسب البيتان ٩-١٠ إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان في الدّر الفريد، ١٠/ ١٠٥، وفي تاريخ دمشق، ٧٤/ ١٠٦، ومختصره، ٢٧/ ١٦٨. ونُسبتِ الأبيات ١٣-١٤-١٥ إلى عبد الرَّحمن في الصّداقة والصّديق، ص٢٢٨، والدّرّ الفريد، ١٠/ ٤٢٠ مع اختلاف في التّرتيب، ورواية بعض الألفاظ، وترتيبُها فيهما: (١٥، ١٤، ١٣).

وقد أورد العاني من هذه القصيدة ثمانية أبيات، نقلًا عن حماسة البحتريّ الّذي نصّ على نسبة هذه الأبيات إلى عبد الرَّحمن، وهي: ٢-٤-٥-٦-٩-١٠-١١-١٢ وقد جاء بها العاني مفرّقة منجّمة تبعًا لتفريقها في حماسة البحتريّ، فرأيت ذكرها مع ما لم يذكر في الدّيوان مجمَّعة منسَّقة وفْقَ تريب الأمالي. تُنظر الأبيات في مجموع ديوانه: البيت الثاني: ص٢٤، والأبيات ٤-٥-٦ ص ٢٣- والأبيات: ٩- ١٠- ١١- ١٢ ص٢٣- ٢٤. ويُنظر في حماسة البحتري: البيت الثّاني: ص٢٤٦، والأبيات ٤-٥-٦ ص٤٥٥ - والأبيات: ٩- ١٠- ١١- ١٢ ص٢٨٢.

ولعلّه بيّن ممّا سلفَ أنَّ المصادر تكاد تجمع على أنّ هذه القصيدة، أو كثيرًا ممّا فيها

(٣٨) في الأمالي، طبعة دار الكتب العلميّة، ١/ ٢٥٢، وفي زهر الأكم في الحكم والأمثال، ٣/ ١٠٩- ١١٠. «ملالة» بدل: «ملامة».

لعبد الرَّحمن ما خلا قولة البكريّ الّتي ذكر فيها أنّه رأى أبياتًا من هذه القصيدة منسوبةً إلى محمّد بن يسير الرّياشيّ، لكنّ البكريّ لم يحدّد هذه الأبيات، ولا عددها، ولا المصدر الّذي رآها فيه، وإن كان يُفْهَم من قوله أنّ أكثر الأبيات لعبد الرَّحمن، وأنّ القليل منها لمحمد بن يسير. على أنّ ما يثير الدّهشة ما ذهب إليه جامع ديوان محمّد بن يسير، ص١٤١ من أنّ هذه القصيدة على الرّاجح لشاعر من المتأخّرين. وهذا قول لا عِناجَ له، ولا دليل عليه، فضلًا عن أنّه يخالف المصادر الكثيرة التي نصَّت على نسبة هذه القصيدة أو أكثرها إلى عبد الرَّحمن.

(٦)

وقال: [من الوافر]

وَإِنْ مَالَ الضَّجِيعُ بِهَا فَدِعْصٌ مِنَ الكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرُ[٣٩]

التّخريج: الموازنة ١/ ٣٨٧. العمدة ٢/ ١٠٤٧. وهو في المستدرَك، ص٧٣٧.

(٧)

وقال: [من الطّويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ القَوْمَ أَمْسِ تُشُرِّفُوا بِأَغْلَبَ عَوْدٍ لَا دَنِيٍّ وَلَا بَكْرِ

التّخريج: أساس البلاغة (شرف) ١/ ٥٠٣. وهو في المستدرَك، ص٧٣٧.

(٨)

وقال يهجو قوم الأخطل: [من الكامل]

لَعَنَ الإِلَهُ مِنَ اليَهُودِ عِصَابَةً[٤٠] بَيْنَ الثُّوَيْرِ فَمَدْفَعِ الثَّرْثَارِ

قَوْمًا يَدُوسُونَ النِّسَاءَ طَوَامِثًا وَيَكُونُ مَجْعَلُ مَيْتِهِمْ فِي النَّارِ[٤١]

قَوْمٌ إِذَا هَدَرَ العَصِيرُ تَرَاهُمُ حُمْرًا عُيُونُهُمُ مِنَ المُصْطَارِ

فَاللُّؤْمُ فَوْقَ أُنُوفِ تَغْلِبَ كُلِّهَا كَالرَّقْمِ فَوْقَ ذِرَاعِ كُلِّ حِمَارِ

التّخريج: تاريخ دمشق، ٣٤/ ٢٩٩، ومختصر تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٣٣. ونُسِبَ البيت

---

(٣٩) العمدة ٢/ ١٠٤٧ ويروى: «مُلْتَبِدٌ مَهِيلُ».

(٤٠) كذا جاء في المصدر، ولعلّ الصّواب: «لَعَنَ الإِلَهُ مِنَ النَّصَارَى عُصْبَةً»؛ إذ الأخطل وقومُه كانوا على النّصرانيّة.

(٤١) مختصر تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٣٣: ويروى «مَحْفِل» بدل «مَجْعَل».

الرّابع في الأغاني، ١٥/ ٨٣ إلى النّعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٩)

وقال يحكي مقالة لمعاوية قارنَ فيها حالَه الَّتي آلَ إليها بحال أبي بكر وعمر وعثمان، وتعليقَ ابنِ عبّاس على ما قالَ: [من البسيط]

قَالَ ابْنُ حَرْبٍ مَقَالًا مُشْفِقًا حَذِرًا: أَرَى الخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى النَّارِ
وَاقْتَصَّ زُهْدَ أَبِي بَكْرٍ وَحُقَّ لَهُ الـ ـصِدِّيقُ ثَانِيْ رَسُولِ اللهِ فِي الغَارِ
وَاقْتَصَّ زُهْدَ أَبِي حَفْصٍ وَقَدْ عَرَضَتْ دُنْيَا يُقَسِّمُ مِنْهَا أَلْفَ قِنْطَارِ
وَاقْتَصَّ زُهْدَ أَبِي عَمْرٍو وَقَدْ سُحِبَتْ لَهُ الذُّيُولُ مِنَ الدُّنْيَا بِآثَارِ
وَقَالَ: مَالَتْ بِيَ الدُّنْيَا وَمِلْتُ بِهَا بِئْسَ المُمِيلُ فَيَا لِلّهِ مِنْ عَارِ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ المَحْمُولُ حِكْمَتُهُ قَوْلًا يَعِيهِ ذَوُو سَمْعٍ وَأَبْصَارِ
قَدْ أَمْكَنَتْكَ فَأَمَّا مَا أَرَدْتَ فَخُذْ وَالغِبُّ يُعْرَفُ وِرْدًا بَعْدَ إِصْدَارِ

التّخريج: أخبار الدّولة العبّاسيّة، مؤلف مجهول من القرن الثّالث الهجريّ، ص٨٤.

(١٠)

وقال[٤٢]: [منَ الرَّملِ]

آبَ لَيْلِي بِهُمُومٍ وَفِكَرْ مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي وَالسَّهَرْ

(٤٢) هذه الأبيات لم ترد مجمّعة مرتّبة على هذا النّحو في الأغاني، وإنّما جمعّتها ورتبّتها على ثلاث قطع، وفصلت بين القطع بنجوم؛ إذ قد تكون الأبيات متجاورة في القصيدة، وقد لا تكون، مستضيئًا في ذلك بترتيب أبي الفرج، وقصة تحاكم معبد ومالك إلى ابن سريج في صوتين صنعاهما؛ فالمقطّعة الأولى ذات الأبيات الثّلاثة، جاء منها في ١/ ٢٧٣ الأوّلُ والثّاني اللّذان غنّاهما معبد، ثمّ لمّا كرّرَ البيتين الأوّلَ والثّانيَ في ١/ ٢٧٥ شفعهما ببيتٍ ثالث، ونسب هذه الأبيات إلى عبد الرَّحمن، وكذا الأمر بالنّسبة لأبيات المقطّعة الثّانية، فقد ذكر الأوّل والثّالث في ١/ ٢٧٣، ثمّ لمّا كرَّر الأوّل في ١/ ٢٧٥ ضمّ إليه البيتَ الثّاني. أمّا المقطّعة الثّالثة فقد جاء البيت الثّاني منها ١/ ٢٧٣ منسوبًا إلى عبد الرَّحمن، ثمّ كرّره في ١/ ٢٧٤ في سياقة تحاكم معبد ومالك إلى ابن سريج، ثمّ جاء به ثالثة مسبوقًا بالبيت الأوّل من هذه المقطّعة في ١/ ٢٧٦.

يَــوْمَ أَبْصَــرْتُ غُرَابًــا وَاقِعًــا شَــرَّ مَــا طَــارَ عَلَــى شَــرِّ الشَّــجَرْ
يَنْتِــفُ الــرِّيشَ عَلَــى عُبْرِيَّــةٍ مُــرَّةِ المَقْضَــمِ مِــنْ دَوْحِ العُشَــرْ

* * *

وَجَــرَتْ لِــي ظَبْيَــةٌ يَتْبَعُهَــا لَــيِّنُ الأَظْــلَافِ مِــنْ حُــورِ البَقَــرْ
خَلْفَهَــا أَطْلَــسُ عَسَّــالُ الضُّــحَى صَــادَفَتْهُ يَــوْمَ طَــلٍّ وَخَصَــرْ
كُلَّمَــا كَفْكَفْــتُ مِنِّــي عَبْــرَةً فَاضَــتِ العَــيْنُ بِمُنَهَــلٍّ دِرَرْ

* * *

إِنَّ عَيْنَيْهَــا لَعَيْنَــا جُــؤْذُرٍ أَهْــدَبِ الأَشْــفَارِ مِــنْ حُــورِ البَقَــرْ
تُنْكِــرُ الإِثْمِــدَ لَا تَعْرِفُــهُ غَيْــرَ أَنْ تَسْــمَعَ مِنْــهُ بِخَبَــرْ(٤٣)

التّخريج: الأغاني، ١/ ٢٧٣- ٢٧٦، والبيت الأخير في مسالك الأبصار ١٠/ ١٣٣، ١٠/ ١٤٥. والشّعر في المستدرك، ص٧٣٩ نقلًا عن الأغاني. وجاء في الأغاني، ١/ ٢٧٦ أنّ «الشّعر لعبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيبه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله. ومن النّاس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو غلط. وقد بيّن ذلك مع أخبار عبد الرَّحمن في موضعه».

قافية العين

(١١)

وقال: [من الوافر]

فَــدَعْ أَمْــرًا إِذَا لَــمْ تَسْــتَطِعْهُ لِآخَــرَ مِــنْ أُمُــورِكَ مُسْــتَطَاعِ

التّخريج: الدّرّ الفريد ٧/ ٤٨٤.

(١٢)

وقال في مرض العبَّاس بن عبد المطَّلبِ: [من المنسرح]

قَلْبِــي لِشَــكْوَى العَبَّــاسِ مُنْصَــدِعٌ يَكَــادُ مِنْــهُ النِّيَــاطُ يَنْقَطِــعُ

(٤٣) في مسالك الأبصار: «مَا تَعْرِفُهُ»، وفي موضع آخر: «لَا تَسْمَعُهُ».

وَا بِـأَبِي أَنْـتَ يَـا أَبَـا الفَضْـلِ قَـدْ ... قَطَّـعَ قَلْبِـي لِشَـكْوِكَ الجَـزَعُ[٤٤]
أَسْـهَرُ بِاللَّيْـلِ مِـنْ تَـذَكُّرِ مَـا ... تَسْـهَرُ مِنْـهُ وَالنَّـاسُ قَـدْ هَجَعُـوا
يَحْزُنُنِـي أَنَّنَـا قُعُـودٌ حَـوَا ... لَيْـكَ صِـحَاحٌ وَأَنْـتَ مُضْـطَجِعُ
تَمْنَعُـكَ العِلَّـةُ الحَـدِيثَ فَمَـا ... تَنْطِـقُ إِلَّا وَأَنْـتَ مُخْتَشِـعُ
يَا لَيْتَ مَا بِي مِنْ صِحَّةٍ بِكَ أَفْـ ... ـدِيكَ وَبِي كَـانَ لَا بِـكَ الوَجَـعُ

التخريج: تاريخ دمشق، ٣٤/ ٢٩٥.

قافية اللَّام

(١٣)

وقال يصف خيلًا: [من المتقارب]

فَجَـرَّدَ أَيْهَـمَ ذَا قُرْحَـةٍ ... أَمِـينَ الشَّـظَا غَـامِضَ الأَبْجَـلِ
أُشَـبِّهُ قُرْحَتَـهُ دِرْهَمًـا ... مِـنَ الـوَرِقِ البِـيضِ لَـمْ يُغْسَـلِ
قَلِيـلَ الفُتُـورِ سَـلِيمَ النُّسُـو ... رِ عَبْـلَ القَـوَائِمِ وَالمُنْعَـلِ
لَـهُ حَـافِرٌ لَـمْ تَخُنْـهُ الحَـوَا ... مِ وَأْبٌ سَـلِيمٌ وَلَـمْ يُنْعَـلِ
كَمِثْـلِ أَوَاقِـي ذُكُـورِ الحَدِيـ ... ـدِ رُكِّـبْنَ فِيـهِ وَلَـمْ يُسْـحَلِ
صَـحِيحَ الأَشَـاعِرِ فِـي جَوْفِـهِ ... دَخِـيسٌ لَـهُ مُثْبَـتُ المَـدْخَلِ
وَأَوْظِفَـةٌ أَيِّـدٌ جَـدْلُهَا ... طِـوَالٌ وَفِـي ذَاكَ لَـمْ تَنْحُـلِ
وَسَـاقَانِ كَعْبَاهُمَـا أَصْـمَعَا ... نِ سَـدَّا لَـهُ خَلَـلَ المَفْصِـلِ
كَـأَنَّ حَمَاتَيْهِمَـا أَرْنَبَـانِ ... تَقَبَّضَـتَا خِيفَـةَ الأَجْـدَلِ

وفيها:

طَوِيـلُ الضُّـلُوعِ شَـدِيدُ الصِّـفَاقِ ... خَفُوقُ الحَشَا جُرْشُعُ المَرْكَـلِ[٤٥]

(٤٤) كلمة: (وَا) ليست في المصدر، وزيدت لإقامة الوزن.

(٤٥) في شعر عبد الرَّحمن، ٤٨. والرّواية في كتاب الخيل ص٨٦: «عَرِيضُ المِقَصِّ طَوِيلُ الضُّلُوعِ».

وَعَـــيْنٌ طَحُـــورٌ بِإِنْسَـــانِهَا تُخَـــالُ كَحِـــيلًا وَلَـــمْ تُكْحَـــلِ
وَخَـــدٌّ يَغُـــولُ عِـــذَارَ اللِّجَـــا مِ عَـــارِي النَّوَاهِـــقِ وَالمَصْـــهَلِ
مُطَـــارُ الفُـــؤَادِ إِذَا مَـــا يُـــرَا عُ ظَـــلَّ إِلَـــى اللَّيْـــلِ فِـــي أَفْكَـــلِ

التّخريج: الأنوار ومحاسن الأشعار، ١/ ٢٩٦- ٢٩٨. والبيتان الثّامن والعاشر وردا في كتاب الخيل، ص٩٥، ٨٦ والتّاسع في المعاني الكبير١/ ١٦٤، وفي الحيوان ١/ ٢٧٤، ثمّ تكرّر فيه ٦/ ٣٥٤، بروايةٍ تختلف بعض الاختلاف عما سلَفَ، ففيه:

كَـــأَنَّ حَمَاتَيْهِمَـــا أَرْنَبَـــا نِ غُيِّضَـــتَا خِيفَـــةَ الأَذْؤُبِ

ولعل (الأَذْؤَب) مصحّف، صوابه: (الأَجْدَل)؛ إذ القصيدة لاميّة الرّويّ، على أنّه لا يبعد أن يكون هذا البيت من قصيدة بائيّة الرّويّ امتدّت إليها يد الضّياع، ولم يبقَ غير هذا البيت اليتيم شاهدًا عليها. وهذه الأبيات على ما يبدو بعضٌ من قصيدة أتتْ عليها الأيّام، ولم يبقَ منها غيرُ ما ورد في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، وبضعةُ أبيات مفردة غير مرتّبة عدّتُها تسعة، سبعٌ منها وردَتْ في كتاب الخيل، وواحدٌ في الصّحاح، وواحد في الحيوان والمعاني الكبير، وتشترك هذه الأبيات مع ثلاثة أبيات وردت في كتاب الأنوار.

وقد نهض الدّكتور العاني لهذه الأبيات المتناثرات الّتي في كتاب الخيل، وضمّ إليها بيت الصّحاح، وبيت الحيوان، فجمعها - ورتّبها، لكنّه - فيما أرى- لم يحسن التّرتيب، والدّليل على ذلك أمران:

١- مخالفة هذا التّرتيب الاجتهاديّ ما جاء في كتاب الأنوار من ترتيب نصّيّ، نقله الشِّمْشَاطيّ عن مصدر حوى هذه القصيدة، فالبيت العاشر في التّرتيب النّصّيّ جاء عنده ثالثًا، والثّامنُ جاء عنده خامسًا، والتّاسعُ جاء في ترتيبه ثامنًا.

٢- ضبط المحقّق لفظ «أَغَرُّ» و«أَحَمُّ» بالكسر تبعًا لكلمة «بِأَجْرَدَ» في البيت الأوّل، مفترضًا أنّ الثّاني أخٌ للأوّل ومجاور له، وهذا ضبط غير صحيح، واعتقاد لا دليل عليه؛ فقد جاء لفظ «أَغَرُّ»، و«أَحَمُّ» مضبوطين بالضّمّ في المصادر القديمة، كالمقتضب ١/ ٢٥١، وتهذيب اللّغة ١٠/ ٣١٧، والصّحاح، واللّسان، وتاج العروس في (سوك) وغيرها:

أَغَـــرُّ الثَنَايَـــا أَحَـــمُّ اللِّثَـــا تِ تَمْنَحُـــهُ سُـــوُكَ الإِسْـــحِلِ

والغريب أنّ المحقّق الفاضل أخذ البيت من كتاب الصّحاح، وهو فيه - كما ذكرتُ - بالضّمّ، لا بالكسر.

(١٤)

قال لبعض ولد الأسودِ بن عبد يَغُوثَ يعرِّض به: [من الطّويل]

مَا حَرَّقَ الصِّـدِّيقُ جَـدِّي وَلَا أَبِـي إِذَا المَرْءُ أَلْهَاهُ الخَنَـا عَـنْ جَلَائِلِـهْ

التّخريج: المعارف، ٤٣١. وفيه: «وأبي» وهذا خطأ طباعيّ يكسر وزن البيت.

(١٥)

وقال حين اخْتَرَطَ رجلٌ مـن حِمْيَـر سـيفه، فضـرب بـه عُرْقُـوبَ بعيـره، فكسره: [من الطّويل]

لَقَدْ شَمِتُوا حِينَ اسْتَخَفَّ حُلُومَهُمْ كَـأَنَّ فَتًـى لَـمْ يَنْكَسِـرْ سَـاقُهُ قَبْلِـي

وَإِنِّـي لَأَرْجُـو أَنْ يَرَوْنِـي وَأَنْ أُرَى سَوِيًّا كَأَنِّي غُصْنُ بَـانٍ عَلَـى نَجْـلِ

وَأُمْسِـي تَحِـلَّاتِ النَّجَـاحِ مُجَازِيًـا بِوُدِّيَ أَهْلَ الوُدِّ، وَالتَّبْلَ بِالتَّبْـلِ(٤٦)

كَأَنِّي أَخُو الحَلْفَاءِ أَصْبَحَ غَادِيًا(٤٧) شَدِيدُ مَشَكِّ الرَّأْسِ جَهْمٌ أَبُو شِبْلِ

تَبِيتُ بَعُوضُ الجِدِّ(٤٨) يَعْزِفْنَ حَوْلَهُ كَعَزْفِ القِيَانِ الضَّارِبَاتِ عَلَى الطَّبْـلِ

إِذَا أَنَـا قَضَّـيْتُ الأَمَـانِيَّ خَالِيًـا فَأَوَّلُهَا التَّقْوَى وَمَشْيٌ عَلَـى رِجْـلِ

كَسِـيرَتِهَا الأُولَـى وَذَلِـكَ نَالَهَـا إِذَا عُدَّتِ الأَشْيَاءُ عِنْدِي فَمَنْ مِثْلِي

وَمَا أَنْسَ مِلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ مَصْرَعِي عَشِيَّةَ جَمْعٍ وَالمُغِيرُونَ فِـي شُـغْلِ

صَرِيعًا وَأَيْدِي السَّابِحَاتِ(٤٩) يَرِدْنَنِي كَمَا وَرَدَ اليَعْسُوبَ رِجْلٌ مِنَ النَّحْـلِ

---

(٤٦) في الأخبار الموفّقيّات، بطبعتيه العاني، ص٢٠١ والمزيـديّ، ص ١٠٨، ١٠٩: (يـؤدي أهلُ)، وصوابه ما أثبت، وهو ما ورد في نصّ الأخبـار الموفّقيّـات فـي مجلّـة المجمـع العلميّ العراقي، مج١٣/ ص١٠٢.

(٤٧) في الأخبار الموفّقيّات، بطبعتيه: (غَازِيًا): مُصـحّف، وصـوابُه: (غاديًـا) كمـا فـي نـصّ الأخبار الموفّقيّات في مجلّة المجمع العراقيّ، مج١٣/ ص١٠٢.

(٤٨) الجِدُّ هنا لغةٌ في الجُدِّ، والجُدُّ: شاطئ النهر، وغير ذلك.

(٤٩) فـي الأخبـار الموفَقيّـات بطبعتيـه: (السَّـانِحَات)، وفـي مجلّـة المجمـع العراقـيّ: (السّابِحَاتِ)، وهو الأليق بالسّياق، والسّابحُ منَ الخيلِ: السّريعُ.

فَـأَدْرَكَنِي رَبِّـي بِفَضْـلٍ وَنِعْمَـةٍ وَمَا زَالَ عِنْـدِي ذَا بَـلَاءٍ وَذَا فَضْـلِ
تَوَحَّـدَ بِـالنُّعْمَى عَلَـيَّ فَأَصْـبَحَتْ مَصَـائِبُهَا كَـالثَّوْبِ أُنْقِـيَ بِالغَسْـلِ

التّخريج: الأخبار الموفّقيّات، طبعة العاني ص٢٠٢. وطبعة المزيديّ ص١٠٨، ١٠٩. ويُنظر الشّعر في مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ مجلد ١٣، ص١٠٢، ١٩٦٩م، نقلًا عن نشرة سابقةٍ على الطّبعتين المتداولتين للأخبار الموفّقيّات.

قافية الميم

(١٦)

وقال: [من الطّويل]

وَإِنِّـي لَأُمْسِـي ثُـمَّ أُصْـبِحُ طَاوِيًـا وَأُكْرِمُ نَفْسِي عَـنْ دِقَـاقِ المَطَـاعِمِ

التّخريج: المذاكرة في ألقاب الشّعراء، ص٦٦.

(١٧)

وقال: [من البسيط]

كَـأَنَّ رَاكِبَهَـا غُصْـنٌ بِمَرْوَحَـةٍ لَدْنِ المَجَسَّةِ لَيْنُ العُـودِ مِـنْ سَـلَمِ

التّخريج: تاج العروس، (روح)، وهو في المستدرك، ص٧٤٠، وفي التّاج: «قلت: وقد وجدت في هامش الصّحاح لابن القطّاع... قال: وقرأت في شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان قصيدة ميميّة: كأنّ راكبها...».

قافية النّون

(١٨)

وقال: [من الكامل]

إنَّ الفَتَـى لَفَتَـى المَكَـارِمِ وَالعُـلا لَـيْسَ الفَتَـى بِمُغَمْلَـجِ الصِّـبْيَانِ

التّخريج: أساس البلاغة، (فتي) ٢/ ٦. وهو في المستدرك، ص٧٤١.

(١٩)

وقال: [من الطّويل]

وَإِنِّـيَ مِـنْ قَـوْمٍ كِـرَامٍ يَزِيـدُهُمْ شِمَاسًـا وَصَـبْرًا شِـدَّةُ الحَـدَثَانِ

التّخريج: نُسب البيت إلى عبد الرَّحمن في شرح المرزوقيّ على الحماسة، ٢/ ٦٨٥. وهو في تاريخ الطّبريّ، ٨/ ٣٤٥ ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ١٣/ ٢١١. والكامل في التّاريخ، ٥/ ٣٨٩ والبداية والنّهاية، ١٤/ ٢٧ وغير ذلك من المصادر بلا نسبة.

٢- المتنازَع في نسبته بين عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت وغيره:

(١)

وقال عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت: [من الطّويل]

فَقُلْتُ: انْجُوَا عَنْهَا نَجَا الجِلْدِ إِنَّهُ سَيُرْضِيكُمَا مِنْهَا سَنَامٌ وَغَارِبُهْ

التّخريج: البيت مختلف في نسبته بين عبد الرَّحمن بن حسَّان، وأبي الغَمْر الكِلابيّ، وأبي الجَرَّاح العُقَيْليّ، ففي خزانة الأدب، ٤/ ٣٦٠: «ورأيت فِي حاشية الصِّحاح لابن برّي نسبة هذا البيت لعبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت»، وفي المقاصد النّحويّة، ٣/ ١٢٩٩: «قائله هو أبو الجرّاح، قاله أبو علي البغداديّ في كتاب المقصور والممدود، وقال الصّاغانيّ في العباب: هو أبو الغمر الكلابيّ». وعلّق البغدادي، ٤/ ٣٦١ على ما نقله العينيّ عن الصّاغانيّ بالقول: «وَقد فتّشت العباب فَلم أظفر فِيهِ بِشَيْء مِمَّا قَالَه، وَالله أعلم بحقيقة الحال». وتوهَّم العينيّ لمّا قال: «قائله أبو الجرّاح، قاله أبو عليّ»؛ فالقالي في المقصور والممدود، ص٨٧ لم ينسب البيت إلى أحدٍ، وكلّ ما فعله أنّه أسند الإنشاد إلى أبي الجرّاح بقوله: «أنشدنا الفرّاء عن أبي الجرّاح». والبيت منسوب إلى عبد الرَّحمن في تاج العروس (نجا)، وبلا نسبة في سائر المصادر على كثرتها، كما في المقصور والممدود للفرّاء، ص٢٣، وإصلاح المنطق، ١/ ٩٤، والمقصور والممدود لابن ولّاد، ص٥٧٦، والمقصور والممدود للقالي، ص٨٧، ومقاييس اللّغة، ٥/ ٣٩٧، وجمهرة اللّغة، ١/ ٤٩٧ والصّحاح (نجا) وغير ذلك من المصادر.

(٢)

وقال: [من الطّويل]

بُطُونَ العَظَايَا سَرْعَ مَا قَدْ نَسِيتُمْ بِمَوْسِمِ أَهْلِ الجَمْعِ لَطْمَةَ أَسْعَدِ

التّخريج: البرصان والعرجان، ص١١٠، وفيه: «وقال حسَّان، أو عبد الرَّحمن بن حسَّان، أو سعيد بن عبد الرَّحمن بن حسَّان».

(٣)

وقال: [من الخفيف]

لَاحَ بِالـــدَّيْرِ مِـــنْ أُمَامَـــةَ نَـــارُ لِمُحِـــــبٍّ لَـــــهُ بِيَثْـــــرِبَ دَارُ
قَـدْ تَراهَـا وَلَـوْ تَشَـاءُ مِـنَ القُـرْ بِ لَأَغْنَـاكَ عَـنْ نِـدَاهَا السِّـرَارُ

التّخريج: الأغاني: ٥/ ٧٦. وفيه: «الشّعر للأحوص، ويقال: إنّه لعبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت». والبيتان في شعر الأحوص، ص١٥٢ نقلًا عن الأغاني.

(٤)

وقال: [من الوافر]

إِذَا أَبْصَـــرْتَنِي أَعْرَضْـــتَ عَنِّـــي كَـأَنَّ الشَّـمْسَ مِـنْ قِبَلِـي تَـدُوْرُ

التّخريج: لم يُنسب إلى عبد الرَّحمن إلّا في المذاكرة في ألقاب الشّعراء، ص٦٦. وهو لعنترة بن الأخرس الطّائيّ مع أبيات أخرَ في حماسة أبي تمّام، ١/ ١٢٧ والمؤتلف والمختلف، ص٢٢٦، وغيرهما، ولضَمْرَة بن كَعْبَرٍ الطّائيّ في حماسة البحتري، ص٤٥٨، ولعبد الله بن الحشرج الطّائيّ في الأغاني، ١٢/ ١٦ ولنصيح بن منظور الفقعسيّ في الإبانة عن سرقات المتنبّي، ص١٤٣. وبلا نسبة في الحيوان، ٣/ ١١٣، وعيون الأخبار، ٢/ ٥٢٨، واللّامع العزيزيّ، ص٥٠٥.

(٥)

وقال: [من الكامل]

مِـــنْ دُرَّةٍ غَـــالَى بِهَـــا مَلِـــكٌ مِمَّـــا تَرَبَّـــبَ حَـــائِرُ البَحْـــرِ

التّخريج: البيت لعبد الرَّحمن في أساس البلاغة، (غلو) ١/ ٧٠٩. وهو لحسّان في المحكم ٣/ ٣٣٤، والتّكملة والذّيل، ولسان العرب، وتاج العروس (ربب)، وبلا نسبة في الصّحاح (ربب)، وتهذيب اللغة، ٥/ ٢٣١. والصّحيح أنّه لحسّان؛ فهو من قصيدة في ديوانه، تح: عرفات، ١/ ٥٢، ٥٤، وشرح ديوانه للبرقوقيّ، ص١٦٨، ١٧٧، ومنتهى الطّلب، ٦/ ٢٨٦، ٢٩١ مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ.

(٦)

وقال: [من الكامل]

إِنِّي رَأَيْتُ مِنَ المَكَارِمِ حَسْبَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا

التّخريج: هو لعبد الرَّحمن في الكتاب، ٣/ ١٥٣، وشرح كتاب سيبويه للسّيرافيّ، طبعة دار

الكتب العلميّة، ٣/ ٣٨٥ و٣٨٩، وفي هذه الطّبعة البائسة مسخ للشّاهد وتحريف، فمن ذلك قولهم: «وتضيعوا» بدل «وتشبعوا»، و«تلبِسوا» بدل «تلبَسوا»، و«حَر» بدل «حُرَّ»، وفي فصل المقال ص٢٥٠، ٢٥١، والمقاصد الشافيّة، ٤/ ٢٣٤. ونسب إلى ابنه سعيد بن عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت في شرح أبيات سيبويه، ٢/ ١٦٨، وربيع الأبرار، ٤/ ٤٣٠، والحماسة البصريّة، ٣/ ١٣٥٦-١٣٥٧، وهو في هذه المظانّ وغيرها ثاني اثنين مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ:

وَإِذَا تُـذُكِرَتِ المَوَاعِـدُ مَـرَّةً ... فِـي مَجْلِـسٍ أَنْـتُمْ بِـهِ فَتَقَنَّعُـوا

إِنِّـي رَأَيْـتُ مِـنَ المَكَـارِمِ حَسْـبَكُمْ ... أَنْ تَلْبَسُـوا خَـزَّ الثِّيَـابِ وَتَشْـبَعُوا

ونسب كذلك إلى والده حسَّان بن ثابت في الزّهرة، ص٨٢٧، وتاريخ بغداد، ١١/ ١٥٢، ونسب أيضًا إلى جرير في تفسير الزّمخشريّ، ص٤١٨، مع أنّ الزمخشري كان نسبه إلى سعيد بن عبد الرَّحمن في ربيع الأبرار، وتابعه على النّسبة لجرير تفسيرُ البيضاويّ، ٣/ ٦٥، وفتوح الغيب، ٧/ ١٤٤ وغير ذلك من كتب، لكنّي لم أجد البيت في ديوان جرير بتحقيق نعمان محمّد أمين طه، وجاء البيت بلا نسبة في أمثال ابن سلّام، ١٦٨، والدّرّ الفريد، ٤/ ٥٤٦، وخزانة الأدب، ٤/ ٧١، وغير هذه المظانّ.

(٧)

وقال(٥٠): [من البسيط]

أَلَسْـتُ خَيْـرَ مَعَـدٍّ كُلِّهَـا نَفَـرًا ... وَمَعْشَرًا إِنْ هُمُ عُمُّوا وَإِنْ حُصِلُوا

قَـوْمٌ هُـمُ شَـهِدُوا بَـدْرًا بِـأَجْمَعِهِمْ ... مَعَ الرَّسُولِ فَمَـا أَلَـوْا وَمَـا خَـذَلُوا

وَبَـايَعُوهُ فَلَـمْ يَنْكُـثْ بِـهِ أَحَـدٌ ... مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِـي إِيمَـانِهِمْ دَخَـلُ

وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَـرِّ النَّـارِ مُشْـتَعِلُ

وَيَـوْمَ ذِي قَـرَدٍ يَـوْمَ اسْـتَثَارَ بِهِـمْ ... عَلَى الجِيَادِ فَمَا خَـامُوا وَلَا نَكَلُـوا

وَذَا العُشَـيْرَةِ جَاسُـوهَا بِخَـيْلِهِمُ ... مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا البَيْضُ وَالأَسَـلُ

وَيَـوْمَ وَدَّانَ أَجْلَـوْا أَهْلَـهُ رَقَصًـا ... بِالخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الحَزْنُ وَالجَبَلُ

وَلَيْلَـةً طَلَبُـوا فِيهَـا عَـدُوَّهُمُ ... للهِ وَاللهُ يَجْـزِيهِمْ بِمَـا عَمِلُـوا

(٥٠) يُنظَر تفسير غريب القصيدة كتابَ: الإملاء المختصر في شرح غريب السّير، ص٤٢٨، ٤٢٩.

وَلَيْلَـــةً بِحُنَـــيْنٍ جَالَـــدُوا مَعَـــهُ فِيهَـــا يَعُلُّهُـــمُ بِـــالحَرْبِ إِذْ نَهِلُـــوا
وَغَـزْوَةً يَـوْمَ نَجْـدٍ ثَـمَّ كَـانَ لَهُـمْ مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الأَسْـلَابُ وَالنَّفَـلُ
وَغَـزْوَةَ القَـاعِ فَرَّقْنَـا العَـدُوَّ بِـهِ كَمَا تَفَـرَّقَ دُونَ المَشْـرَبِ الرَّسَـلُ
وَيَـوْمَ بُويِـعَ كَـانُوا أَهْـلَ بَيْعَتِـهِ عَلَـى الجِـلَادِ فَآسَـوْهُ وَمَـا عَـدَلُوا
وَغَـزْوَةَ الفَـتْحِ كَـانُوا فِـي سَـرِيّتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَـا طَاشُـوا وَمَـا عَجِلُـوا
وَيَـوْمَ خَيْبَـرَ كَـانُوا فِـي كَتِيبَتِـهِ يَمْشُـونَ كُلّهُـمْ مُسْتَبْسِـلٌ بَطَـلُ
بِالبِيضِ تَرْعَشُ فِي الأَيْمَـانِ عَارِيَـةً تَعْوَجُّ فِي الضّرْبِ أَحْيَانًـا وَتَعْتَـدِلُ
وَيَـوْمَ سَـارَ رَسُـولُ اللهِ مُحْتَسِـبًا إِلَـى تَبُـوكَ وَهُـمْ رَايَاتُـهُ الأُوَلُ
وَسَاسَةُ الحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ حَتّـى بَـدَا لَهُـمُ الإِقْبَـالُ وَالقَفَـلُ
أُولَئِـكَ القَـوْمُ أَنْصَـارُ النّبِـيّ وَهُـمْ قَـوْمِي أَصِـيرُ إِلَـيْهِمْ حِـينَ أَتَّصِـلُ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَـمْ تُنْكَـثْ عُهُـودُهُمْ وَقَـتْلُهُمْ فِـي سَـبِيلِ اللهِ إِذْ قُتِلُـوا

التّخريج: هذه القصيدة متنازَعةٌ بين عبد الرَّحمن ووالده حسَّان، أشار إلى ذلك ابن هشام في السّيرة النّبويّة، ٢/ ٥٥٤-٥٥٦، ففيها: «وقال حسَّان بن ثابت يعدّد أيّام الأنصار مع النّبيّ ﷺ، ويذكر مواطنهم معه في أيّام غزوه، قال ابن هشام: وتُرْوَى لابنه عبد الرَّحمن بن حسَّان».

ونقل القصيدة عن ابن هشام وما ذكره من تنازع النّسبة ديوان حسَّان بن ثابت، تح: عرفات، ١/ ٥٠٢- ٥٠٣، والرّوض الأنف، ٧/ ٣٥٣، والحماسة المغربيّة، ١/ ٥٧١-٥٧٣، والبداية والنّهاية، ٧/ ٢٢١ السّيرة النّبويّة لابن كثير، ٤/ ٦٧. وأورد صاحب الحماسة المغربية من القصيدة سبعة عشر بيتًا، من الثّاني إلى الثّامن عشر ولاءً.

(٨)

وقال: [من المتقارب]

تُكَرْكِـرُهُ خَضْخَضَـاتُ الجَنُـوبِ وَتُفْرِغُـــــهُ هَـــــزَّةُ الشَّـــــمْأَلِ

التّخريج: البيت متنازع في نسبته بين عبد الرّحمن وعروة بن جَلْهَمة المازنيّ وزهير السّكب، وهو في لسان العرب وتاج العروس (ربب)، وفي المستدرك، ص٧٤٠ نقلًا عن اللّسان، وقد سقط سهوًا من العاني، فهو واحد من أربعة أبيات في اللّسان أخذ منها ثلاثة، ونسبت هذه الأربعة إلى زهير السّكب في الأغاني، ٢٢/ ١٠٨، ١٠٩ ضمن قصيدة من أحد عشر بيتًا.

(٩)

وقال: [من الخفيف]

إنَّ مِـنْ أَعْجَـبِ العَجَائِـبِ عِنْـدِي قَتْـــلَ بَيْضَـــاءَ حُـــرَّةٍ عُطْبُـــولِ
قُتِلَـتْ هَكَـذَا عَلَـى غَيْـرِ جُـرْمٍ إِنَّ لِلّهِ دَرَّهَـــا مِـــنْ قَتِيـــلِ
كُتِـــبَ القَتْـــلُ وَالقِتَـــالُ عَلَيْنَـــا وَعَلَـــى الغَانِيَـــاتِ جَـــرُّ الـــذُّيُولِ

التّخريج: الأبيات متنازَعةٌ بين عبد الرَّحمن بن حسَّان وعمر بـن أبـي ربيعـة فـي تـاريخ دمشـق، ٦٩/ ٢٩٥– ٢٩٧ وكذا الأوّل منها في تاج العروس (عطبل)، ففيه: «وأنشد الجـوهريّ لعمـر بـن أبـي ربيعة، وفي العُباب قال: عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت». والثّالـث مـن هـذه الأبيـات منسـوب إلـى عبد الـرَّحمن فـي البـدء والتّـاريخ، ٦/ ٢٣، والاسـتذكار، ٢٦/ ١٩٢، والتّمهيـد لمـا فـي الموطّـأ مـن المعاني والأسانيد، ١٣/ ١٠٥، وبلا نسبة في البيان والتبيين ٢/ ٢٣٦ وتفسير الطّبريّ، ٣/ ٣٦٤.

والأبيات في أنساب الأشراف، ٦/ ٤٤٣. لعبد الله بن الزَّبير الأسديّ، وقيل لعمر بن أبـي ربيعة. وهي أو بعضها، لعمر بن أبي ربيعة فـي مصـادر عديـدة، كمـا فـي، الكامـل فـي اللّغـة، ٣/ ١١٧١، وتاريخ الطّبريّ، ٦/ ١١٢، والأوائل مـن غيـر البيـت الثّـاني، ص٣١٥، والأغـاني ٩/ ١٦٩ ومختصر تاريخ دمشق، ٢٠/ ١٩٦. والصّـحاح ولسـان العـرب (عطبـل)، وهـي فـي شرح ديوانه ص٤٩٨ مما نُسب إليه، وليس في أصل الدّيوان.

(١٠)

وقال: [من الطّويل]

لَنَا مِنْ بَنِـي قَحْطَـانَ سَـبْعُونَ تُبَّعًـا أَقَرَّتْ لَهَا بِـالخَرْجِ مِنْهَـا الأَعَـاجِمُ

التّخريج: البيت مختلف في نسبته بين عبد الرَّحمن بن حسَّان والنّعمان بن بشير الأنصـاريّ فـي التّنبيه والإشراف، ص١٥٧، وهو للنّعمان بـن بشـير فـي الإكليـل ضـمن قصـيدة طويلـة، ٢/ ٢١١ – ٢١٤، وشمس العلوم، ٢/ ٧١٦. وإيضاح شواهد الإيضاح، ١/ ٥٠٩. وليس في شعر النّعمان.

(١١)

وقال: [من الخفيف]

لَـوْ يَـدِبُّ الحَـوْلِيُّ مِـنْ وَلَـدِ الـذَ رِّ عَلَيْهَـــا لَأَنْـــدَبَتْهَا الكُلُـــومُ
لَـمْ تَفُقْهَـا شَـمْسُ النَّهَـارِ بِشَـيْءٍ غَيْـرَ أَنَّ الشَّـبَابَ لَـيْسَ يَـدُومُ

التّخريج: المحبّ والمحبوب ١/ ١٦٨، ١٦٩. والصّحيح أنَّهما لأبيه من قصيدة في ديوانه ١/ ٤٠، ٤١، وفي سيرة ابن هشام، ٢/ ١٤٩، ١٥٠، والبيان والتّبيين ٤/ ٦٨ وأمالي المرتضى، ٢/ ٧٧، والدّرّ الفريد ٦/ ٣٠٢، وغيرها.

(١٢)

وقال: [من الكامل]

صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الجِوَاءِ كَأَنَّمَا أَثَرُ الحَيَاءِ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمِ

التّخريج: البيت لعبد الرَّحمن في اللّامع العزيزيّ، ص١٧١، ١٧٢، وأمالي ابن الشّجريّ، ٣/ ٢٣٢. وهو لبشير بن عبد الرَّحمن الأنصاريّ في أمالي المرتضى، ١/ ٤٩٤، ٤٩٥ والحماسة البصريّة، ٣/ ١١٣٨، ومصارع العشاق، ١/ ٢٥٢. وهو فيها ثالث ثلاثة مع اختلاف في بعض الألفاظ:

صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الجِوَاءِ كأنّمَا تَرَكَ الحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمِ

ونُسب إلى مجنون ليلى في اللّسان (ردع)، وتابعه على ذلك تاج العروس في المادّة نفسها، والبيت مع أخويه في ديوان المجنون، ص ٢٠٠ نقلًا عن اللّسان وغيره، ويُفهم من أمالي القالي ١/ ٢٤٧، أنّ البيت لابن الدّمينة، ولم يُنْسَبْ في الصّحاح (ردع)، والزّهرة، ص١١٣ وشرح الحماسة للمرزوقيّ، ٣/ ١٣٥٧ وشرح التّبريزيّ لديوان الحماسة، ٣/ ٣٠١ ومعجم البلدان، ٣/ ٣٩.

(١٣)

وقال: [من الطّويل]

فَلَا وَيَمِينِ اللهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ هُجِرْتُ وَلَكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ

التّخريج: نَسَبَ المبرّد البيت إلى عبد الرَّحمن في الكامل، ١/ ٢٣. ففيه: «تقول: ظَنَنْتُ بِزَيْدٍ، وَظَنَنْتُ زَيْدًا، أَيْ: اتَّهَمْتُ، مِنْ ذَلك قولُ الشَّاعرِ، أحسبُه عبدَ الرَّحمن بن حسَّان:...» ونقل عن المبرّد هذه النّسبة تهذيب اللّغة ١٤/ ٣٦٤ ولسان العرب (ظنن)، لكنّ صاحب اللّسان نقل عن ابن برّيّ نسبة الشّاهد إلى نَهارِ بْنِ تَوْسِعَة. وبقول ابن برّيّ أخذ صاحب تاج العروس (ظنن).

(١٤)

وقال: [من الوافر]

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ فَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا يَأْتِي اليَدَانِ

أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ: أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ: أَبُوكَ زَانِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ قُرْبَكَ مِنْ زِيَادٍ كَقُرْبِ الفِيلِ مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ

التّخريج: الأبيات لعبد الرّحمن في العقد الفريد ٦/ ١٣٢، ١٣٣، وهي في المستدرك، ص٧٤١، نقلًا عنه، وقد تفرّد العقد بنسبتها إلى عبد الرَّحمن بن حسَّان، والصّحيح أنها ليست له؛ فالمصادر على كثرتها تنسبها لعبد الرَّحمن بن الحكم، وقيل ليزيد بن مُفَرّغ. وهي لابن الحكم في الحيوان، ١/ ١٤٦، و٧/ ٢٣٥ والأوائل، ص٢٤٧ والأغاني، ١٣/ ١٨٧، والدّرّ الفريد، ٧/ ٣٢٨. وغيرها، ومهّد الأصفهانيّ للشّعر بالقول: «قال: لمّا ادّعى معاوية زيادًا قال عبد الرَّحمن بن الحكم في ذلك، والنّاس ينسبونها إلى ابن مفرّغ لكثرة هجائه آل زياد، وذلك غلط». ورُوِيَ في موضع آخر ١٨/ ١٩٩ أنّ يزيدَ قال لمعاوية: «والّذي عظّم حقّك يا أمير المؤمنين ما قلتُه، ولقد بلغني أنّ عبد الرَّحمن بن الحكم قاله، ونسبه إليّ». وهي لابن مُفَرّغ في الشّعر والشّعراء، ١/ ٣٦٣، وتاريخ الطّبريّ، ٥/ ٣١٨. والموشّح، ص٣٤٢.

المصادر والمراجع

- الإبانة عن سرقات المتنبّي: محمد بن أحمد العميديّ (ت، ٤٣٣هـ)، تح: إبراهيم الدّسوقيّ البساطي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨١هـ=١٩٦١م.
- الإبدال والمعاقبة والنّظائر: أبو القاسم الزّجّاجيّ (ت، ٣٣٧هـ)، تح: عزّ الدّين التّنوخيّ، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٣٨١هـ= ١٩٦٢م.
- أخبار الدّولة العبّاسيّة: وفيه أخبار العبّاس وولده، مؤلف مجهول من القرن الثّالث الهجريّ، تح: عبد العزيز الدّوريّ، عبد الجبّار المطلبيّ، دار الطليعة، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧١م.
- الأخبار الموفّقيّات: الزّبير بن بكّار (ت، ٢٥٦هـ) تح: د. سامي مكّي العاني، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٠١٤هـ=١٩٩٦م.
- الأخبار الموفّقيّات: الزّبير بن بكّار (ت، ٢٥٦هـ) تح: د. أحمد فريد المزيديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.
- اختيار الممتع في علم الشّعر وعمله: عبد الكريم بن إبراهيم النهشليّ، (ت، ٤٠٥هـ) تح: محمود شاكر القطّان، ط٢، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٦م.
- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت، ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

- الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد البرّ (ت، ٤٦٣هـ)، تح: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- أسد الغابة في معرفة الصّحابة: أبو الحسن عليّ بن محمّد الجزريّ، المعروف بابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).
- الأشباه والنّظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّة والمخضرمين: أبو بكر الخالديّ (ت، ٣٨٠هـ)، أبو عثمان الخالديّ (٣٧١هـ)، تح: السّيّد محمّد يوسف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.
- الإصابة في تمييز الصّحابة: ابن حَجَر العَسْقَلاني (ت، ٧٧٣هـ)، تحقيق: طه محمّد الزّينيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٧م.
- إصلاح المنطق: ابن السّكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت، ٢٤٤هـ)، تح: أحمد محمّد شاكر، وعبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د. ت.
- الإعجاز والإيجاز: أبو منصور الثّعالبيّ (ت، ٤٢٩هـ)، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهانيّ عليّ بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ)، تح: د. إحسَّان عبّاس، د. إبراهيم السّعافين، بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م.
- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير: أبو محمّد الحسن بن أحمد الهمدانيّ (ت، ٣٦٠هـ)، تح: محمّد بن علي الأكوع، وزارة الثّقافة، صنعاء، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
- أمالي ابن الشّجريّ: هبة الله بن عليّ بن حمزة (ت، ٥٤٢هـ) تح: الدّكتور محمود محمّد الطّناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ=١٩٩١م.
- الأمالي، أبو عليّ القالي: إسماعيل بن القاسم القالي (ت، ٣٥٦هـ)، تح: محمّد عبد الجواد الأصمعيّ، دار الكتب المصريّة، ط٢، ١٣٤٤هـ=١٩٢٦م.
- الأمالي: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم القالي (ت، ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٤، ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): الشّريف المرتضى عليّ بن الحسين (ت، ٤٣٦هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، (عيسى البابي الحلبيّ وشركاه) ط١، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.
- الأمثال: أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهرويّ (ت، ٢٢٤هـ)،تح:د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتّراث، ط١، ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.
- الإملاء المختصر في شرح غريب السّير: أبو ذرّ مصعب بن أبي بكر الخُشَنِيّ (ت، ٦٠٤هـ)، صحّحه: بولس برونله، مطبعة هندية، مصر، ١٣٢٩هـ=١٩١٠م.

- أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاويّ (ت، ٦٨٥هـ)، تح: محمّد عبد الرَّحمن المرعشليّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.
- الأنوار ومحاسن الأشعار: أبو الحسن علي بن محمّد بن المطهّر العَدويّ، المعروف بـ: الشِّمْشَاطيّ (القرن الرّابع الهجريّ) تح: السّيد محمّد يوسف، راجعه عبد السّتّار فرّاج، التّراث العربيّ، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام والثّقافة في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م.
- الأوائل: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ (ت، ٣٩٥هـ)، تح: محمّد السّيّد الوكيل، دار البشير، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٧٨م.
- إيضاح شواهد الإيضاح: أبو علي الحسن بن عبد الله القيسيّ (ت، ق: ٦هـ)، تح: الدّكتور محمّد الدّعجانيّ، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.
- البدء والتّاريخ: المطهّر بن طاهر المقدسيّ (ت، ٣٥٥هـ)، تح: كليمان هوار، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ١٣٣٨هـ= ١٩١٩م.
- البداية والنّهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقيّ (ت، ٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان: أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت، ٢٥٥هـ)، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- البيان والتبيين: أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت، ٢٥٥هـ)، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.
- تاج العروس: محمّد مرتضى الزّبيديّ، تح: عبد السّتّار فرّاج وآخرين، سلسلة التّراث العربيّ، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م/ ١٤٢٣هـ=٢٠٠١م.
- تاريخ الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذّهبيّ (ت، ٧٤٨هـ) تح: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٣م.
- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي، المعروف بالخطيب البغداديّ (ت، ٤٦٣هـ)، تح: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢ م.
- تاريخ دمشق: أبو القاسم عليّ بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت، ٥٧١هـ)، تح: عمر بن غرامة العمرويّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- تاريخ الطّبريّ: تاريخ الرّسل والملوك، محمد بن جرير الطّبريّ (ت، ٣١٠هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دار سويدان، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- التّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشّريفة: شمس الدّين السّخاويّ (ت، ٩٠٢هـ)، عني بطبعه: أسعد الحسينيّ، د. ط، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

- التذكرة الحمدونيّة: ابن حَمدون، محمد بن الحسن (ت، ٥٦٢هـ)، تح: إحسان عبّاس، بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- التّكملة والذّيل والصّلة لكتاب تاج اللّغة وصحاح العربيّة: الحسن بن محمّد الصّغّانيّ (ت،٦٥٠هـ) تح: عبد العليم الطّحّاويّ وأبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط١، ١٣٩١هـ=١٩٧٠م/ ١٤٤٠هـ=١٩٧٩م.
- التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ القرطبيّ (ت، ٤٦٣هـ)، تح: مصطفى بن أحمد العلويّ وآخرين، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الرباط، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م= ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- التّنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة: أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت، ٣٩٢)، تح: سيدة حامد عبد العال، وتغريد عبد العاطي، مراجعة: حسين نصار، دار الكتب القوميّة، القاهرة ط١، ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.
- التّنبيه والإشراف: عليّ بن الحسين المسعوديّ (ت، ٣٤٦هـ)، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصّاوي، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- تهذيب اللّغة: أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ (ت، ٣٧٠هـ)، تح: عبد السّلام هارون، ومحمّد علي النّجّار، وآخرين، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، د. ط، د. ت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (ت، ٣١٠هـ)، تح: محمود محمّد شاكر، وأحمد محمّد شاكر، مكتبة ابن تيميّة، ط٢. د. ت.
- جُمَل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البَلاذُري (ت، ٢٧٩هـ)، ج(٢- ١٣)، تح: سهيل زكّار، رياض زركلي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- جمهرة اللّغة: أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد (ت، ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشّعر: محمّد بن الحسن الحاتميّ (ت، ٣٨٨هـ)، تح: جعفر الكتاني، دار الرّشيد، بغداد، ١٤٠٠هـ=١٩٧٩م.
- الحماسة: أبو عبادة الوليد بن البحتري (ت، ٢٤٨هـ)، تح: محمّد إبراهيم حور، أحمد محمّد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتّراث، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٧م.
- الحماسة البصريّة: صدر الدين عليّ بن أبي الفرج بن الحسن البصريّ (ت، ٦٥٩هـ) تح: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- الحماسة المغربيّة: أبو العباس أحمد بن عبد السّلام الجُراويُّ التَّادِليُّ (ت، ٦٠٩هـ)، تح: د. محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت، ١٠٩٣هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الخيل: أبو عبيد معمر بن المثنّى (ت، ٢٠٩هـ) دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٥٨هـ=١٩٣٨م.
- الدّرّ الفريد وبيت القصيد: محمّد بن أيدمر المستعصميّ (ت، ٧١٠هـ)، تح: د. كامل سلمان الجبوريّ، تقديم: د. حمّودي نوري القيسيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.
- الدّلائل في غريب الحديث: أبو محمّد القاسم بن ثابت السّرقسطيّ (ت، ٣٠٢هـ)، تح: د. محمد بن عبد الله القنّاص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- ديوان جرير: شرح: محمّد بن حبيب: تح: نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.
- ديوان حسَّان بن ثابت: تح: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
- ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، دار مصر، القاهرة، ١٤٠٠هـ=١٩٧٩م.
- ديوان محمد بن يسير الرّياشيّ (ت، ٢٣٠هـ): جمعه وحقّقه: مظهر الحجّي، دار الذّاكرة، حمص، سوريا، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- ذمّ الهوى: أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي الجوزيّ (ت، ٥٩٧هـ)، تح: خالد عبد اللّطيف السّبع العلميّ، دار الكتاب العرب، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت، ٥٨٣هـ)، تح: عبد الأمير مهنّا، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبويّة: أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله السّهيليّ (ت، ٥٨١هـ)، تح: عبد الرَّحمن الوكيل، دار الكتب الإسلاميّة، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم: أبو عليّ الحسن بن مسعود اليوسيّ (ت، ١١٠٢هـ)، تح: د محمد حجّي، د محمّد الأخضر، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- الزّهرة: أبو بكر محمّد بن داود الأصبهانيّ (ت، ٢٩٧هـ)، تح: د. إبراهيم السّامرائيّ، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤٠٦= ١٩٨٥م.
- سمط اللّآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ (ت، ٤٨٧هـ)، تح: عبد العزيز الميمنيّ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة،١٣٥٤هـ=١٩٣٦م.
- السّيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقيّ (ت، ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ=١٩٧٦م.

- السّيرة النّبويّة: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت، ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ الشّلبيّ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.
- شرح أبيات سيبويه: أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السّيرافيّ (ت، ٣٨٥هـ)، تح: د. محمّد علي سلطاني، دار العصماء، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠١٠م.
- شرح ديوان حسَّان: عبد الرَّحمن البرقوقيّ، المطبعة الرّحمانيّة، القاهرة، ١٣٤٧هـ=١٩٢٩م.
- شرح ديوان الحماسة: الخطيب التِّبْريزي (ت، ٥٠٢هـ)، تح: محمّد مُحيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مطبعة حجازيّ، القاهرة، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٨م.
- شرح ديوان الحماسة: أبو عليّ المرزوقيّ (ت، ٤٢١هـ)، تح: أحمد أمين، عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة التّجاريّة الكبرى، مطبعة السّعادة، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.
- شرح ديوان الفرزدق: ضبط معانيه وشروحه: إيليّا الحاوي، دار الكتاب اللبنانيّ، مكتبة المدرسة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م.
- شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السّيرافيّ الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت، ٣٦٨هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي، ورفيقه، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٨م.
- شعر الأحوص الأنصاريّ: جمعه وحقّقه: د.عادل سليمان جمال، قدّم له د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- شعر الأخطل أبي مالك غياث بن غوث التغلبي: صنعة: السُّكّري، رواية: أبي جعفر محمّد بن حبيب، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.
- شعر عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت، (ت، ١٠٤هـ): جمع وتحقيق: د. سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٩٢هـ=١٩٧١م.
- شعر النّعمان بن بشير الأنصاري: حققه وقدم له: د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- شعر هُدبة بن الخشرَم العُذري: تح: د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الشّعر والشّعراء: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت، ٢٧٦هـ) تح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمنيّ (ت،

٥٧٣هـ)، تح: د حسين بن عبد الله العمريّ، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت، ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الصّداقة والصّديق: أبو حيّان التّوحيديّ، علي بن محمّد بن العبّاس (ت، ٤٠٠هـ)، تح: د. إبراهيم الكيلانيّ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- العقد الفريد: ابن عبد ربّه الأندلسيّ (ت، ٣٢٨هـ)، ضبطه وصحّحه: أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة، القاهرة، ط٣، ١٣٦٣هـ=١٩٤٤م-١٣٩٣هـ= ٩٧٣م.
- العمدة في محاسن الشّعر وآدابه: أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ (ت، ٤٥٦ أو ٤٦٣هـ)، تح: النّبويّ عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط١، ١٤٢٠= ٢٠٠٠م.
- عيون الأخبار: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ (ت، ٢٧٦هـ)، تح: منذر محمّد أبو شعر، المكتب الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب: شرف الدّين الحسين بن عبد الله الطّيبيّ (ت، ٧٤٣هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين،، نشر جائزة دبي الدّولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكريّ، تح: د. إحسَّان عبّاس، د.عبد المجيد عابدين، مؤسّسة الرّسالة، دار الأمانة، ط٣، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحاق النّديم (ت، ٤٣٨هـ) تح: د. أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتّراث الإسلاميّ، لندن، ط١، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- الكامل في التاريخ: عزّ الدّين عليّ بن محمّد الشّيبانيّ، المعروف بابن الأثير (ت، ٦٣٠هـ)، تح: عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٣٤هـ=٢٠١٢م.
- الكامل في اللّغة والأدب: أبو العبّاس المبرِّد (ت، ٢٨٥هـ)، تح: د. محمّد أحمد الدالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت، ١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت، ٥٣٨هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- اللّامع العزيزيّ شرح ديوان المتنبي: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعريّ (ت، ٤٤٩هـ)، تح: محمد سعيد المولويّ، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط١، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

- لسان العرب: أبو الفضل، محمّد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت، ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- المحاسن والمساوي: إبراهيم بن محمّد البيهقيّ (ت، ٣٢٠هـ)، وقف على طبعه: فريدريك شوالي، ي. ريكر، مدينة ليبسيغ، ١٣٢٠هـ=١٩٠٢م.
- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت، ٤٥٨هـ)، تح: عبد السّتّار فرّاج، محمد علي النّجار، وآخرين، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة، القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- مختصر تاريخ دمشق: أبو الفضل، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور(ت، ٧١١هـ)، تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٤م.
- المذاكرة في ألقاب الشّعراء: أسعد بن إبراهيم الشّيبانيّ الإربلي (ت، ٦٥٧هـ) تح: شاكر العاشور، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: شهاب الدّين أحمد بن فضل الله العمريّ (ت، ٧٤٩هـ)، المجمّع الثقافيّ، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠١م.
- المستدرك على شعر عبد الرّحمن بن حسَّان: د. يحيى الجبوري، مجلّة العرب، ج٨، السّنة الخامسة، ١٣٩٠هـ=١٩٧١م.
- مصارع العشّاق: جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج القارئ (ت، ٥٠٠هـ)، دار صادر، بيروت. د. ط، د. ت.
- مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب: محمّد بن حسين اليمنيّ (ت، ٤٠٠هـ)، تح: محمّد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨١هـ=١٩٦١م.
- المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت، ٢٧٦هـ)، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.
- المعاني الكبير في أبيات المعاني: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ (ت، ٢٧٦هـ)، تح: المستشرق د سالم الكرنكويّ، دار النّهضة الحديثة، بيروت، د. ط. د.ت.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحَمَويّ الرّوميّ (ت، ٦٢٦هـ)، تح: إحسَّان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحَمَوي (ت، ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- المقاصد الشّافيّة في شرح الخلاصة الكافيّة: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ (ت، ٧٩٠هـ)، تح: عبد الرَّحمن العثيمين وآخرين، معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ بجامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

- مقاييس اللّغة: أبو الحسن أحمد بن فارس (ت، ٣٩٥هـ)، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- المقتضب: أبو العباس المبرد محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ) تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- المقصور والممدود: أبو العباس أحمد بن محمد بن ولّاد (ت، ٣٣٢هـ)، تح: د. إبراهيم عبد الله، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط١، د.ت.
- المقصور والممدود: أبو عليّ القالي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ).، تح: د. أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.
- المقصور والممدود: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت، ٢٠٧هـ)، تح: ماجد الذّهبيّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- منتهى الطّلب من أشعار العرب: جمع: ابن ميمون البغداديّ (ت، ٥٩٧هـ)، تح: محمّد نبيل طريفيّ، دار صادر، بيروت، ط١ ١٤٢١هـ=١٩٩٩م.
- الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتريّ: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمديّ، (ت،٣٧٠هـ)، تح: السّيّد أحمد صقر، دار المعارف، ط٤، سلسلة ذخائر العرب، القاهرة، د. ت.
- الموشَّح: أبو عُبيد الله المَرْزُبانيّ (ت، ٣٨٤هـ)، تح: علي محمّد البجّاويّ، نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

* * *

المقالاتُ والآراء

التعريب
كلام على منطلقه ومسيرته

أ. د. مازن المبارك(*)

بعرف الكتّاب أن الموضوع الذي يكتبون فيه يحدّده عنوانه، وأنه يفرض أبعاده على الكاتب؛ فمن الموضوعات ما يمكن أن يُكتب على أنه موضوع قائم بذاته، مستقلّ بنفسه، ليست له أبعاد تاريخية، أو ليس في حاجة إلى الخوض في تاريخه.

ومن الموضوعات ما يتطلب الموازنة لبيان ما ينفرد به أو ما يخصّه من صفات ومميزات. ومنها ما يقتضي أن يتناول الكاتب تاريخه وشيئًا من نشأته وتطوّره لبيان ما وصل إليه.

ولا بدّ في كثير من الموضوعات الإنسانية والاجتماعية التي تعالج بعض الظواهر والمشكلات والتي تحتاج إلى إصدار أحكام واتخاذ مواقف من أن يعود الكاتب إلى أصولها ونشأتها وتاريخها، وإلى المنطلقات الفكرية التي تتصل بها، وتبيّن بيئتها، وتكون إطارًا لها ومرتكزًا يربطها بتاريخها، وخاصة تلك المشكلات التي عرفنا تاريخها وعراقتها، وأدركنا مكانتها في حياتنا.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ولست أكتم أنني قلت ما قلت لأنني قرأت في السنتين الأخيرتين مقالات عجبت منها؛ فكيف يكتب كاتب مقالة عن اللغة العربية يصفها فيه، ويغفل عن بيان كثير من خصائصها الذاتية وآفاقها الواسعة، وهو يعدّد صفاتها ويعرّف بها؟! وكيف يكتب كاتب في النقد النحويّ، وهو بإزاء جزئية لم يدرِ ما قاله النحويّون فيها وما علّلوا به أحكامها؟! وقرأت لبعض من كتب عن التعريب، فإذا هو يقتطع من تاريخ العربية كلّه قطعة أو لوحة معاصرة، وكأنها هي وحدها التي تمثل اللغة العربية بكلّ صفاتها وأبعادها، غافلًا أو مهملًا ذكر ما كانت عليه من تاريخ وحضارة.. ثم يطلق أحكامه على العربية من خلال ما تتصف به عربية اليوم من قصور وتخلّف وكأن ألسنة هذا العصر وأقلامه هي العربيّة؟!

إذا جازت الكتابة في بعض الموضوعات العلمية مقتصرة على المادة أو العنصر الذي تتناوله لبيان صفاته وخصائصه، فإن الكتابة عن اللغة لا بدّ أن تضع اللغة في مكانها الصحيح وفي بيئتها الأصيلة، وأن تبيّن قديمها وحديثها وتطوّرها والأسباب التي أدّت إلى ما آلت إليه وأصبحت عليه!

إن حديث الطبيب عن ثمرة من الثمار ليبيّن فوائد تناولها، غير حديث من يبيّن كيف نستطيع أن نحسّن نوعها، وكيف يمكن أن نحافظ عليها، وما الحلول التي يقترحها لمشكلاتها...! إنه لا بدّ له من أن يتناول حديثه بيئتها وتربتها وغذاءها ونسغها وما يصيبها من ضوء، وما يتصل بشجرتها وطبيعتها، لأن الثمرة التي يتحدث عنها هي بنت تلك العناصر كلّها.

وكذلك الحديث عن (التعريب) وعمّا يتصل به ماضيًا، وعمّا سيؤول إليه مستقبلًا، لا بدّ من أن يكون وافيًا شاملًا لكلّ ما يتصل به من شؤون اللغة وعلاقتها بأصحابها، وللغة عامّة، وللعربيّة خاصةً شأن أيّ شأن في

علاقتها بالأمة الناطقة بها، وبتاريخها وبحضارتها.

وإن الحديث في الموضوعات الإنسانية والاجتماعية لا تكفي فيه الإحاطة والشمول لعناصرها وأركانها، بل لا بدّ فيه من تحديد المنطَلَقات الفكرية التي لا يجوز إغفالها عند النظر فيها واقتراح الحلول لمشكلاتها.

إن من يكتب عن التعريب لا يجوز أن يقصر نظرته على حاضر اللغة العربية اليوم، ولا يجوز له أن يبتر مرحلة لغوية عن تاريخها وجذورها، وعن الأسباب التي جعلتها تؤول إلى ما آلت إليه اليوم! ولا يجوز أن تكون قطعة جامدة متخلّفة في مرحلة من مراحل التطوّر اللغوي، هي التي نحكم من خلالها على اللغة، وأن يكون الحكم عليها واقتراح الحلّ لمشكلتها من خلال ما هي عليه اليوم من تخلّف وضعف، ولا يجوز إهمال النظرة المستقبليّة التي يتطلّع إليها الناطقون بها وما تحمل من آمال.

على أني لست أكتم أن بعض الذين قالوا ما قالوه لأنهم رأوا في التعريب مشكلة طال عليها الزمان، وكثرت فيها الأقوال والآراء، وامتلأت بها آلاف الصفحات، وما زالت على ما هي عليه، بين قيل وقال وأخذٍ ورد!

والحق أن (التعريب) الذي نعني به تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربيّ كلّه، أصبح مشكلة طال عليها الزمن، ودخلت كما دخل غيرها من مشكلاتنا في جملة (الأمراض المزمنة)، لأننا في هذا الزمن العربي الصعب أصبحنا أمة الأمراض المزمنة؛ فكل مشكلة في حياتنا تستطيل وتمتدّ، وتساير السنين والعصور وهي على ما هي عليه! ولكنّنا - والحق يقال! - لا ننساها، بل نحتفل بذكراها كل عام!

إن للعرب المعاصرين أعيادًا ومناسبات يحتفون بها في تواريخها كل عام، ولبعضها كاللغة العربية في العام الواحد عدّة أعياد... وهي كالمواسم

التي تعاود فيها بعض الأمراض المصابين بها لتذكّرهم بنفسها، ولتذكّرهم أنهم ما زالوا مرضى لم يبرؤوا منها! إنها تأتي في كل عيد أو في كل موعد، فنهب للحديث عنها، والاحتفال بها، فتكثر المقالات وتقام الندوات وتعقد المؤتمرات، وتصدر التوصيات، ويطبّل الإعلام ثم تنتهي القضيّة ويغلق الملفّ وتنام مع أصحابها إلى مثل موعدها من العام القادم، فتكرّر السلسلة، ويتكرّر الكلام، وتتراكم التوصيات، وننام وكفى الله المؤمنين القتال! فلقد قمنا بواجبنا المقدّس نحو لغتنا ورمز قوميّتنا... زاعمين أننا نسير ونتقدّم، وما نحن في الحقيقة إلّا مراوحون، نحرّك أقدامنا ونحن واقفون. وستعاودنا النوبة المَرضيّة أو الصحوة في مثل تاريخها من العام القادم!

لقد أُلِف عرب اليوم معايشة مشكلاتهم، وأُغرموا بأمراضهم، وأدمنوا حكَّ جلودهم، وصاروا أكثر العرب في تاريخ العرب كلامًا وثرثرة وتمثيلًا، وأقلّهم عملًا... ففي كل يوم مشكلة. وفي كل يوم عيد أو يوم نحتفي بها فيه، ولم نتخذ قرارًا، ولم ننفّذ توصية، ولم نغلق ملفّ مشكلة مذ عرفنا المشكلات!

وأعود إلى (التعريب) بمناسبة استبانة وزّعها أستاذان في الأردن هما د. هاشم مناع ود. باسل الزعبي، يوجّهان فيها أسئلة عن التعريب في التعليم الجامعي، ولمّا كان الواجب أن يكون الجواب على قدر السؤال فقد أجبت عن الأسئلة بإيجاز، وهي أسئلة تتصل بالتعريب حصرًا، لذلك رأيت أن أتناول ما يجب أن يكون منطلقًا لآرائنا في التعريب، وهل هو قضيّة جامعيّة يقتصر الأمر فيه على الطلّاب وعلى لغة تعليمهم؟ هل هو قضيّة تعليميّة أو تربويّة فقط؟!

إننا - حين نتحدث عن التعريب - بإزاء إصدار حكم أو اتخاذ قرار، بل اتخاذ موقف في موضوع طال الحديث فيه. وهو موضوع له أبعاده العربيّة والقومية والتاريخية والمصيريّة، فيجب أن نبدأ فيه، وأن ننظر إليه من خلال

معرفة الأساس الفكريّ الذي ننطلق منه إلى الإجابة عن الأسئلة المتعلّقة به.
ولا شكّ أن المنطلق الفكري الذي يجب أن نجيب من منظوره هو:

١- إننا أمة عربيّة ذات لغة كانت لها أصالتها وعراقتها، وكانت لغة حضارة سادت العالم.

٢- إن اللغة مقوّم أساسيّ من مقوّمات الأمّة، وعامل فعّال من عوامل وحدتها.

٣- إن العرب اليوم أمة متخلّفة، شعوبها متفرّقة، لهجاتها المحليّة مختلفة، لغة التعليم فيها ليست واحدة، واللغات التي يُعلَّم بها في جامعاتها متعدّدة.

٤- يجب أن نراعي أن تكون خطّة التعليم في بلادنا في العصر الحاضر:

أ- لا تسلبنا من أمّتنا.

ب- لا تقطعنا عن عصرنا وعلومه.

ج- تساعدنا على صنع مستقبل عربيّ متقدّم أو متحضِّر.

وهذا يعني أن ننسِّق بين أمور لا بدّ منها كلّها وهي:

١- أن يبقى ارتباطنا باللغة العربية متينًا متطوّرًا واعيًا.

٢- أن نستوعب العلوم بلغة من اشتهر بها من الأمم والدول (فندرس طب العيون في الدولة البارعة فيه، والفيزياء حيث اشتُهر بها، وجراحة العظام عند من برع بها... وهكذا).

٣- أن نتيح لطلابنا تعلّم اللغات التي سيتخصَّصون بالعلم في مواطنها التي اشتهرت وبرعت بتلك العلوم.

لا شكّ أن العلوم قسمان: قسم شديد الصلة بأهله لما له من تاريخ، وما له من خصوصيّة، كعلم اللغة القومية الخاصّة بأمة من الأمم، وكعلم الشريعة، وعلم التربية والاجتماع... وقسم عامّ لا يخصّ أمة من الأمم، ولا

قومًا من الأقوام، كالطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء، فهذه علوم محضة مجرّدة من النسبة القومية. ومن الخطأ بل من الخطر أن يتعلّم أبناؤنا علوم القسم الأول في غير مواطنها وإن كان من الخير أن يعرفوا كيف تُدرّس عند غيرنا، أو أن يعرفوا مناهج دراستها. وأما العلوم الأخرى فلا بدّ من طلبها في المواطن أو الدول التي برعت فيها.

وتلك أمور يحسن النظر إليها، ووضع خطة للتعريب نراعيها، ونحاول الأخذ بها، ولا بدّ أن يكون التعريب على أهميّته ذا خطوات حكيمة لينتهي إلى نتيجة محمودة ونهاية رشيدة، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كانت خطّته مراعية ما نتطلّع إليه من تقدّم علمي لا يبعد الأمة عن هويّتها وأصالتها المتمثّلة بلغتها، ولا يتوقّف متجمِّدًا متقوقعًا على نفسه.. إن المطلوب هو وضع برنامج متوازن يراعي الحاجة الملحّة في عصرنا إلى التقدّم العلمي، والإصرار على مراعاة الظروف المحليّة الوطنيّة في ضوء الظروف القوميّة المتطلّعة إلى عودة العرب والعربيّة إلى المشاركة في إنتاج العلم وصنع الحضارة.

إننا في حاجة إلى وضع خطّة تؤهِّل الدارسين من أجيالنا إلى الاضطلاع بما سيقومون به من تعليم للعلوم، وإبداعٍ فيها، لتكون العربية قادرة على المشاركة في العلم، وعلى التكلّم بالعلم مرَّةً ثانية كما كانت يوم كان العرب والناطقون بالعربية ينتجون العلم، ويطوّعونها للتعبير عنه، ويطوّعونه ليكون بلسانها.

وإن علينا أن نغرس في نفوس المتعلّمين من أجيالنا أننا لا نعلّم لغة عربيّة أو أجنبيّة ليجتازوا بها امتحانًا ينتظرهم. ولكنا نعلّمهم ليكونوا رسلًا يحملون العربية إلى العلم، ويحملون العلم إلى العربيّة، إنهم طلائع العلماء بالعربيّة، وطلائع العربيّة في العلوم، وتلك هي الرسالة التي يجب أن

تحملها وتدعو إليها رسالة التعريب.

على أن كل ما قلناه لا يعني القيام بالتنفيذ السريع، فإن كثيرًا من البرامج المفيدة والمخططات النافعة أفسدتها السرعة فيها والعجلة في تطبيقها، وربّ عجلةٍ تهب ريثًا!

إن مشروعًا كمشروع التعريب، مع ما يدفع إليه من مصلحة نهضوية وتطلّع مستقبليّ، يجب أن تكون خطواته حكيمة متّزنة لنكفل نجاحه. ومن خطوات تلك الخطة مثلًا:

١- ألّا يتم التعريب في الجامعات دفعة واحدة، لأن العنصرين الأساسيّين اللذين يقوم التعليم عليهما غير جاهزين، وهما أستاذ العلوم الناطق باللغة العربية، والمصدر العربيّ لذلك العلم، وهو الذي يعتمده الطلاب مرجعًا في دراستهم.

٢- وإلى أن نستكمل مستلزمات التعليم بالعربية، يمكن البدء بالتعريب بخطوات متدرّجة، كأنْ ندخل العربية إلى الساحة العلمية جزئيًا في بعض المقرَّرات الجامعيّة.

٣- تحقيقًا للفقرة السابقة تخصّص الأقسام العلمية في الجامعات مقرَّرين دراسيّين، يسمِّيها القسم المختص، ويسمِّي اللغة الأجنبية التي يُدرَّسان بها، لمدة أربع سنوات (هي مدة التدريس في الكلية) قابلة للتجديد. ويكون ذلك بحسب أهليّة القسم من حيث وجود أساتذة يتقنون تلك اللغة، لأنهم تعلّموا بها في موطنها. وبذلك يتاح للأساتذة الذين درسوا بتلك اللغة الأجنبيّة أن يدرِّسوا بها. كما نهيّئ طلابنا الذين درسوا بلغة أجنبية أن يوفدوا إلى موطنها لمتابعة دراساتهم العليا، فيسهل عليهم ذلك لِما عرفوه من اللغة

والمصطلحات العلميّة فيها.

٤- ويمكن للقسم المختص - إذا دعت الحاجة - أن يغيّر المقرّرين اللذين يُدرَّسان بالأجنبية، أو أحدهما، كما أن له أن يغيّر اللغة الأجنبيّة التي يُدرَّس بها، وأن يستبدل بها لغةً أخرى، على أن يكون المقرَّران بلغة واحدة، وأن يكون ذلك بعد أربع سنوات من تدريس المقرَّر بتلك اللغة.

٥- يطلب إلى مدرّسي العلوم باللغة الأجنبيّة أو إلى غيرهم ممن درس تلك العلوم بها، أن يترجموا مصادر العلمين المقرّرين إلى العربية، أو أن يؤلِّفوا تلك الكتب مباشرة بالعربية، لتكون مراجع عربيّة لتلك العلوم.

٦- يحسن بقاء تدريس مقرَّرين بلغةٍ أجنبية مستمرًّا لتبقى صلة العرب بالعلوم وتطوّرها مستمرّة، ولتبقى العربيّة مؤهّلة للتكلّم بالعلم كما كانت حين كان العرب الناطقون بها ينتجون العلم. ولعلّ ذلك يفتح الباب لتتكلّم العربية بالعلم، وليأتي من أبنائها من ينتج العلم ويضعه بلغته، وبذلك تدخل العربية عصر العلم من جديد.

٧- لا يجوز اتخاذ (المصطلحات الأجنبيّة) حجّة في وجه التعريب وتأجيله، لأن التعليم بالعربيّة لا يضرّه أن يكون المصطلح أجنبيًّا مشروحًا وموضَّحًا باللغة العربية[١].

ولعله يجدر بنا - وقد سبق ذكر المنطلقات الدافعة إلى التعريب - أن نختم بالتذكير بما يؤدي إليه التعريب متسائلين:

١- لماذا أسّسنا مؤسَّسات التعليم؟ وماذا يجب أن نعلِّم؟

---

(١) انظر: (المصطلحات ووسائل إنجاح التعريب) في ص٣٥ من كتاب (اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي) لمازن المبارك. بيروت - دار النفائس - ١٩٩٨م.

٢- هل نريد تبديل المجتمع المتعلِّم أو (العلميّ) لجعله مجتمعًا علميًّا ناطقًا بغير لغته؟!

٣- هل نريد حجب العلم عن العرب بحجبه عن لغتهم، وحجب لغتهم عنه؟

٤- هل نبقي العرب متخلّفين في الميادين العلميّة حتى يتعلّم الشعب العربيّ اللغة الأجنبيّة؟! وأيّ لغة أجنبيّة نعلّمه، والعلوم موزَّعة عليها جميعًا، وكلٌّ منها مبرّزة في ساحة من ساحاته؟

٥- هل في الدنيا كلّها أمة تعلّم أبناءها بغير لسانها؟!

٦- هل يطمع أعداء العرب بأكثر من إبعادهم عن العلم، وبإبعاد العلم عنهم؟

٧- هل تركت أمة في الدنيا تاريخها وحضارتها وتخلّت عن لغتها في سبيل تحصيل العلم؟ أم قامت بنقل العلم إلى لغتها؟

٨- ماذا صنعت الأمم التي كانت متخلّفة وأخذت العلوم عن العرب، سواء أكان ذلك في الأندلس أم في صقلية أو في المستعمرات من الدولة التي تقاسموها وسرقوا مكتباتها ومخطوطاتها؟ هل عرّبوا تعليمهم ولغة أبنائهم أم ترجموا العلوم من العربيّة إلى لغاتهم؟!

٩- أليس التعريب في النهاية قضية وطنيّة قوميّة، بل قضيّة وجود وليست قضية يساوم عليها؟ هل سنبقى عربًا أم سنبيد؟

إن كل ما سبق يقودنا إلى ضرورة وضع منهج تعريبيّ حكيم لا يعتمد الطفرة ولا العاطفة والعشوائية، بل يبدأ بخطوات متأنّية وجادّة نحو غاية يجب أن يستمرّ حتى يحققها على وجهها الصحيح السليم.

* * *

١- من العلماء رجال علّامات وعلّامون وفيهم رجال مُدرِكات لِما جَلَّ ودَقَّ من الأمور والشؤون.
٢- صحة جمع مُشكِلة على مشكلات ومَشاكل.

أ. د. مكي الحسني(*)

١ – من المعروف(١) أنه يقال: رجلٌ **عَلَّامة** في مبالغة **عَلَّام**، وهو مبالغة في **عالِم**. وكذلك يقال: رجلٌ **مُدرِكة** في مبالغة **مُدرِك**.

فقد جاء في اللسان: رجل مدركة: سريع الإدراك.

وجاء في تاج العروس: يقال: له **مُدرِك ودَرّاكة**، أي حاسّة زائدة.

وفيه أيضًا: **المدرِكات الخمس**: **المَدارِك الخمس**: **الحَواسّ الخمس**.

إنّ تاء المبالغة فيها معنى التأنيث، إذ يذهب بها الوصف إلى الغاية أو النهاية. وعلى هذا لا يُجمع طَلْحة (اسم) وعَلّامة (وصف) بالواو والنون لئلا يجتمع فيهما علامتا التأنيث والتذكير. وإذا حُذفت التاء التبس جمعهما بجمع اللفظ المجرَّد منها، فلا يقال في جمع علّامة علّامون، وفي جمع

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) المعرفة ضدّها الإنكار. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨]. يقال:

من **المعروف أن** كذا... أي لا ينكر هذا معظم الناس، أي يرضونه ويُمْضُونه.

والعلم ضِدُّه الجهل. يقال: **من المعلوم أن** كذا... أي لا يجهل ذلك معظم الناس.

مُدرِكة مدركون؛ لأن جمع **علّام** علامون، و**مُدرِك** مدركون.

وقد ورد عن ابن عباس ﷺ أن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، جاء في كلامه (**كذَبَ النَّسّابون**). والمعروف في واحد النسّابين هو **النسّابة**.

وجاء في كلام ابن جنّي في التنويه بالكوفيين من النحويين والموازنة بينهم وبين البصريين: «الكوفيون **عَلّامون** بأشعار العرب مطّلعون عليها فوق البصريين، والبصريون أجود قياسًا...».

وعقّب (ابن علان) فقال: علّامون جمع علّام بغير هاء، مبالغة في عالِم، كعلّام الغيوب، وليس جمع علّامة بالهاء!

ويؤخذ من كلام ابن علان الجوابُ عن (النسّابين) فيقدّر أن واحدهم نسَّاب لا نسّابة، **وقد ورد الوصفان كلاهما**.

وعُرف عن **الكوفيين** أنهم أجازوا جمع **طَلْحة** على **طَلْحين** (إذا كان **الوصف** المختوم بتاء التأنيث قد سَمَّيتَ به رجلًا!). وذهب **البصريون** إلى أن ذلك لا يجوز فقالوا: رجلٌ رَبْعة ورجال ربعات. [الرَّبْعة: الوسيط القامة، للمذكر والمؤنث (المعجم الوسيط)].

وجاء في **اللسان عن الفرّاء** قوله :«من العرب من يقول: امرأة رَبْعة ونسوة ربعات، وكذلك رجل ربعة ورجال **ربعون!**».

ويرى الشيخ محمد علي النجار، عضو مجمع القاهرة، في كتابه «لغويات (١)» الذي اقتبستُ كثيرًا من كلامه، أنّ في جمع نحو علّامة على علّامين سَعَةً من قِبَل مذهب الكوفيين، إذا فهمناه على إطلاقه في **العَلَم والوصف**، لأن الوصف مثل العَلَم لا يختلف عنه في شيء!

نرى مما سبق أن جمع هذا الضرب من الأوصاف بالواو والنون لا إجماع عليه.

والجمع المطّرد فيه هو جمع الصفات (الأوصاف) أي الجمع بالألف والتاء، فيقال **رجالٌ علّامات ومُدركات وراويات للأخبار**...

وجاء في **اللسان** (نسب): تقول: عندي ثلاثة نسّابات وعلّامات تريد ثلاثة رجال، ثم جئتَ بنسّابات نعتًا لهم. والنّسَّابةُ: البليغ العالِم بالأنساب.

ومما جاء في اللسان:

رجلٌ دَرّاك: مدرِك كثير الإدراك. وحكى اللحياني:

رَجُلٌ مُدْرِكةٌ، بالهاء، سريع الإدراك، ومُدْرِكةُ: اسم رجل مشتق من ذلك. كما جاء فيه: مُدْرِكٌ ومُدْرِكةُ: اسمان. ومدركةُ لقب عمرو بن الياس بن مُضر.

٢- من المقرر أن الأصل في جمع الصفات (الأوصاف) أن تُجمع جمع السلامة، وذلك قياس جَمعِها. وتكسيرها ضعيف (لأنه خلاف الأصل في جمعها). يقول الإمام ابن يعيش: «إذا كثر استعمال الصفة مع الموصوف قويت **الوصفية** وقلَّ دخول التكسير فيها، وإذا قَلَّ استعمال الصفة مع الموصوف (أي إذا استغنت عن موصوفها) وكثُر إقامتُها مُقامهُ **غلبت الاسمية عليها وقوِيَ التكسير فيها**».

وحقُّ الصفات أن يجمع **المذكر العاقل** منها جمع سلامة (بالواو والنون)، وأن يُجمع المؤنث منها، **والمذكر غير العاقل**، جمع المؤنث السالم (بالألف والتاء الزائدتين). لكنهم اتسعوا في تكسيرها (لاتساع ميدان البيان!) كما كسّروا **الأسماء**.

بيد أنهم لم يكسّروا كلَّ الصفات، فامتنعوا من تكسير **اسم الفاعل من فوق الثلاثي**، نحو: مدير (من أَدار)، فقالوا: مديرون (لا: مُدراء) ومُسْلِمون (لا: مُسْلِماء!).

وقالوا، على سبيل المثال، في جمع اسم الفاعل (**مُفْعِل**) من الثلاثي

المزيد بالهمزة، **للعاقل**:

مُؤمِنون، مُبدِعون، متقنون، مجرمون، مرشدون، مشركون، مصلحون، مضحكون، مضربون، مُفلحون، موسِعُون، مُقْتِرُون،...إلخ **ولم يكسّروها!** وكسّروا، على قِلّة، **للعاقل**:

مُفْطِر مَفاطِر (ومَفاطير)، مُوسِر مَياسر (ومياسير)، مُنذِر مَناذِر(ة)؛ وإذا كان **مُفعِل** مختصًا بالإناث يكسّر، مثل مُرضِع مَراضع.

وجمعوا **لغير العاقل** فقالوا:

مُبطِل مُبْطِلات (الصلاة). مُفْطِرات (الصيام) مضحكات الأمور. وكسّروا، على قلّة، مُتعِب متاعب، مُبهِج مَباهج (الحياة)، مُخطِر مَخاطِر (الأمر الذي يُعِّرض للخَطَر فهو خطِير!)، مُدرِك (بمعنى حاسّة، كما مَرَّ آنفًا)، مَدارِك.

واستعمل كلمة (مَشاكِل) أبو طالب بن عبد المطلب مادحًا ابن أخيه نبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام فقال:

لَعَمْري لقد كُلِّفتُ[٢] وَجْدًا بأحمدٍ وإخوتِه[٣] دأبَ المحبِّ المواصل

فلا زال[٤] في الدنيا جمالًا لأهلها وزَيْنًا[٥] لمن وَلّاه ذبَّ المشاكل[٦]

ولنا أن نجمع مشكلة على مشكلات أيضًا، فهذا جمعٌ قياسيّ!

* * *

(٢) أي أُوْلِعْتُ بِحُبِّ أحمد.

(٣) يريد بإخوته جعفرًا وعقيلًا وعليًّا، وهم أولاده.

(٤) هذه صيغة دعاء، (بمعنى: أرجو دَوَام أحمد) لأن (لا) النافية دخلت على (زال) الماضي! ومعناها مختلف تمامًا عن (ما زال)!

(٥) الزَّيْن: كلُّ ما يَزيْن: يُجَمِّل ويحسِّن. المعنى: وزَيْنًا (بَهَاءً) لِلّذي فَوَّض إليه الدفع عنه بِحَلِّ مشاكله.

(٦) من كتاب "أزاهير الفصحى" لِعباس أبو السعود- دار المعارف بمصر.

الكَشْكول اللغوي (٤)
القرطاس والخريطة والكرت والكرتون والخرطوشة والكارتل

أ. د. رفعت هزيم(*)

عرفت الإغريقية اللفظ Khartes بمعنى «ورقة النبات» و«ورقة البرديّ»، ويرجّح الباحثون أن يكون أصله من المصريّة القديمة، وقد عُرِّبَ قبل الإسلام بلفظ «القرطاس»، وصاغت اللاتينية منه charta للدلالة على «ورقة الكتابة»، ثم توسعت اللغات الغربية في دلالته في العصر الحديث فصار يعني «الخريطة» و«الكَرْت» أي البطاقة، ثم اشتقت منه ألفاظ «الكرتون» و«الخرطوشة» و«الكارتل».

والقِرطاس والقُرطاس والقَرطاس والقَرطس والقِرطَس: كلّه الصحيفة الثابتة التي يُكتبُ فيها، وأنشدَ أبو زيد لِمخش العقيلي يصفُ رسومَ الدّار وآثارها كأنها خَطُّ زَبور كُتبَ في قرطاس:

كأنّ، بحيثُ استودعَ الدارَ أهلُها، مَخطَّ زَبورٍ من دواةٍ وقَرْطَسِ»(١)

ويُعجب الطلبةُ اليوم بقصيدة المتنبّي التي يُعاتب فيها سيف الدولة، ومطلعها:

واحرَّ قلباهُ مِمن قلبُهُ شَبِمُ ومَنْ بِجسمي وحالي عندهُ سَقَمُ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) اللسان: (قرطس).

وفيها يقول:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي مَنْ بهِ صَممُ

ثم يقول:

فالخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسّيفُ والرُّمحُ والقِرطاسُ والقلمُ

وقد سبقه جرير إلى استعمال «القِرطاس» بقوله:

كأنّ ديارَ الحيِّ من قِدَمِ البِلى قراطيسُ رهبانٍ أحالتْ سطورُها

واشتهرت مصر بقراطيسها، ولكن القدماء استعملوا للكتابة مواد أخرى كالكاغد وعسيب النَّخل، ويذكر الثعالبي أن «كاغد سمرقند عطّل قراطيس مصر لأنّ الكواغيد أحسن وأنعمُ».

وقد ورد بصيغتي المفرد والجمع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ...﴾ [الأنعام: ٧]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا ...﴾ [الأنعام: ٩١]، كما وردا معًا في بيتٍ نقله الجاحظ: «أنشد رجلٌ يونس النحوي:

اسْتودَعَ العِلمَ قرطاسًا فضيّعَهُ فبئسَ مُسْتودَعَ العلمِ القراطيسُ»[٢]

واكتفى المتقدمون كالجواليقي في «المعرَّب» والخفاجي في «شفاء الغليل» والسيوطي في «المهذّب» بالقول إنّه معرَّب دون بيان أصله، أما المحدثون فقد اتفق فرنكل وجفري على أنه من Khartes في الإغريقية ولكنه دخل العربية بمعنى «ورقة الكتابة» بوساطة qrṭys' الآرامية[٣] أو بوساطة السريانية التي يرد اللفظ فيها بالقاف: qarṭīsâ وبالكاف Karṭīsâ[٤]. ويرى

(٢) الحيوان ١/ ٦١.

(٣) Fraenkel 245.

(٤) Jeffery 235-236، ولم يُشر بروكلمان إلى العربية Brockelm.344b، واكتفى نخلة بأنه من الإغريقية: غرائب اللغة ٢٦٤.

لسلاو أن Kertâs – بالكاف والتاء – في لغة الحبشة الجعزية مأخوذ من العربية[٥]. وقد اجتاز هذا اللفظ في مسيرته – كما رأينا – مرحلتين من التطور الدلالي، فهو يعني في الإغريقية «ورقة النبات» و«ورقة البرديّ»، وأضافت إليه الصيغة اللاتينية charta الدلالة على «ورقة الكتابة».

ومن الطريف أن عرب الجاهلية توسعوا في دلالة هذا اللفظ فجعلوه صفةً للفتاة والناقة، «قال ابن الأعرابي: يقال للناقة إذا كانت فتيّةً شابّة وللجارية البيضاء المديدة القامة: قِرطاس»[٦]، وقد ورد في معلقة طرفة وهو يصف ناقته:

وخدٌّ كقِرطاسِ الشآمي، ومِشْفَرٌ كسِبْتِ اليماني قِدُّهُ لـمْ يُحَرَّدِ

ثم أُضيفت إليه دلالات جديدة في العصر الحديث، فهو الكيس المصنوع من الورق في بعض الأقطار، و ورقة ملفوفة على هيئة القمع يوضع فيها الترمس أو البوشار في مصر ، وصاغوا منه «القرطاسيّة» لأدوات الكتابة ولوازمها في بلاد الشام.

وتذكر معاجم اللغة للجذر «خ ر ط» أفعالًا وأسماء بدلالات شتى، ومنها «خرطَ الشّجرةَ خَرْطًا: انتزعَ الورقَ واللِّحاءَ عنها اجتذابًا بِكفِّهِ،... وفي حديث صلاة الخوف: فاخترطَ سيفهُ أيْ سلَّهُ من غمدِهِ،... و الخريطة: وعاءٌ مثلُ الكِيس تكون من الخِرَقِ والأدم تُشرجُ على ما فيها»، وضرب ابن منظور مثلًا لاستعمال الخريطة بقوله «ومنه خرائطُ كُتب السلطان»[٧]، ولو نظر المرء في تاريخ الطبري أو «الأغاني» للأصفهاني أو «أنساب الأشراف»

(٥) Leslau 294b.

(٦) اللسان: (قرطس).

(٧) اللسان: (قرطس).

للبلاذري أو سواها لوجد أمثلةً كثيرة لهذا الاستعمال المهجور اليوم كقولهم: «قال هارون الرشيد للفضل بن الربيع: ابعثْ خريطةً فيها نعيُ فلان»، وقولهم: «وردتْ خريطةٌ على السلطان بموافاة فلانٍ في مركبٍ من مراكب البحر»، وقولهم: «جاءت خريطة البريد وفيها كتابُ فلان». أما الأوجه الأخرى لاستعمالها فهي لا تقل غرابة، ومنها أن تُملأ الخريطة دراهم أو جواهر، وقد رووا أنّ أبا دلامة أخرجَ خريطةً قد كان خاطها من الليل وقال للخليفة المنصور: هل تملأُ هذه دراهم؟ وأنّ أحد القُرّاء والمُحدِّثين واسمه «شهر» كان على خزائن يزيد بن المهلّب (ت١٠٢هـ) في خراسان فاستولى على خريطةٍ فيها مئة دينار، فقال فيه أحدهم:

لقد باع شهرٌ دينهُ بخريطةٍ فَمَنْ يأمن القُرّاءَ بعدكَ يا شهرُ

ومنها أنّ يوسف بن عمر (ت١٢٧هـ)- أمير العراق في عهد هشام بن عبد الملك - طلب السكّر في إحدى موائده من المسؤولين عن الطعام فلم يجدهُ فأخذوا بعد ذلك يحملونه مدقوقًا معهم في خرائط إلى الموائد. أما أطرف الأخبار في استعمال الخريطة فهو في حكاية أبي نصر الفارابي في مجلس سيف الدولة، فقد «أخرجَ من وسطه خريطةً ففتحها وأخرج منها عيدانًا وركّبها ثم لعبَ بها فضحكَ كلُّ مَن في المجلس، ثمّ فكّها وركّبها تركيبًا آخر فبكى كلُّ مَن في المجلس، ثمّ فكّها وغيّر تركيبها وحرّكها فنام كلُّ مَن في المجلس حتّى البوّاب، فتركهم نيامًا وخرج».

ومن العبث البحث عن لفظ «الخريطة» بالمعنى الشائع اليوم وهو «المُصوَّر الجغرافي» في كتب التراث كلها، مما يدلّ على أنه من الدخيل في العصر الحديث، ويبدو أن رفاعة الطهطاوي (ت١٨٧٣) هو الذي أدخله العربية، إذ أورده بعد عودته من فرنسا بصيغتين في أحد كتبه، قال:

«ويتعلمون علم الجغرافيا على خرطات،... ونرسم خارطات جغرافيّة»[٨]. ونُشر في هذا الوقت معجم «محيط المحيط» لبطرس البستاني (ت١٨٨٣) فكان أول معجمٍ ذكره وبيّن أصله ومعناه، قال: «الخارطة مؤنث الخارط، وعند أهل الجغرافية: رقعةٌ مرسومٌ عليها صورة الأرض أو قسمٌ منها، معرَّب كارتا باللاتينية ومعناها ورقة»[٩]، ثم ذكر العنيسي أن مصدر اللفظ هو الإيطالية[١٠]، وقال غيره إنه من «خريطة» في التركية[١١]. وليس ثمة تعارض بين المذهبين لأن اللفظ اللاتيني يعني - كما رأينا- «ورق البردي» و«ورق الكتابة» فحسب، أما دلالته الجديدة أي «المُصوَّر الجغرافي» فقد أضافته الفرنسية carte والإنكليزية chart والألمانية Karte والإيطالية Carta geografica التي دخلت التركية - فيما يظهر- في العهد العثماني ومنها إلى العربية.

ويُضافُ إلى «القرطاس» و«الخريطة» دلالات أخرى لـ carte في الفرنسية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ومنها إلى Karte في الألمانية و card في الإنكليزية المصوغة من charta اللاتيني، فمنها ما عرّبته العامية بصيغة «كَرْت/ كارت» ثم حلّ لفظ «بطاقة» محلّه في الفصحى، فيُقال: بطاقةُ هويةٍ أو دخولٍ أو دعوةٍ أو زيارةٍ أو تهنئةٍ... ID,admition, invitation,visiting,greeting /card، وظهر اللفظ carton في القرن السادس عشر في الفرنسية ومنها إلى الإنكليزية و Karton في الألمانية الذي يُستعمل في العربية كما هو أيْ «كرتون» أو مترجمًا إلى «ورق مُقوّى»، ثم cartoon

(٨) تخليص الإبريز ١٧٣، ٢٧٠.

(٩) محيط المحيط.

(١٠) العنيسي ٢٣.

(١١) عبد الرحيم ٩٩.

في الإيطالية والفرنسية والإنكليزية الذي ترجمته العربية إلى «أفلام الكرتون» و«الرسوم المتحركة»، وقد ظهر أول جهاز مكتمل لعرضها عام ١٨٧٧ وهو من اختراع الفرنسي إميل رينو.

ووُلِدَ اللفظ Cartuccia في الإيطالية في القرن السابع عشر، وانتقل بوساطة التركية بصيغة «خرطوشة» إلى العربية، والجمع: الخرطوش[١٢]، وبصيغة Cartouche إلى الفرنسية وKartusche إلى الألمانية وبصيغتي cartouche + cartridge إلى الإنكليزية، وله دلالتان: الرّصاصة المستعملة في البندقية لأنّ البارود كان يُلفّ في الورق، و: الشكل الإهليلجي المزخرف الذي يتضمن أسماء الآلهة والفراعنة في النقوش المصرية القديمة، وأضافت الفرنسية إليهما دلالة ثالثة تستعمل في مصر وهي: الرّزمة التي تشتمل على ١٠ علب من السجائر أي «الكروز» في سورية التي أضافت إليه دلالةً رابعة وهي أُنبوبة الحبر داخل قلم الحبر[١٣].

وربما كان أحدث الألفاظ cartello في الإيطالية وهو صيغة التصغير من carta اللاتيني الذي انتقل إلى الفرنسية والإنكليزية: cartel وإلى الألمانية: Kartell وإلى العربية «الكارتل» وهو يعني اليوم اتفاق الشركات الكبرى لغرض الاحتكار.

ويتبين من ذلك أن الألفاظ السّتة: القرطاس والخريطة - بمعنى «المُصوَّر الجغرافي» - والكرت والكرتون والخرطوشة والكارتل أخواتٌ من أبٍ واحد، دخلت أولاهن - أي القرطاس - العربية قبل الإسلام وتأخّر دخول الأُخريات إلى العصر الحديث!

(١٢) الكواكبي ٧٤٨.

(١٣) أيْ ما يقابل ink cartridge.

المصادر والمراجع

أ- الكتب العربية:

- تخليص الإبريز في تلخيص باريز: رفاعة الطهطاوي، دمشق ٢٠٠٢.
- -تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة. طوبيا العنيسي، ط٢، ١٩٣٢، القاهرة ١٩٦٤.
- الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦١.
- غرائب اللغة العربية: رفائيل نخلة، بيروت ط٣ ١٩٨٤.
- الكلمات الدّخيلة على العربيّة الأصيلة: صلاح الدين الكواكبي، مجلة مجمع دمشق: المجلدات ٤٨ (١٩٧٣) و٥٠ (١٩٧٥) و٥١ (١٩٧٦).
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت.
- محيط المحيط: بطرس البستاني، بيروت ١٨٧٠.
- معجم الدخيل في العربيّة الحديثة ولهجاتها: ف.عبد الرحيم، دمشق ٢٠١١.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة د.ت

ب- باللغات الأجنبية:

- Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966.
- Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886 , Neud. 1982.
- Jeffery , A.: The foreign vocabulary of the Qur'an. Baroda 1938.
- -Leslau , W.: Comparative Dictionary of Gecez. Wiesbaden 1987.

❋ ❋ ❋

مع مازن المبارك في محاضرته
«مع التراث: منهج ونتائج»

أ. د. عبد النبي اصطيف(*)

مازن المبارك عضو **مجمع اللغة العربية** بدمشق، وعميد كلية الدراسات العربية والإسلامية في **مجمع الفتح الإسلامي** في **جامعة بلاد الشام**، وأستاذ العربية السابق، بل أستاذ الأساتيذ الأعلى، في **جامعة دمشق**، وفي غيرها من الجامعات العربية، وصاحب المؤلفات الصوى في لغة القرآن وما يتصل بها من قضايا ومسائل، قامة لا نظير لها في الثقافة العربية الحديثة في سورية، بل في الوطن العربي، بخبرته الطويلة بهذه اللغة، وإسهاماته المهمة في تدبُّر مختلف جوانبها، ومشاركاته العامة في الحديث عن مزاياها وخصائصها وشؤونها عامة.

وهو بحق الأستاذ المهيمن في قاعات درسه، والذي لا ينازع سلطان معرفته الواسعة، وعلمه الغزير بموضوع درسه، أي سلطان؛ وهو المؤلِّف الذي يكتب بلغة واضحة دقيقة ومكثفة؛ وهو المُحاضر الذي يأخذ بألباب جمهوره؛ وهو المُتحدِّث الذي لا يملّه جليسه. وكيف لامرئٍ مثلي عرفه

(*) أستاذ في جامعة دمشق.

ورد المقال بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

تلميذًا، وقارئًا، ومتابعًا لمحاضراته المجمعية والعامة ولما يسهم به من أحاديث في وسائل التواصل العامة، أن يكون محايدًا في الحديث عن الرجل، أو حتى في مناقشة أي ضرب من ضروب مشاركاته الفعالة في خدمة العربية، خاصة وأني عملت معه على مدى عام كامل في «**مشروع الأنموذج المقترح لخطة تدريس اللغة العربية وآدابها في الدرجة الجامعية الأولى في الوطن العربي**»[(١)]، الذي أُعد بتكليف من **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، ونُشر من جانب **المركز العربي لبحوث الدراسات العليا** بدمشق عام ١٩٨٦م، وأفدت من خبرته البحثية والعلمية فضلًا على خبرته الحياتية، وتعلمت الكثير من أخلاقه وأدبه، وزاملته بعد عودتي من الإيفاد في **قسم اللغة العربية وآدابها** في **جامعة دمشق**، **والمعهد العالي للفنون المسرحية**، ولاحقًا بعد عودته من الإمارات في **جامعة بلاد الشام**، والواقع أن تلمذتي عليه: تلمذة الحضور، وتلمذة السطور، وتلمذة المجاورة، التي امتدت نحوًا من نصف قرن أو يزيد، لم تزدني إلا محبة له، وإكبارًا لدوره في خدمة العربية، وتفهمًا لما أخذ نفسه به من رسالة في النهوض بالأمة ولغتها.

محاضرته «مع التراث: منهج ونتائج»

عندما تتحدث الخبرة، المشفوعة بالمعرفة، والمسكونة بالصدق، والمصوغة برائع البيان فإنها تقول الكثير. وهكذا كان حال محاضرة الأستاذ الدكتور مازن المبارك التي حملت عنوان «**مع التراث: منهج ونتائج**»، والتي ألقاها في قاعة محاضرات **مجمع اللغة العربية** بدمشق في السابع والعشرين

(١) انظر: د. مازن مبارك، د. حسام الخطيب، د. عبد النبي اصطيف، مشروع الأنموذج المقترح لخطة تدريس اللغة العربية وآدابها في الدرجة الجامعية الأولى في الوطن العربي، (المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٦).

من شهر نيسان عام اثنين وعشرين وألفين. فقد كانت محاضرة غنية بكل شيء، ومع أن صاحبها قد تحدث ضِعفي ما خُصِّص له من وقت فإن جمهوره كان متلهفًا لسماع المزيد، يسعد به ويفيد منه، في جلسة كانت إمتاعًا ومؤانسة، مثل ليالي أبي حيان التوحيدي.

وربما كان من أهم ما دلَّلت عليه، وأقنعت به كل محب للعربية – لغة الذكر الحكيم – من المجمعيين والجامعيين مجموعة أمور، أبرزها:

١– أن الكلمات في العُرف العام قد تكون مترادفة، غير أن «الصانع الماهر لا يُغفِل الفروق الدلالية الدقيقة بين ما يُسمى المترادفات. وهذه الدقة في الفروق بين معاني المترادفات ليست مما يتطلبه التعبير العلمي الدقيق في التمييز بين مصطلحاته العلمية فحسب، ولكنه مما يتطلبه التعبير اللغوي، سواء أكان علمًا من العلوم أم فنًا من فنون الأدب» (ص١). والواقع أن علوم اللسان الحديثة والمعاصرة لم تقرّ بوجود المترادفات إلا في حدود ضيقة جدًّا، وذلك عندما تستعمل تسميتان أو أكثر للإشارة إلى المسمى نفسه في أماكن متباعدة، والأستاذ المبارك محق في التنبيه على الفروق الدلالية الدقيقة بين المفردات لتبديد وهم كثرة المترادفات في اللغة العربية.

٢– أن على المؤلف، والكاتب عامة، إلباس معانيه ما يناسبها من الألفاظ، وهو أمر لا تكفي فيه الفطرة السليمة التي تُكتسب بكثرة المطالعة لأمهات كتب التراث، ومخالطة فصحاء العربية، بل لابد من شفع السليقة السليمة بالسعي للتزود بثروة لغوية واسعة، «لتستطيع الفطرة أن تختار من الألفاظ ما يناسبها من المعاني» (ص٢).

٣– أن المتن اللغوي العربي أوسع من أن تحتويه المعاجم العربية القديمة

والوسيطة والحديثة، وأن على دارس هذا المتن ألا يقتصر، في تتبعه له، على هذه المعاجم، بل عليه أن يلتمسه كذلك في كتب الأدب واللغة، ولاسيما المؤلَّفة قبل هذه المعاجم؛ «فالمعجم وحده لا يكفي لشرح ما نريد شرحه من نصوص التراث»، و«المعجم العربي لم يحو لغة العرب كلها أولًا، وإن للعرب أساليب في التعبير تجاوزت حدود المعاني الضيقة للمفردات، مما جعل شرّاح الشعر ومحققي الدواوين يختلفون في شروحهم أو يضلون في بعض ما يذهبون إليه». (ص٥).

٤- وأن على المتتبع الذي يأخذ نفسه بهذه النصيحة القيمة ألا يكتفي، في مراجعته لهذه المعاجم ولتلك الكتب، بالفهارس والمؤشرات التي قد لا تتخلَّل مادتها، بل أن يقرأ الكتب من الغلاف إلى الغلاف، إذ قد يأتي الحديث فيها عن موضوع ما، أو مسألة ما، أو فكرة ما، منجَّمًا، موزَّعًا على أكثر من فصل، أو موضع. فالمؤلفون القدامى، ولاسيما صنّاع المعاجم، ربما يتركون أو يسهون عن ذكر أمر في موضعه، ثم يذكرونه في غير موضعه عندما يتذكرون ذلك. ومعنى هذا أن الباحث عنه قد لا يجده في مظنة وجوده، ومعنى هذا كذلك أن عليه أن يقرأ الكتاب أو المعجم كاملًا، من الغلاف إلى الغلاف، حتى يستوفي غرضه من بحثه عن هذا الأمر.

٥- وأن «الفصيح عند العلماء هو الذي أفصح عن المعنى أولًا، وجاء على القياس ثانيًا، لاما كثُر استعماله». ذلك أن الفصيح ما خلا من اللحن ومن الشذوذ، وإذا ما وصفوا كلمة بكثرة الاستعمال فالمراد عندهم كثرة استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لا كلّ المتكلمين كما يفهم بعض الناس اليوم». «فحقائق العلم واللغة ليست كديموقراطية الانتخابات

تتساوى فيها أصوات العلماء وأصوات العامة». (ص٤).

٦- وكذلك فإن عليه ألا يقصد السواقي في تتبعه لهذا المتن، بل يوطِّن نفسه على العودة إلى الينابيع، فلا يلجأ إلى المراجع يأخذ عنها، ويحيل قارئه على مصادرها، موهِمًا القارئ بصدق إشاراته ودقتها. إذ لا بد من العودة إلى المصادر في طبعاتها المحققة والعالية، ولا يشفع للباحث ذكره أنه إنما ينقل عن مرجع موثوق به، ليعفي نفسه من المساءلة، ويمنح قارئه الثقة بما يضعه بين يديه من أفكار.

٧- وأن يجعل همه بلوغ الحقيقة، وأن يسعى إلى إضافة الجديد في ميدان اهتمامه، وفي موضوع بحثه، وليس مجرد التكرار وقول المعاد؛ وبهذا يكون البحث العلمي تنقيبًا يهدف إلى العثور على لُقى قيّمة ترقى للعرض في متاحف العلم والمعرفة. والناظر إلى الرسائل الجامعية، التي تجيزها الجامعات العربية في الزمن الراهن، إذ لا تستهدف الوصول إلى الحقيقة، فإنها، من ثَمَّ، لا تضيف جديدًا إلى حقل تخصصها، وهي لا تتجاوز دائرة المعاد - المكرور.

والجميل في التدليل على هذه الأمور أن الدكتور المبارك قدّمها من خلال عرضه الشائق الشائك لتجاربه وخبراته العملية في تدبر شؤون اللغة العربية على مدى ما يقرب من ستة عقود. والأجمل أنه عرضها مشفوعةً بالأمثلة الدالة والموثوق بها، **ببيان سهل واضح سام يجمع بين المتعة والفائدة**، ملتزمًا بما أوصى به صاحب كتاب **فن الشعر**، الناقد - الشاعر الروماني هوارس.

* * *

التعريفُ والنقد

في محراب المعجم الوسيط

د. قاسم السارة(*)

مقدمة:

هل لقي **المعجم الوسيط** ما يستحقه من تقدير وإقبال عليه، سواءً لدى طلاب العلم أم المؤلفين والمترجمين؟ وهل هناك دراسات أكاديمية حول علاقة محتواه والتنسيق الطباعي (layout) للمادة المعجمية فيه بالتأثير على الإقبال على المعجم. هذا ما تهدف هذه الورقة تقديمه، من خلال التعريف المُبَسَّط به، والإحصاءات الأولية حول طوائف المادة المعجمية فيه، ومدى الامتثال للمنهجية التي ألزم العلماء الأجلَّاء الأوائل أنفسهم إيَّاها في عملهم في خدمة المعجم الوسيط، وكيف أدى التنسيق الطباعي للنسخة الورقية للمعجم دورًا مُهِمًّا في التعبير عن أبواب المعجم، وعن الأُسَر أو المداخل الرئيسية أو الجذور، وعن المداخل الفرعية الأخرى، واستخدام الشرطات (–) بدائل لتكرار اللفظ، والكشيدات (ـِـُ) لتوضيح حركة عَيْن الفعل المضارع، والمختصرات مثل (ج) للجمع، والأقواس الهلالية، والنقطتين الرأسيتين (:)، والضمائر هو وهي للإشارة إلى المذكر والمؤنث.

وتختتم الورقة بدعوة مفتوحة لكل من يهتم بأمر اللغة العربية لتوفير

(*) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.

ورد المقال بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٢م.

نسخة إلكترونية للمعجم الوسيط، تزيد من فرص الوصول إلى كل مفردة فيه، وتستقبل الاستفسارات والملاحظات والتعليقات من الباحثين والدارسين، دون الإخلال بترتيب محتوى المادة المعجمية، وبالمنهجية التي ارتضتها اللجان التي وضعت الطبعات الخمس للمعجم الوسيط.

وتهتم هذه الورقة أكثر ما تهتم بتقريب المادة اللغوية في المعجم الوسيط إلى الناس، وبتعريفهم بالمنهجية التي اعتمدتها اللجنة التي أعدت ونشرت الطبعة الأولى من المعجم عام ١٩٦٠، وهي منهجية هَيَّأَت له ما لم يتهيَّأ لغيره من وسائل التجديد؛ فَحافظت على الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية، بأن جَمَعَت بين الترتيب الواقعي النطقي لأصول الكلمات (بعد إسقاط الحروف الزوائد منها)، وهو ترتيب خارجيّ تنتظم وفقه أُسَر الألفاظ الأصول مراعيةً للحروف الأولى منها، ويمكن أن يُطْلَق على هذه الأُسَر «المداخل الرئيسية» أو الجذور. ولا بدَّ للباحث في المعجم من المرور بالأُسْرة قبل الوصول إلى الترتيب الداخلي الأبجدي للألفاظ في مداخل المعجم، التي تتضمن موادّ المعجم المُشْتَقَّة أو المتقلِّبة من اللفظ الأصل الذي تنضوي تحته (الأُسْرَة).

والمعجم الوسيط تمثيل حيّ لمرسوم المجمع اللغوي الذي صدر عام ١٩٣٢، الذي نصّ على أنّ من أغراض المجمع أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، ويجعلها وافيةً بمطالب العلوم والفنون وتقدمها، ملائمةً لحاجات الحياة في العصر الحاضر.

المنهجية المعجمية الفريدة:

كان ظهور المعجم الوسيط فتحًا مبينًا في اللغة العربية، ولاسيما منهجيته المبتكرة، التي قَدَّرها العلماء الأجلّاء الذين أسهموا في إعداد المعجم حقَّ قدرها، حتى إنهم صرَّحوا في مقدمة الطبعة الأولى منه، التي صدرت عام

١٩٦٠ أن «وضع المعاجم عملٌ طويل المدى، ويكفي جيلًا أن يرسمَ، في دِقَّةٍ، المنهجَ، وأن يُطَبِّقه على خير وجه، تاركًا للخَلَف أن ينهض بما تقاصرتْ عنه جهوده». ولعل أقرب الأوصاف للمنهجية هي الشجاعة التي تليق بالعلماء الأَجِلَّاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وما كان لغيرهم من الأفراد والمؤسسات، مهما أوتوا من سلطة أكاديمية وشهرة علمية أن يقاربهم، إذ لايزال بعض الدارسين ينظر إليها بمزيج من الخوف والترقُّب.

ولا عجب بعد ذلك أن تستأثر المنهجية التي اتبعتها اللجان المتعاقبة على خدمة المعجم الوسيط باهتمام منقطع النظير، لأن كل مشارك في رسم معالمها كان يدرك أن عرض المادة المعجمية وترتيبها كان في كثير من الأحيان سببًا في اندثار بعض المعاجم، وفي ديمومة معاجم أخرى. ويكفي أن نشير إلى ما جاء في مقدمة الطبعة الأولى للمعجم الوسيط من أن العلماء الأجلّاء قضوا ما يقرب من ربع قرن (١٩٣٦-١٩٦٠) في إعداد المنهجية، فتغيرت أفواج من أعضاء اللجان المشرفة على المعجم، ومن الخبراء الذين يُعِدُّون مادته، وعُرِضَت حصيلة أعمالهم مرات متعددة على مجالس المجمع ومؤتمراته، وحظيت من تلك المؤتمرات بفيض من التوصيات وبكثير من التعديل والتحوير، حتى إن المعجم قُدِّم للطبع مرتين، ثم سُحِب، إلى أن هيَّأ الله له اللجنة الموقَّرة التي تتألف من إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، فنال عملهم الموافقة على إصدار الطبعة الأولى من المعجم الوسيط عام ١٩٦٠، بعد أن خشي عليه الدكتور إبراهيم مدكور، يوم كان أمين المجمع، أن تضيع مادة المعجم، أو يُفْقَدَ شيء منها.

وقد تضمنت مقدمات الطبعات المتتالية للمعجم الوسيط ومقدمة

المعجم الوجيز والمعجم الكبير عروضًا وافية حول المنهجية التي تتبعها اللجان في إعداد المادة المعجمية في كلٍّ منها، وأشرف الأستاذ عبد السلام هارون على التنسيق الطباعي للطبعتين الأولى (١٩٦٠) والثالثة (١٩٧٢)[(١)]، فراجع الأصول وضبطها، ورقَّمها، وذلك بعد أن ساهم الأستاذان الجليلان عبد العليم الطحاوي وحسن عطية في إعداد المواد وتوفير المراجع وتحرير الأصول.

ويمكن تسهيلًا لعرض مضمون هذه الورقة تقسيمها إلى قسمين؛ يعرض القسم الأول منهجية ترتيب المداخل، ويعرض القسم الثاني منهجية جمع المادة المعجمية.

القسم الأول: منهجية ترتيب المادة المعجمية في المعجم الوسيط

أوضحت اللجنة المُوَقَّرة التي أشرفت على إصدار الطبعة الأولى للمعجم الوسيط، في المقدمة التي كتبتها، أنها جمعت طوائف من الألفاظ والتراكيب لبناء المادة المعجمية في المعجم الوسيط، واختارت لها قوالب تناسب طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية، وتلبِّي احتياجات المستخدمين بسهولة ويسر، فشادت صرح المعجم من أبواب تتضمن أُسَرًا أو جذورًا أو مداخل رئيسية، ينضوي تحت كل منها مداخل وألفاظ مترابطة بالجذر الذي استمدت منه حروفها الأصلية، وتواكبها تراكيب بلاغية وأساليب حديثة متداولة في العلم وفي الحياة. ويمكن تبسيط بناء المعجم بتمثيله بهرم:

(١) كما أشرف الأستاذ عبد السلام هارون أيضًا على التنسيق الطباعي للطبعة الثالثة التي صدرت عام ١٩٨٥، وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٠، والطبعة الثانية عام ١٩٧٢، والطبعة الرابعة عام ٢٠٠٤، والطبعة الخامسة عام ٢٠٢١.

والقواعد العامة لترتيب المادة المجمعية في كل مرتبة من مراتب الهرم هي:

- تقديم الأفعال على الأسماء،
- تقديم الفعل المُجَرَّد على المزيد،
- تقديم الفعل اللازم على المتعدّي،
- تقديم الدلالة الحسية للفعل على الدلالة المعنوية،
- مراعاة الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث في كل الألفاظ التي تتساوى في مرتبتها الصرفية، مثال: ★(**بَأَرَ**)...، ثم (**أَبْأَرَ**)، ثم (**ابتأَر**)، ثم (**تَبَأْوَرَ**)، ثم (**البَآرُ**)، ثم (**البُؤْرةُ**)، ثم (**البِئْرُ**)، ثم (**البِئرةُ**)، ثم (**البَئِيرةُ**).
- اعتبار الفعل الرباعي المُضَعَّف أو الثنائي المتكرِّر (مثل زلزل) جذرًا أو أسرة مستقلة، فنلاحظ تتابع الأُسَر أو المداخل الرئيسية: ★(**زَلِزَ**) ثم ★(**زَلْزَلَ**) ثم ★(**زَلَطَ**).
- عرض الفعل المضارع وحركة عينه (ـُـِ) وفعل الأمر ضمن أسرة الفعل الماضي المُجَرَّد (الجذر أو الأصل الثلاثي)، مثال:

★(**بَخَقَتْ**) عينُه ـَ بُخُوقًا، وبَخْقًا: انفقأَت.

والمقصود: ★(**بَخَقَتْ**) عينُه تَبْخَق بُخُوقًا، وبَخْقًا: انفقأَت

- عرض المصدر ضمن أسرة الفعل الماضي المُجَرَّد (الجذر أو الأصل الثلاثيّ)، مثال:

★(**شَبَّ**) النّارَ ـُ شَبًّا، وشُبُوبًا: أَوْقَدَها.

والمقصود: ★(**شَبَّ**) النّارَ يَشُبُّها شَبًّا، وشُبُوبًا: أَوْقَدَها.

- عرض الأسماء المشتقة ضمن أسرة الفعل الماضي المُجَرَّد (الجذر أو الأصل الثلاثي)، مثل:

★(**زَلَمَ**) الإناءَ وغيرَه: ملأَه؛ فالمفعول مَزْلومٌ، وزَليمٌ.

- عرض الاسم الجامد حسب ترتيب حروفه في أُسْرَةٍ مستقلة، مثل:

(**النَّصُّ**): صِيغةُ الكلامِ الأَصليّةُ التي وردتْ من المُؤلِّفِ.

- عرض الاسم العلمي المُعَرَّب حسب ترتيب حروفه لأنه ليس له أُسْرَةٌ ينتمي إليها، ويمكن إحالة تعريفه على الفعل المُجَرَّد الذي تقرب حروفه من حروف الاسم العلمي المُعَرَّب، وهكذا يرد الاسم العلمي المُعَرَّب مرتين، مثل:

★(**بَؤُونةُ**): الشهر العاشر من شهور السنة القِبطيّة، يسبقه بَشَنْسُ، ويليه أَبِيبُ.

- عرض الاسم الملحق بالوزن الرباعي (مثل كوثر وجدول)، والكلمات العربية غير الواضحة الأصل، في أُسْرَةٍ مستقلة، حسب ترتيب حروف فعلها الثلاثي الذي تتناسب حروفه مع حروف الاسم الملحق بالوزن الرباعي، مما يسبب التكرار مرتين، مثل:

(**الجَدْوَلُ**): (انظر: جدول).

★(جَدْوَلَ).....(**الجَدْوَلُ**): مجرًى صغيرٌ يُشَقّ في الأَرض للسُّقيا.

- عرض اسم الحرف (مثل العين) وحروف الجر (مثل إلى وعلى) حسب ترتيب حروفها في أسرة مستقلة. مثل:

★(**الجيم**): الحرفُ الخامسُ من حروفِ الهِجاءِ. وهو حرفٌ ساكِنٌ، لثويٌّ، حَنَكيٌّ، مُركَّبٌ، مجهورٌ.

- **الباب**، إذ يتألف المعجم من ثمانيةٍ وعشرين بابًا، يختص كل باب بالألفاظ التي تبدأ بأحد حروف الهجاء العربية مرتبةً وفق الترتيب التالي: الهمزة، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

باب الجيم

★(الجيم): الحرفُ الخامسُ من حروفِ الهِجاءِ. وهو حرفٌ ساكِنٌ، لثويٌّ، حَنَكيٌّ، مُرَكَّبٌ، مجهورٌ.

★(الجاثليق) عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية: مقدَّم الأساقفة. (ج) جَثالِقةٌ.

★(الجادولينيوم): فلز عددُه الذَّرِّيُّ: (64)، يوجد في معدن الجادولينيت. رمزه الكيميائيّ: (Ga).

★(الجامُ): إناءٌ للشَّراب والطَّعام من فضّة أَوْ نحوها، وهي مؤنثة، وقد غلب استعمالها في قَدَح الشَّراب، ويقال: صبَّ عليه جامَه، وصب عليه جام غضبه: غضب عليه واستفزه. (ج) جاماتٌ، وأَجوامٌ، وجُومٌ.

السفينة. (ج) جَآجِئُ.

★(جأب) ـَ جَأْبًا: باع الجأْبَ، وهو المَغْرَةُ. و- كسَبَ المال.

(الجأْبُ): المَغْرَةُ، وهي ضرب من الحجر الجيريّ، يُصبَغ به. و- السُّرّة. و- كلُّ كَرٍّ غليظ. وهي بناء. و- حمار الوحش. و- الأسد.

- **الأُسَر أو الجذور أو المداخل الرئيسية**، وهي الألفاظ التي تتولَّد منها الكلمات المشْتَقَّة، والتي يحصل عليها مستخدم المعجم بتجريد الكلمات التي يريد البحث عنها في المعجم من أحرف الزيادة، فإذا وجدها في المعجم فإنه يبحث في المادة المعجمية فيها، ليصل عبرها إلى الكلمات التي يبحث عنها، لأنها مُشْتَقَّة منها. ويغلب أن تكون الأُسْرَة فعلًا ماضيًا ثلاثيًّا. وقد بلغ عدد الأُسَر ٧٣٧٤ أُسْرَة، منها ٥٤٦٧ أُسْرَةً (٧٤٪) بصيغة فِعْلٍ، و١٦٦٠ أُسْرَةً (٢٢.٥٪) بصيغة اسْمٍ.

ويمكن أن يوافق المدخل الرئيسي أو الجذر أو الأُسْرَة فعلًا رباعيًّا أو خماسيًّا، أو اسمًا مُعَرَّبًا. ويمكن تمييز الأُسَر في الطبعة الخامسة للمعجم التي صدرت عام ٢٠٢١ بما أضفى عليها التنسيق الطباعي من علامات (اللون الأحمر، النجمة التي تسبقها، احتضان قوسين هلاليين لها، البدء بسطر جديد، الخطّ العريض).

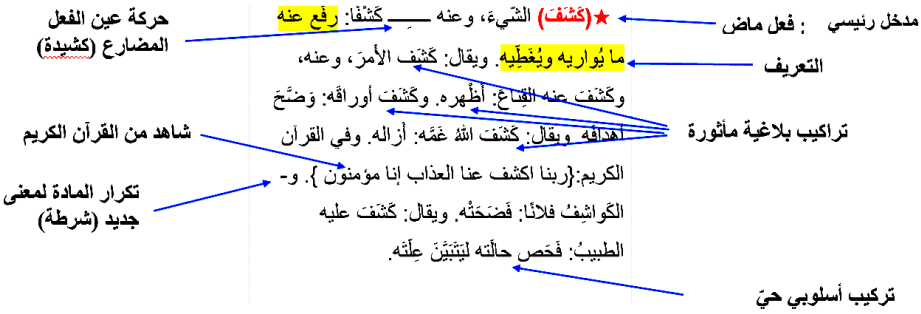

- **المداخل الفرعية**، وهي ألفاظ متعددة تنتمي إلى الجذر أو الأُسْرَة أو المدخل الرئيسيّ، مثل الأفعال المتصرفة منه، والأسماء المشتقة منه، والتراكيب البلاغية ذات الصلة بها. وهي تشترك مع المادة الأصلية التي تنضوي تحتها بالأحرف الأصلية (الجذر اللغوي)، ولكنّ لها دلالات جديدة أخرى تضاف إلى ما للمادة الأصلية من دلالات سبق ذكرها. مثل: فَضُلَ، وأَفْضَل، وفاضَل تحت أُسْرة فَضَل. ويَبْدأ كل مدخل فرعي مع بداية سطر جديد، ويُكْتَب بلونٍ أحمر، ويُحاط بقوسين، وتتميز عن الأُسْرة أو المدخل الرئيسي أو الجذر بغياب النجمة. ويمكن أن يكون كلٌّ منها فعلًا في تصريفات متنوعة، ويمكن أن يكون اسمًا مشتقًّا أو دخيلًا أو مُعَرَّبًا، وبلغ عددها ٣٦٩٣٠ مدخلًا. منها ٢٣٠١٤ مدخلًا (٦٦٪) بصيغة فِعْلٍ، ومنها ١٢٦١٩ مدخلًا (٣٤٪) بصيغة اسمٍ. ويمكن تمييزها في الطبعة الخامسة الورقية (٢٠٢١) بسهولة.

- **التراكيب الدلالية والأساليب الحديثة** التي تُرَصِّع السياق، وفيها ألفاظ لها صلة وثيقة بالمدخل **الرئيسي** أو الأُسْرَة أو الجذر، وتخضع عادةً لقواعد التصريف والتقليب في الأوزان الصرفية، كما يخضع تنظيمها تحت المدخل الرئيسي أو الأُسْرَة أو الجذر إلى القواعد العامة لترتيب المادة المعجمية، وهي عبارات مستمدة من أقوال أو من أمثال، أو شواهد من القرآن الكريم أو من الآثار والحِكَم والأمثال، أو أساليب حيَّة لاقت رواجًا في الصِّحافة ووسائل الإعلام، وقد تكون من الوضوح حتى تنوب عن تعريف المدخل، أو تضفي عليه المزيد من المعاني في سياقات متنوعة. وقد تسبقها عادة واو الاستئناف، أو كلمة «يُقال»، أو عبارة «كناية عن». وبلغ عددها ٣٦٦٢٤ تركيبًا أو عبارة. مثلًا:

(الزِّيرُ): الذي يُكْثِرُ زيارة النِّساءِ، ويُحبُّ مُجالَسَتَهُنّ ومُحادثتَهُنَّ. يقال:

فلانٌ زير نساء. (ج) أَزوارٌ، وأَزْيارٌ، وزِيَرة. والزِّيْرُ العادة.

- وهناك طائفة أخرى من ألفاظ المادة المعجمية الوثيقة العلاقة بالأسرة أو المدخل الرئيسي أو بالمدخل الفرعي الذي ينضوي تحت الأُسْرَة أو المدخل الرئيسي أو الجذر، وقد تُكْتَب هذه الألفاظ بأحرفها المكتملة أو يُسْتَعاض عن تكرارها بكتابة شرطة (-)، وهي مكتوبة باللون الأسود العادي، وتَرِدُ في سياق المدخل الذي تنتمي إليه، فلا تبدأ مع بداية سطر جديد، وهي ليست بين قوسين، وغير مسبوقة بنجمات. وقد بلغ عددها ٣٦٩٦٤ لفظًا. مثلًا:

(**الزِّيُّ**): الهيئةُ والمنظر. و- اللِّباسُ. ويقال: أَقبل بزِيِّ العرب. (ج) أَزْياءٌ.

والمقصود:

(**الزِّيُّ**): الهيئةُ والمنظر. والزِّيُّ اللِّباسُ. ويقال: أَقبل بزِيِّ العرب. (ج) أَزْياءٌ.

القسم الثاني: منهجية جمع المادة المعجمية في المعجم الوسيط:

كان المعجم الوسيط حصيلة جهود مستفيضة ساهم فيها أجيال متعاقبة من العلماء الأعلام، فاستفادوا من جميع الوسائل التي أتاحها لهم عصرهم لجمع المادة اللغوية التي تليق به، وأهمها جرد المعاجم العربية التي صدرت في العصور المتتالية، لالتقاط النفائس من ألفاظها، ومسايرة العصر بانتقاء المصطلحات العلمية والفنية التي ظهرت تلبية للفتوحات العلمية، فاعتدَّت بألفاظ مولَّدة، ووضعتها إلى جانب الألفاظ المأثورة عن القدماء، وبألفاظ كانت مهملة من قبل، فأعادت إليها الاعتبار.

وباستثناء ما سبق ذكره، توخَّت اللجنة إهمال الألفاظ الحوشية الجافية، وهي الألفاظ التي هجرها الاستعمال إما لعدم الحاجة إليها، وإما لقلة الفائدة منها، والألفاظ التي أجمعت المعاجم السابقة على شرحها شرحًا غامضًا

مقتضبًا بعبارات تكون واحدة، لا تبين حقائقها ولا تقرِّب معانيها، والمترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات، والألفاظ التي يعتبرها الناس في المجتمع الحاضر فَظَّة أو خادشة للحياء أو متعارضة مع الأعراف السائدة محليًّا ودوليًّا.

وقد تضمنت مقدمات الطبعات المتتالية للمعجم الوسيط لمحات من معالم تلك المنهجية:

١- فتح باب الوضع للمُحْدَثين بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجَوُّز.

٢- إطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يُقَسْ.

٣- تحرير السماع من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يُسْمَع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدَّادين والنجَّارين والبنَّائين، وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات.

٤- الاعتداد بالألفاظ المُوَلَّدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

٥- إثبات الصِّيَغ القياسية للمطاوعة والتعدية والمصدر الصناعي، وصيغة فُعال للمرض، وصيغة فَعَلان للتقلُّب والاضطراب، وصيغة فِعالة للحرفة، والصِّيَغ المشهورة لاسم الآلة واسم المكان واسم الزمان، وغيرها...

٦- الاستفادة من جميع الوسائل التي اتخذها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، للنهوض باللغة العربية ولتطويرها، بحيث تساير النهضة العلمية والفنية وتصلح للتعبير عما يُسْتَحْدَث من المعاني والأفكار، ومن بينها القرارات التي اتخذها المجمع، ومجموعات المصطلحات العلمية والفنية التي أَقَرَّها.

وقد كانت حصيلة التطبيق العملي لهذه المنهجية تحقيق التوازن الصعب بين الألفاظ التي جمعتها لجان المعجم الوسيط من المعاجم

والكتب العربية القديمة، والألفاظ التي أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة للتعبير عن مفاهيم مستجدَّة، ومواد تفرّد الوسيط بجمعها من المنطوق والمنشور في وسائل الإعلام، أو المطبوعات الأدبية والعلمية والمناهج الدراسية العامة والعالية، والمعاجم العصرية.

وقد حظيت الجهود التي بذلتها اللجان لبناء صرح المعجم الوسيط بتوثيق مُفَصَّل لمحاضر الجلسات، واستعراض الآراء التي كان العلماء الأَجِلَّاء يتبادلونها حول كل لفظ أو حرف أو حركة، ولعل في النقاط التالية إجمالًا لأهم ملامح تلك الجهود:

١- راجعت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط المعاجم والكتب التراثية القديمة لالتقاط صور ذهنية للحياة البدوية والألفاظ التي سادت فيها، واستيعاب كيفية استنباط العرب للألفاظ بعضها من بعض للتعبير عن المعاني المتقاربة من حيث الدلالة. وكان الهدف من ذلك التقاط المزيد من الألفاظ، ثم التعمُّق في معرفة النهج الذي كان العربي القديم يتَّبِعه في صياغة ألفاظ تُعَبِّر عن مفاهيم يعتبرها في ذلك الوقت مستجدَّة. فمثل ذلك النهج يكون له قيمة مضافة في العصر الحاضر.

٢- جمعت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط مادته من المنطوق والمكتوب، ومن القياسيّ والسماعيّ، ومن المتداول في مختلف العصور، وأضافت إلى ما جمعته المصطلحات العلمية المُسْتَجدّة، والتراكيب الأسلوبية الشائعة في مختلف الحِرَف والصناعات، وأولت لغة الإعلام والمناهج الدراسية في مراحل التعليم العام والعالي اهتمامًا خاصًّا.

٣- استثمرت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط الاشتقاقَ، فاستفادت

من الاشتقاق الصرفي أو اللفظي الذي يضفي فيه الوزن وترتيب الحروف على اللفظ معنى جديدًا، كما استفادت من الاشتقاق الدلالي بتخصيص المعنى الأصليّ المشترك لمعنى فرديّ جديد أو طارئ.

٤- حاولت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط تنحية الألفاظ الحُوْشِيَّة (وهي الألفاظ الغريبة التي لا تكاد تُعْرَف، أو المهجورة القليلة الاستعمال، أو التي شهدت المعاجم القديمة أنها مُمَاتَة أو متروكة أو منقرضة أو شاردة أو مرغوب عنها أو دارسة أو مُنْكَرَة، أو التي يراها المجتمع معادية للذوق السليم في الحياة، ويمكن التعبير عنها بالكناية)، مع حفظها لتلبية احتياجات قد تلوح في الأفق في المستقبل، والاهتمام بالألفاظ والتراكيب الحَيَّة السهلة المأنوسة (التي ارتضاها الأدباء؛ فتحرَّكتْ بها ألسنتهم، وجرت بها أقلامهم).

٥- استغنت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط عن ذكر مداخل غير لغوية، مثل الأعلام والمواقع الجغرافية.

٦- وضعت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط تعاريف للألفاظ الدخيلة والمُوَلَّدة والمُعَرَّبة والمُحْدَثة والمجمعيّة، وخصصت لها مختصرات للتعريف بها، ثم أبطلت التفريق بينها، وتوقَّفت عن الإشارة إليها بالمختصرات في الطبعة الخامسة (٢٠٢١).

٧- اقتصدت اللجان التي خدمت المعجم الوسيط في المصطلحات المنحوتة، فلم يزد عددها على بضع عشرة. وهي:

الماجَرَياتُ، والماصَدَق، والبَرمائيُّ، والبَطْنَقَدَمِيّات، والتَّحْتُرْبةُ، وحَسْبَلَ، وحَيْعَلَ، وحَيَّهَلْ، والدَّرْعَمِيُّ، والدَراعِمةُ، والرّأْسقَدَمِيّاتُ، والرَّأْساليّةُ، والعَبادِلةُ، والماهِيّةُ.

٨- لم ترَ اللجان التي خدمت المعجم الوسيط بأسًا في إثبات الألفاظ المُعَرَّبة، مثل العناصر الكيميائية والأجهزة الحديثة. مثلًا:

★ **(الجَبَخانةُ)**: الموضع الذي يُحْفَظُ فيه العتاد الحربيُّ.

٩- توظيف التنسيق الطباعي في عرض المادة المعجمية، بالاستفادة من لون ونمط وقياس وسماكة الخط الذي تُكْتَب به، وتوزيع الكلمات في الأسطر، وعلامات التنقيط، وسماكة الخط لتأثيرها في وصول المادة المعجمية، والتفريق بين طوائفها في المداخل والتعريفات والتوضيحات. وتزداد أهمية دور التنسيق الطباعي عند نشر المادة المعجمية على صفحات الشابكة (الإنترنت). كما يمكن للتنسيق الطباعي أن يسهِّل الدراسات الإحصائية، وتمييز واستفراد التراكيب الأسلوبيّة أو البلاغية المأثورة والحَيَّة في كل حرف. مثل الإحصاءات الأولية التالية لوصف المادة اللغوية في المعجم الوسيط في طبعته الخامسة (٢٠٢١):

استخدام الشرطة مسبوقة بواو العطف: و-	٣٦٨٦٤
لفظ أو عبارة بين قوسين هلاليّين ويتلوهما مسافة ثم شرطة: (...) -	٢٠٧٦
لفظ أو عبارة بين قوسين هلاليّين ويتلوهما نقطتان رأسيتان: (...):	٢٧١١٩
شاهد من القرآن الكريم	٢٣٢٤
شاهد من الأثر (مثل الحديث الشريف)	٤٠٣
صيغة النسبة	٣٤٢
صيغة المذكر	٢١٤٩

صيغة المؤنث	١٣٤٧
صيغة الجمع	٩٣٦٨
صيغة جمع الجمع	٦٦
ضبط عين المضارع بالفتحة	٢٣٧٩
ضبط عين المضارع بالضمة	٣٧٦٦
ضبط عين المضارع بالكسرة	١٧٤٠
ضبط عين المضارع لفعل ماضٍ مشدّد بالفتحة (كفَرِح)	٤٦
الأقواس الهلالية	٥٨٣٧٧ زوجًا

١٠- آنَ الأوان، إن لم يكن قد تأخَّر، للنشر الإلكتروني للمعجم الوسيط على موقع مجمع اللغة العربية على الشابكة (الإنترنت)، ويقتضي ذلك إيداع المادة المعجمية ضمن قاعدة بيانات، وإجراء بعض التغييرات على بنية النص المكتوب، بالاستغناء عن الشرطات (-) والكشيدات (ـِـ)، وتعويض اللفظ المناسب بها، والاستغناء عن ضمير الغائب، وتعويضه بالفاعل أو بالمفعول به، أو المضاف.

فالمدخل (بَتَع) في النسخة الورقية:

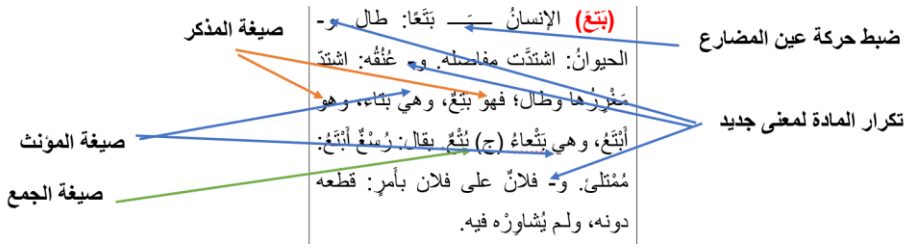

يصبح في النسخة الإلكترونية أكثر وضوحًا:

بَتِعَ الإنسانُ يَبْتَعُ بَتَعًا: طال.

بَتِعَ الحيوانُ: اشتدَّت مفاصله.

بَتِعَ عُنُقُه: اشتدّ مَغْرِزُها وطال؛ والاسمُ المُذَكَّر بَتِعٌ مؤنَّثه بَتِعَةٌ، والاسم المُذَكَّر أَبْتَعُ مُؤَنَّثُه بَتْعاءُ، والجمع بُتْعٌ. يقال: رُسْغٌ أَبْتَعُ: مُمْتلئ.

بَتِعَ فلانٌ على فلان بأَمرٍ: قطعه دونه، ولم يُشاوِرْه فيه.

وقد يحتاج المدخل في النسخة الورقية إلى قدر من التحرير والتوضيح عند التحوُّل من النسخة الورقية إلى النسخة الإلكترونية، مثل المدخل:

(دَوَّلَ) دالًا: كتبها. و- المَدينةَ: وضعها تحت الإشراف الدّوَلِيّ، فجعل الأمرَ فيها لدُوَلٍ مختلِفة. ويقال: دَوَّل القَضِيّةَ.

يصبح في النسخة الإلكترونية:

دَوَّلَ حَرْفَ الدَّال: كتبه.

دَوَّلَ المَدينةَ: وضعها تحت الإشراف الدُّوَلِيّ، فجعل الأمرَ فيها لدُوَلٍ مختلِفة. ويقال: دَوَّل القَضِيّةَ.

خاتمة:

هذه محاولة بسيطة للتعريف بالمعجم الوسيط، ولا أظن أنني أوْفَيْتُه فيها قدرًا يسيرًا مما يستحقّ من تعريف، وما كنتُ أُطيقُ ذلك لو تفرَّغت لذلك ما بقي من عمري كله، ولكنها جهد المُقِلّ، لعل الله ينفع بها أبناءنا وشبابنا فيبادرون إلى المعجم الوسيط، يستفيدون منه، ويضيفون إلى مادته، ويساهمون في ترقية التنسيق والترتيب فيه، حتى يتاح على صفحات مجمع اللغة العربية بالقاهرة على الشابكة.

* * *

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.

دور رضا سعيد
في تعريب التعليم في جامعة دمشق

أ. أحمد بوبس(*)

إذا صعدنا درجات السلم المؤدي إلى مبنى رئاسة جامعة دمشق، ودخلنا بوابة المبنى، فسوف تقابلنا لوحة تذكارية، تحمل عبارة (رضا سعيد مؤسس الجامعة السورية ورئيسها) وتحتها عبارة أخرى تقول (خريجو الجامعة وطلابها يقرّون بفضله)، وتعلو العبارتين صورة وَجْه (بورتريه) لرضا سعيد. وزيادة في التكريم له أطلق اسمه على المدرج الكبير في مبنى إدارة الجامعة وعلى الشارع الممتد قبالة المدخل الرئيسي للمبنى وصولًا إلى شارع شكري القوتلي.

والواقع أنه ليس لرضا سعيد فضل واحد، بل ثلاثة أفضال، أولها تأسيس المعهد الطبي العربي بدمشق، وثانيها تأسيس جامعة دمشق، وثالثها وأهمها تعريب التعليم في جامعة دمشق، وهو موضوع محاضرتي اليوم.

كان رضا سعيد يتحسر وهو يرى لغته العربية تقبع في زوايا النسيان، لتحل مكانها اللغة التركية، ولا سيما في المدارس، وكان هو واحدًا ممن

(*) كاتب وإعلامي.

ألقى الأستاذ أحمد بوبس هذه المحاضرة في قاعة المجمع بتاريخ ٢٨/ ٩/ ٢٠٢٢م.

عاشوا هذه المعاناة، حين تلقّى تعليمه الابتدائي والثانوي والطبي باللغة التركية. لذلك كان حلمه الدائم أن تحل اللغة العربية مكان اللغة التركية في التعليم، وظل هذا الحلم يراوده حتى جاءت الفرصة المواتية لتحقيقه.

ولكن قبل أن نخوض في جهود رضا سعيد في تعريب التعليم، يحسن بنا أن نسلط الضوء على نشأته وتكوينه الثقافي الذي دفعه في هذا الاتجاه.

*** الولادة والنشأة:**

ولد رضا سعيد في الحادي عشر من نيسان عام ١٨٧٦ في بيت شديد الانضباط. فوالده الأميرال محمد سعيد كان من كبار ضباط الجيش العثماني الخامس. وعندما وصل رضا إلى سن الدراسة ألحقه والده بالمدرسة الرشيدية، وكانت مدرسة عسكرية مخصصة لأبناء الضباط بالجيش العثماني، وكان التدريس فيها باللغة التركية، لكن الوالد رغم كونه ضابطًا في الجيش العثماني، كان عربي القلب واللسان، وحرص على أن يكون ابنه مثله، فجلب له مدرِّسًا خصوصيًّا يدرسه اللغة العربية، كما جلب له مدرسًا آخر للغة الفرنسية، لقناعته أن هذه اللغة ستمكن ابنه من الانفتاح على ثقافات العالم.

وبعد أن أنهى رضا سعيد دراسته الثانوية في المدرسة الرشيدية، أرسله والده إلى إستنبول ليلتحق بالقسم الداخلي للمدرسة الطبية، وتخرج من المدرسة عام ١٩٠٢ طبيبًا ضابطًا.

وفي عام ١٩٠٩ تم إيفاده إلى باريس للتخصص في الأمراض العينية، وفي باريس التحق بمشفى (أوتيل ديو) التابع لكلية الطب في جامعة باريس. وهناك تزوج من الصيدلانية الفرنسية (مارسيل أولييه)، وبعد تخرجه عام ١٩١٢، قفل عائدًا إلى إستنبول وبرفقته زوجته مارسيل وجدتها (أوجيني).

في نفس العام نشبت حرب البلقان بين الدولة العثمانية والدول الخاضعة لها في منطقة البلقان وهي بلغاريا وصربيا والجبل الأسود وغيرها. فأرسِل رضا سعيد إلى تلك الجبهة طبيبًا ضابطاً. وفي المشافي الميدانية هناك تعرف على الدكتور مرشد خاطر. وفي عام ١٩١٣ تم نقله إلى دمشق ليعمل في المشفى العسكري (مشفى المزة العسكري حاليًّا). ثم تنقّل في عدة مواقع، إلى أن انتخب عام ١٩١٧ رئيسًا لبلدية دمشق.

*** المعهد الطبي العربي بدمشق:**

عام ١٩١٨ تعرضت دمشق لجائحة التيفوئيد، فانهمك رضا سعيد في مكافحتها، لكن المرض تسلل إلى بيته وأصاب زوجته مارسيل، وتفاقمت حالتها الصحية، فكان لا بد من نقلها إلى باريس لمعالجتها، وسافر وإياها وجدتها وابنه عدنان إلى حلب بالقطار تمهيدًا للسفر إلى باريس، لكن المنيّة وافتها في حلب، فأودع الجدة وابنه في فندق بارون ودفنها في إحدى مقابر حلب، وعاد إلى الفندق وأمضى ليلة صعبة لم يذق فيها طعم النوم إلا قليلًا، وما إن انبلج صباح اليوم التالي، حتى زاره صديقه الدكتور أحمد قدري مستشار الأمير فيصل، وأخبره برغبة الأمير في مقابلته، فقد كان الأمير ينزل في نفس الفندق، وجرت المقابلة سريعًا، وفيها طلب الأمير من رضا سعيد إنشاء معهد طبي في دمشق، وكان شرط رضا سعيد الوحيد أن يكون التدريس في المعهد باللغة العربية، وأوكل رضا سعيد مهمة وضع المناهج الطبية باللغة العربية للمعهد إلى الدكتور مرشد خاطر، الذي شكَّل فريق عمل برئاسته وقام بوضع المناهج المطلوبة وتأليف الكتب الخاصة في ذلك. ومن الأطباء الذين ضمهم فريق العمل الدكتور أحمد حمدي الخياط والدكتور شوكت الشطي والدكتور أحمد منيف العائدي والدكتور

الصيدلاني عبد الوهاب قنواتي. وبدأ المعهد عامه الدراسي الأول بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩١٩.

وفي الواقع فإن تعريب التعليم في المعهد الطبي بدمشق، لم يكن تعريبًا لتدريس الطب فقط، وإنما كان القاعدة الأساس في تعريب التعليم الجامعي، فقد كان المعهد الطبي يضم خمس شعب، هي:

١- شعبة الطب البشري.

٢- شعبة الصيدلة.

٣- شعبة طب الأسنان.

٤- شعبة التمريض والقبالة.

٥- شعبة العلوم: وكانت تُدرّس فيها مواد الكيمياء والفيزياء والعلوم الطبيعية.

وهذه الشعب تحولت فيما بعد إلى خمس كليات هي:

١- كلية الطب البشري.

٢- كلية الصيدلة.

٣- كلية طب الأسنان.

٤- مدارس التمريض والقبالة، ثم كلية التمريض والقبالة.

٥- كلية العلوم: بعد أن أضيفت مواد الرياضيات والعلوم الجيولوجية إلى الكيمياء والفيزياء والعلوم الطبيعية.

وهذه الكليات سارت في نفس نهج المعهد الطبي في التدريس باللغة العربية.

*** مجلة المعهد الطبي:**

لم يشأ رضا سعيد أن تبقى تجربة تدريس الطب باللغة العربية حبيسة

المعهد، وإنما أراد تعريف الأوساط الثقافية والعلمية بها داخل سورية وخارجها. فقرر إنشاء مجلة طبية تابعة للمعهد الطبي تصدر شهريًّا، وهدفها ترسيخ تدريس الطب بالعربية، وتشجيع التفكير والبحث العلمي الطبي باللغة العربية. وكتب بقلمه افتتاحية العدد الأول من المجلة، أوضح فيها أهداف المجلة في ثلاث غايات هي:

١- خدمة اللغة العربية الشريفة، هذه اللغة التي بلغت بفضل علمائها وأدبائها الأقدمين شأوًا بعيدًا في العلوم والآداب.

٢- خدمة الطب والأطباء، فللطب في البلاد العربية ميدان فسيح، وللأقطار العربية أمراض خاصة بها.

٣- خدمة الشعب، لأن الشعب الذي لا تلذُّ له قراءة المقالات الطبية، ولا يروقه الدخول في ذاك العالم الخفي، يجد في هذه المجلة لذة لعقله وفائدة لصناعته.

وكان الشرط الأول للنشر في المجلة أن تكون الدراسات والأبحاث باللغة العربية. وأوكل رئاسة تحريرها إلى الدكتور مرشد خاطر. وصدر العدد الأول في شهر كانون الثاني ١٩٢٤. ونشر أبحاثه في المجلة أساتذة المعهد الطبي العربي بدمشق وأطباء من مختلف البلدان العربية مثل لبنان ومصر والعراق وفلسطين. واستمرت المجلة بالصدور حتى نيسان ١٩٤٧، لتتوقف بعدها عن الصدور بشكل نهائي.

***اعتراف عربي:**

الهاجس الكبير للدكتور رضا سعيد كان الحصول على اعتراف عربي بعملية تعريب مناهج المعهد الطبي العربي بدمشق، وطبعًا تقف مصر في أولوية ذلك. واستطاع رضا سعيد الحصول على الاعتراف على مرحلتين.

المرحلة الأولى حين شارك مع وفد من المعهد الطبي في المؤتمر الدولي لأمراض البلاد الحارة، الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٢٨، وضم الوفد الدكتور أحمد حمدي الخياط والبروفسور ترابو الأستاذ الفرنسي في المعهد الطبي. وتم عرض المؤلفات الطبية الصادرة عن المعهد الطبي في أبهاء المؤتمر. وحظيت المؤلفات بإعجاب المشاركين في المؤتمر وبشكل خاص الأطباء المصريين. ودهشوا من قدرة الأطباء السوريين على تطويع اللغة العربية لكتابة الأبحاث الطبية.

وبلغ إعجاب المصريين شأوًا دفع صحيفة المقطم المصرية أن تشيد في افتتاحيتها بهذا الإنجاز الكبير للمعهد الطبي الدمشقي، حين كتبت تقول:

(لقد جاءنا المعهد الطبي في دمشق ببرهان جديد على إمكان تعليم الطب بالعربية، وأقام لنا الحجة على صحة هذه النظرية بمجموعة من الكتب النفيسة التي ألفها أساتذة هذا المعهد، فأسدوا إلى اللغة العربية خدمة جليلة، فعسى أن يكون ما صنعه المعهد الطبي في دمشق مثالًا يُحتذى...).

في عام ١٩٣٢ ترك رضا سعيد عمادة المعهد الطبي، كي يتفرغ لرئاسة الجامعة، وتولى عمادة المعهد الدكتور أحمد منيف العائدي، وفي خطوة ثانية لاستكمال حصول المعهد الطبي بدمشق على الاعتراف به وبشهادته، ارتأى الاثنان دعوة الجمعية الطبية المصرية لعقد مؤتمرها السنوي في دمشق لإطلاع أعضائها عن قرب على تجربة تدريس الطب باللغة العربية. وبالفعل وجهت الدعوة وعقدت الجمعية الطبية المصرية مؤتمرها السنوي في دمشق خلال الفترة (١٧- ٢٢) حزيران ١٩٣٥، وترأس الوفد الدكتور علي باشا إبراهيم رئيس الجمعية، ووزير الصحة بمصر لسنوات عديدة.

الدكتور أحمد منيف العائدي كان رائعًا في المخطط الذي وضعه لإطلاع

الوفد الطبي المصري على مناهج التعليم في المعهد الطبي وطرائقه، فقد جلس الأطباء المصريون في الصفوف بين الطلاب يستمعون إلى الدروس التي يلقيها الأساتذة السوريون، كما عقدوا جلسات مع الطلاب يسبرون معلوماتهم ومقدار استفادتهم من الدروس واستيعابهم لها. وما إن انتهت أيام مؤتمر الجمعية، حتى كانت القناعة قد ترسخت لدى الأطباء المصريين بنجاح تجربة التعليم الطبي باللغة العربية، ولم يمض أسبوع على مغادرة الوفد الطبي المصري دمشق، حتى تلقى الدكتور رضا سعيد برقية من علي باشا إبراهيم رئيس الجمعية الطبية المصرية، يعلمه فيها باعتراف مصر بشهادة المعهد الطبي بدمشق، وهذا الاعتراف يعني أمرين، السماح لخريجي المعهد الطبي بدمشق مزاولة مهنة الطب في مصر، وإمكانية دراسة الطلاب المصريين في المعهد نفسه. ولم تمض فترة طويلة حتى سارت الدول العربية الأخرى على خطا مصر وأعلنت اعترافها بشهادة المعهد الطبي.

***اعتراف عالمي:**

منذ الأيام الأولى لافتتاح المعهد الطبي بدمشق، كان هاجس رضا سعيد أن تنال شهادة المعهد الاعتراف العالمي بها. ومن أجل ذلك استقدم بُعيد افتتاح المعهد ثلاثة من كبار أساتذة الطب في فرنسا للتدريس في المعهد، وهم الدكتور (لوسركل) للسريريات الجراحية والدكتور (ترابو) للسريريات الباطنية والدكتور (جود) للسريريات العصبية. وله في ذلك غاية أخرى، وهي الاستفادة من أحدث ما توصل إليه الطب في أوربا.

أما الخطوة الأهم التي خطاها رضا سعيد في سبيل الحصول على الاعتراف العالمي بشهادة المعهد، فتمثلت في أنه كان في نهاية كل عام دراسي يدعو لجنة من الأطباء الفرنسيين للحضور إلى دمشق والمشاركة في إجراء

فحوصات التخرج لطلاب المعهد (الكولوكيوم)، فيؤدي الطلاب أمام اللجنة امتحانًا نظريًّا وعمليًّا في كلِّ ما تعلموه في المعهد خلال السنوات الخمس. وكان من نتيجة ذلك أن اعترفت الجامعات الفرنسية بشهادة المعهد الطبي بدمشق، وتوالت بعدها اعترافات الجامعات العالمية بشهادة المعهد، وأصبح بإمكان خريجيه متابعة دراستهم العليا في تلك الجامعات.

*** معهد الحقوق:**

على خط مواز جاء دور المعهد الثاني، وأعني (معهد الحقوق). وكان رضا سعيد أيضًا وراء فرض التدريس بالمعهد باللغة العربية فيه، فقد كان أحد أعضاء اللجنة المكلفة بتأسيس المعهد بصفته رئيس بلدية دمشق. وافتتح المعهد عامه الدراسي بتاريخ ٢٥ أيلول ١٩١٩، ولتكون اللغة العربية لغة التدريس فيه من يومه الأول.

*** تأسيس جامعة دمشق:**

كان حلم رضا سعيد الأهم هو إحداث جامعة سورية، يكون التدريس في جميع فروعها باللغة العربية. وتكللت جهوده بالنجاح، حين صدر القرار رقم / ١٣٢/ تاريخ ١٥ حزيران ١٩٣٢عن رئيس اتحاد الدول السورية صبحي بركات الخالدي، القاضي بإحداث الجامعة السورية. وضمت معهدي الطب والحقوق والمجمع العلمي العربي، وألحق بها متحف دمشق، ثم جرى فصل المجمع والمتحف عنها، لتقتصر على معهدي الطب والحقوق.

وحتى يكون للجامعة هوية عربية واضحة، رأى رضا سعيد أن يختار لها شعارًا يُعبر عن هذه الهوية، كأن يكون الشعار قولًا مأثورًا عربيًّا أو حكمة عربية، أو شطرًا من بيت شعري عربي، وهداه تفكيره إلى شطر من الآية القرآنية الكريمة من سورة طه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ

مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]. واختار منها عبارة: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾. وهذه العبارة التي غدت شعارًا لجامعة دمشق تعلو مدخل مبنى رئاسة جامعة دمشق بالخط الكوفي، وحملها شعار جامعة دمشق وخاتم الرئاسة الذي تختم به مراسلات الجامعة.

*** مدرسة الدروس الأدبية العليا:**

كان هاجس رضا سعيد الدائم أن يعزز مكانة اللغة العربية، ليس في مسألة التدريس فحسب، وإنما على الصعيد الرسمي والعلمي والثقافي والاجتماعي، بعد أن كانت اللغة الفرنسية هي المسيطرة لاسيما في الجانب الرسمي. فعمل على إحداث مدرسة للآداب تتولى تدريس اللغة العربية بشكل أساسي، إضافة إلى الأدب العربي والثقافة العربية. وتكللت جهوده باستصدار القرار رقم (٣٦٨) تاريخ ١ آب ١٩٢٨، وبتوقيع رئيس مجلس الوزراء تاج الدين الحسني، وكان وزير المعارف وقتها محمد كرد علي. وحملت المدرسة أولًا اسم (مدرسة الدروس الأدبية العليا)، ثم تحول إلى (مدرسة الآداب العليا) ثم إلى كلية الآداب.

أما الأقسام التي ضمتها المدرسة فهي:

١ - اللغة والآداب العربية.

٢ - الفلسفة.

٣- اللغة والآداب الفرنسية.

وهذه الكلية هي اليوم كلية الآداب التي غدت حصناً من حصون اللغة العربية. وبذلك وضع رضا سعيد القاعدة الأساس في تعريب التعليم الجامعي، والذي سارت عليه الكليات التي أحدثت بعد ذلك، لتغدو اللغة العربية لغة التدريس والعلم في الجامعة السورية التي تحمل الآن اسم جامعة دمشق.

*** الثانوية (البكالوريا) السورية:**

لم تقتصر جهود رضا سعيد على تعريب التعليم الجامعي، بل امتدت لتشمل التعليم ما قبل الجامعي. ففي عام ١٩٢٤ تولى منصب وزير المعارف في الحكومة التي شكلها صبحي بركات الخالدي، واستمر فيها من تاريخ ٢٠ كانون الأول ١٩٢٤ وحتى تاريخ ٣ كانون الأول ١٩٢٥. وهو عندما قبل المنصب الوزاري، لا لينخرط في العمل السياسي، بل كان يطمح إلى إجراء إصلاحات في التعليم الثانوي. وفور توليه مهام الوزارة عكف على إحداث الثانوية (البكالوريا) السورية، ووضع أسسها ونظامها، لتكون بديلًا عن الثانوية (البكالوريا) الفرنسية التي كانت مفروضة علينا من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، وكانت اللغة الفرنسية فيها تنافس اللغة العربية بل تفضلها، إضافة إلى أن مناهجها كانت زاخرة بالثقافة الفرنسية والتاريخ الفرنسي.

أما في الثانوية (البكالوريا) السورية الجديدة فقد أصبحت اللغة العربية هي الأساس، وتم وضع مناهج جديدة، فأصبح تدريس الأدب العربي والثقافة العربية هو الأساس فيها، كما تم استبدال تدريس التاريخ الفرنسي ليحل محله التاريخ العربي. وبذلك توج رضا سعيد جهوده في تعريب التعليم ليشمل التعليم الجامعي وما قبل الجامعي، الذي تنعم به سورية الآن بفضل جهوده الذي يستحق عليه كل الإجلال والتقدير.

*** التقاعد والرحيل:**

في عام ١٩٣٦ بلغ رضا سعيد الستين من عمره، فتقدم بطلب لإحالته على التقاعد، بعد أن حقق كل ما كان يرغبه، واطمأن على حسن سير العمل في الجامعة. لكن طلبه قوبل بالرفض، وأمام إصراره على التقاعد قُبل طلبه، وتفرغ لعيادته التي كان هجرها لسنين كثيرة. لكن الجامعة والمعهد الطبي

ظلا في قلبه، فكان يسأل عنهما مَنْ تولى المسؤولية فيهما من طلابه.

ومنذ مطلع عام ١٩٤٥ بدأت صحته بالتدهور، ليرحل بتارخ الثامن والعشرين من تشرين الأول ١٩٤٥. فتم تنكيس العلم السوري المرفوع على السارية فوق مبنى رئاسة الجامعة، حزنًا على رحيل مؤسس الجامعة السورية ورئيسها لسنوات طويلة.

* * *

المصادر والمراجع

- كتاب (رضا سعيد مؤسس الجامعة السورية – رجل لكل الأقدار) – الدكتور صباح قباني – جداول للنشر والتوزيع – بيروت ٢٠١١.
- كتاب (تاريخ الجامعة السورية – البداية والنمو ١٩٠١ – ١٩٤٦ – أول جامعة حكومية في الوطن العربي) – عبد الكريم رافق – مكتبة نوبل – دمشق ٢٠٠٤.
- كراس (نبذة عن تاريخ الجامعة السورية) – دمشق (لم يحمل الكراس تاريخ إصداره، وإنما عليه ختم مكتبة الجامعة الذي يحمل تاريخ عام ١٩٤٥، أي إن الكراس صدر في ذاك العام أو قبله).
- كتاب (٣٧٨/ ج س / م) – الجامعة السورية (ذكرت رمز الكتاب لأنه لا اسم له، فقدْ فَقَدَ عددًا من صفحاته الأولى وغلافه. ورمز الكتاب المذكور إنما هو الرمز الذي أعطته إياه المكتبة المركزية في جامعة دمشق التي أعارتني – مشكورة – الكتاب والكراس. ويتضمن هذا الكتاب القوانين والمراسيم المؤسسة للجامعة السورية والناظمة لعملها

ما بين عامي (١٩٢٣-١٩٣٣). ولم يذكر عليه تاريخ إصداره أيضًا، وأقدم تاريخ ذُكر فيه، جاء في عبارة / جرد عام ١٩٦٥. وأغلب الظن أنه صدر في نفس العام الذي صدر فيه الكراس آنف الذكر).

- كتاب (الحكومات والوزارات السورية من ١٩١٨ حتى ٢٠١٠) – إعداد وتوثيق مازن يوسف الصباغ – دار الشرق للطباعة والنشر – دمشق ٢٠١٠.

* * *

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

تعزية

إنّ مجمع اللغة العربية بدمشق يتقدم بأحر التعازي إلى:

مجمع اللغة العربية في القاهرة

بوفاة رئيسه:

المفكر الكبير الأستاذ

صلاح فضل

الذي يعدُّ قامة علمية شامخة من قامات الثقافة العلمية الشامخة والملتزمة.

لقد عرفته الأوساط الثقافية ناقدًا مبدعًا ومترجمًا كفيًّا ومنظرًا ثقافيًّا من الطراز الرفيع وأستاذًا جامعيًّا مجليًا، ومجمعيًّا متألقًا تفخر به وبعطائه المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي، وسيترك غيابه عن الساحة الثقافية فراغًا كبيرًا نظرًا لما كان يتسم به رحمه الله من نشاط واسع وإسهام فعال في ميادين ثقافية متعددة على الصعيد العربي، يزينه في أدائه الثقافي خلق رفيع وضمير حيّ صاف ونقي؛ رحمه الله الرحمة الواسعة سعة ما قدمه لوطنه وأمته من أياد بيض في مؤلفاته الحسان وإسهاماته الفكرية النقدية التي تبدت في البحوث والدراسات والتقويمات وأحكامه الموضوعية التي تجلت في منحه الجوائز والمكافآت.

ندعو الله أن يسكنه فسيح جناته وأن يلهم أهله وذويه وأصدقاءه ومحبيه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

مجمع اللغة العربية بدمشق

العيد الماسي للمجمع العلمي اللغوي في العراق

أ. د. محمود أحمد السيّد(*)

المحتويات

أولًا- توطئة

ثانيًا- لمحة تاريخية

ثالثًا- مجالات التعاون بين مجمعي اللغة في بغداد ودمشق:

أ- الكتب التي ألفها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

ب- الكتب التي حققها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

ج- المقالات التي كتبها أعضاء في المجمع العراقي، ونشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

د- المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت في مجلة المجمع بدمشق.

هـ- المحاضرات والبحوث والكلمات والقصائد الشعرية التي ألقاها أعضاء من المجمع العلمي العراقي في مؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق، وندواته، واحتفالاته.

(*) رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

و- المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن المجمع العراقي.

ز- الكتب التي ألفها عراقيون من المجمع العلمي اللغوي، وعرّف بها أعضاء من مجمع اللغة العربية بدمشق.

رابعًا- خاتمة

أولًا - توطئة:

إنّ مجمع اللغة العربية بدمشق يهنئ أخاه المجمع العلمي العراقي رئيسًا، وأعضاء، وعاملين فيه، بهذه المناسبة السعيدة مناسبة الاحتفال بالعيد الماسي للمجمع، وهي مناسبة ليست بعزيزة على قلوب شعبنا العربي في العراق وحده، وإنما هي عزيزة على قلوب أبناء الأمة كافة، ما دامت مسيرته تجلّت في خدمة موحدة كلمتنا، ورابطة شملنا، ولسان قرآننا المبين، والمعبرة عن ذاتيتنا الثقافية، وهويتنا الحضارية، ومحبوبتنا الأثيرة، ورحم الله الشاعر العربي السوري نزار قباني القائل:

إني أحبك كي أبقى على صلة بالله، بالأرض، بالتاريخ، بالزمن
أنت البلادُ التي تعطي هويتها من لا يحبك يبقى دونما وطنِ

لا شيء أجمل ولا أبهى ولا أكمل من لقاء الفكر بين الأشقاء، ووحدة الرؤية، وتنسيق الجهود في سبيل تحقيق الغايات النبيلة، والأهداف الجليلة، وأي غاية أسمى من خدمة الروح والهوية والوطن ؟ وما كانت لغتنا العربية إلا روح هذه الأمة الواحدة، وهويتها الحضارية، ووطنها العريق، وإعجاز قرآنها الكريم، والمعبرة عن ذاتية ثقافتها، ونبل مقاصدها.

ولكم يفرح أحدنا عندما يجد كوكبة من علماء أمتنا في مجمعي اللغة العربية في العراق والشام، يكمل بعضهم بعضهم الآخر في التأليف، والتحقيق،

والبحوث، والدراسات، وإنجاز المقالات، وإلقاء الكلمات، والقصائد الشعرية، والمقطوعات، والتعريف بالنتاج الفكري لبعض من الأعضاء المجمعيين في العراق على صفحات مجلة المجمع العلمي اللغوي في دمشق.

وما كان الشعبان العراقي والسوري إلا شعبًا واحدًا في بلدين، ورحم الله شاعرنا العربي السوري بدوي الجبل القائل:

ليس بين العراق والشام حدٌّ هدم الله ما بنوا من حدودِ

ثانيًا- لمحة تاريخية:

من الصروح العلمية التي نعتز بها على الصعيد القومي مجمع اللغة العربية بدمشق الذي أنشئ عام ١٩١٩ بعد حصول سورية على استقلالها، وتحررها من الاستبداد التركي البغيض الذي ابتليت به بلاد الشام والعراق، وكان أول رئيس لمجمع دمشق - وكان اسمه آنذاك المجمع العلمي العربي- هو الأستاذ المفكر الكبير محمد كرد علي رحمه الله.

وتجلت أهدافه فيما يأتي[(١)]:

١- النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد.

٢- جمع الكتب مخطوطة، ومطبوعة، وتأسيس متحف لها.

٣- جمع الآثار القديمة عربية، وغير عربية، وتأسيس متحف لها.

٤- إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله، وتكون

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق- المجلد الأول- الجزء الأول- كانون الثاني عام ١٩٢١ ص٦.

رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة.

وغني عن البيان أن دار الكتب العامة التي ارتبطت بالمجمع هي المكتبة الظاهرية، وأن موضوع الآثار، وتأسيس متحف لها كان مرتبطًا بالمجمع قبل إحداث وزارة الثقافة إبان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨.

وأضحى اسم المجمع «مجمع اللغة العربية» في عهد الوحدة بين سورية ومصر بدلًا من تسميته بالمجمع العلمي العربي، وذلك على غرار تسمية مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وثمة صرح علمي آخر هو المجمع العلمي العراقي الذي صدرت الإرادة الملكية في العراق عام ١٩٤٧ بإنشائه، وكان الملك العراقي آنذاك فيصل الثاني بن غازي، وهو آخر ملوك العراق من الأسرة الهاشمية. ومن أهدافه:

١- العمل على العناية بسلامة اللغة العربية، ونبش تاريخ علمائها وأدبائها ومخطوطاتها.
٢- العناية بالعلوم الحديثة وفنونها تأليفًا وترجمة.
٣- العناية بكل ما له صلة بذلك من مباريات ثقافية، واتصال بالجامعات، والمجامع العلمية، وعقد مؤتمرات، وإنشاء دار طباعة، ومجلة، ودار كتب.

وقد جعل أعضاؤه أربعة أصناف: عاملين ومساعدين وفخريين ومراسلين، وحدّد عدد أعضائه العاملين بخمسة عشر عضوًا، وكان رئيسه معالي محمد رضا الشبيبي وزير المعارف آنذاك، وثمة نائبان للرئيس هما توفيق وهبي، والدكتور هاشم الوتري، وأمين مجمع هو الدكتور جواد علي.

ثالثًا- مجالات التعاون بين مجمعي اللغة في بغداد ودمشق:

ونحاول فيما يلي تسليط الأضواء على ما جرى من تعاون بين مجمعي

اللغة العربية في دمشق وبغداد في العقود السابقة، وتجلّى هذا التنسيق والتعاون في أمور عدة من أهمها ما يأتي:

أولًا- الكتب التي ألفها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق:

بلغ عدد الكتب التي ألفها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ثلاثة كتب، مرتبة ترتيبًا زمنيًا وهي:

١- سفر خالد بن الوليد من العراق إلى الشام لمؤلفه طه الهاشمي عام ١٩٥٣.

٢- مدرسة سالرنو الطبية، لمؤلفه فيصل دبدوب عام ١٩٦٦م.

٣- مزاعم بناء اللغة على التوهم لمحمد بهجة الأثري لمؤلفه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

ثانيًا- الكتب التي حققها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سبعة كتب، مرتبة ترتيباً زمنيًا وهي:

١- فُتيا فقيه العرب لأبي الحسن أحمد بن فارس اللغوي لمحققه حسين علي محفوظ عام ١٩٥٨م.

٢- المقدمة من كتاب المسائل والأجوبة (مسألة رب) للبطيلوسي لمحققه إبراهيم السامرائي عام ١٩٦٣.

٣- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان لأحمد بن فارس لمحققه فيصل دبدوب عام ١٩٦٧م.

٤- من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة لابن حَيَّوَيْهِ لمحققه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

٥- كتاب المتوارين للحافظ الأزدي لمحققه محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٥م.

٦- تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع لابن جني لمحققه محمد بهجة الأثري عام ١٩٨٠م.

٧- كتاب الدواهي لمعمر بن المثنى التيمي، ومحمد بن الحسن الهاشمي لمحققه هلال ناجي عام ٢٠٠٩م.

ثالثًا- المقالات التي كتبها أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،

وتناولت بحوثًا، ودراسات في اللغة والأدب والنحو والصرف والمعاجم والتاريخ والعلوم والمصطلح واللهجات، إضافة إلى التراجم والقصائد والاستدراكات والملاحظات والتعليقات والنقد والتعريف بالكتب، وقد بلغ عدد هذه المقالات ٣٣٩ مقالًا على النحو المبين فيما يأتي؛ وقد رتبت تنازليًا في ضوء كاتبيها:

أ- **أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين ثلاثين مقالة وما فوق، وهم:**

١- انستاس ماري الكرملي، وكان أكثر الأعضاء غزارة في الكتابة، إذ بلغ عدد مقالاته المنشورة في مجلة مجمع دمشق ثمانية وخمسين مقالًا.

٢- مصطفى جواد، وبلغ عدد مقالاته المنشورة في مجلة مجمع دمشق ثلاثًا وأربعين مقالة.

٣- عباس العزاوي، وبلغ عدد مقالاته المنشورة ثلاثين مقالة.

ب- **أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين العشر والعشرين مقالة، وهم على النحو الآتي:**

١- صفاء خلوصي، وبلغ عدد مقالاته المنشورة عشرين مقالة.

٢- أربعة أعضاء بلغ عدد مقالات كل منهم المنشورة تسع عشرة مقالة، وهم: بهجة الأثري، داوود الجلبي الموصلي، علي جواد الطاهر، كوركيس عواد.

٣- إبراهيم السامرائي، بلغ عدد مقالاته المنشورة ثماني عشرة مقالة.

٤- طه الراوي، بلغ عدد مقالاته المنشورة أربع عشرة مقالة.

٥- محمود شيت الخطاب، بلغ عدد مقالاته المنشورة إحدى عشرة مقالة.

٦- حسين علي محفوظ، بلغ عدد مقالاته المنشورة عشر مقالات.

ج- **أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين الخمس وأقل من عشر، وهم:**

١- هلال ناجي، بلغ عدد مقالاته المنشورة سبع مقالات.

٢- ثلاثة أعضاء بلغ عدد مقالات كل منهم ست مقالات، وهم: محمد رضا الشبيبي، محمود الملاح، ميخائيل عواد.

٣- فيصل دبدوب، بلغ عدد مقالاته المنشورة خمس مقالات.

د- **أعضاء راوح عدد مقالاتهم بين اثنتين، وأقل من خمس، وهم:**

١- اغناطيوس يعقوب الثالث، وقاسم السامرائي، بلغ عدد مقالات كل منهم أربعًا:

٢- جميل صدقي الزهاوي، بلغ عدد مقالاته ثلاثًا.

٣- حازم الحلي، ساطع الحصري، محمود شكري الألوسي، بلغ عدد مقالات كل منهم اثنتين.

٤- أعضاء نشر كل منهم مقالة واحدة، وهم: إبراهيم الواعظ، أحمد حامد الصراف، بهيجة باقر الحسني، حارث طه الراوي، عبد العزيز الدوري، علي القاسمي، محمد باقر علوان، محمد تقي الحكيم، محمد حسين آل ياسين، محمد صديق الجليلي، منير القاضي، ناجي معروف.

رابعًا- المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن أعضاء في المجمع العلمي العراقي، ونشرت في مجلة المجمع بدمشق،

وبلغ عددها ثماني مقالات، وأغلبها في الرثاء لبعض الأعضاء الراحلين، وهي:

١- حفلة تأبين محمود شكري الألوسي، ومصطفى المنفلوطي، نشرت في مجلة المجمع العلمي العربيّ عام ١٩٢٤م.

٢- نشر الدكتور محمد عدنان الخطيب أربع مقالات عن أعضاء راحلين في مجمع بغداد، وهم:

- فقيد العروبة ساطع الحصري نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٦٩.
- مجمعي افتقدناه: ناجي معروف العبيدي- نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٧٧م.
- فقيدان مجمعيان جليلان: أحمد ناجي القيسي وجواد علي، نشرت في المجلة عام ١٩٨٧.

٣- نشر الدكتور عز الدين التنوخي عام ١٩٦١ مقالة عن محمود شكري الآلوسي وآرائه اللغوية.

٤- نشر الدكتور عبد اللطيف الطيباوي مقالة عن معروف الرصافي والاستقلال العربي، نشرت في مجلة المجمع عام ١٩٧٨.

٥- نشر المرحوم الدكتور ممدوح خسارة مقالة في مجلة المجمع عام ٢٠١٧ عن الشيخ محمد رضا الشبيبي.

خامسًا- المحاضرات والبحوث والكلمات والقصائد الشعرية التي ألقاها أعضاء من المجمع العلمي العراقي

في مؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق، وندواته، واحتفالاته:

١- بحوث وكلمات الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب:

- بحث «تيسير البلاغة» ألقي في ندوة «اللغة العربية معالم الحاضر وآفاق المستقبل» عام ١٩٩٧م.
- بحث عن «معجم الحضارة الحديثة» ألقي في ندوة «المعجم العربي» عام ٢٠٠١م.
- بحث «تيسير النحو» ألقي في المؤتمر السنوي الأول لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٢م.
- بحث «المصطلح نشأته وتطوره» ألقي في المؤتمر السنوي الثالث لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٤م.
- بحث «التشريع اللغوي» ألقي في المؤتمر السنوي الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٥م.
- بحث «عالمية اللغة العربية» ألقي في المؤتمر السنوي الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٦م.
- بحث «لغة الطفل» ألقي في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧م.
- بحث «الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق» ألقي في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧.
- بحث «تجديد البلاغة» ألقي في المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨م.
- بحث «علم الحيل عند العرب» ألقي في المؤتمر السنوي الثامن لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٩م.
- بحث «دور التعريب في الكتابة العلمية باللغة العربية» ألقي في

المؤتمر السنوي التاسع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٠م.

- **أما الكلمات التي ألقاها الدكتور مطلوب فهي:**
- كلمة في افتتاح المؤتمر السنوي الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٣.
- كلمة في افتتاح المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨.
- **وألقى الدكتور علي القاسمي البحثين الآتيين في مؤتمرات مجمع اللغة العربية بدمشق:**
- بحث «لسانيات المدونة الحاسوبية وصناعة المعجم العربي»، ألقاه في المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٧م.
- بحث «معالجة الرموز والمعادلات والمختصرات والمختزلات في الكتب المدرسية العلمية والمعربة في الأقطار العربية- دراسة مقارنة مع مقترحات منهجية»، ألقي في المؤتمر السنوي التاسع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٠.
- بحث «مدونة اللغة العربية: مشروع تأسيس بنية تحتية للغة العربية» ألقاه الدكتور عدنان عيدان في المؤتمر السنوي الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٦.
- بحث «تذليل العقبات لتطوير مؤشرات صناعة المحتوى الرقمي» ألقاه **الدكتور علي حسن طارش** في المؤتمر السنوي العاشر لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٩م.
- ولقد شارك المجمع العلمي اللغوي ببغداد في الاحتفالية التي

أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة ذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري عام ١٩٤٥، وكان ممن شاركوا في هذه المناسبة:

- الشاعر الكبير «محمد مهدي الجواهري» في قصيدة شعرية.
- الشاعر الكبير «معروف الرصافي» في قصيدة شعرية عنوانها «شاعر البشر».
- الشاعر «مهدي البصير» في بحث عنوانه «على قبر أبي العلاء».
- العضو «طه الراوي» في بحث عنوانه «سر الخلود في شعر أبي العلاء».
- الشاعر «محمد رضا الشبيبي» في بحث عنوانه «لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي».
- الشاعر «كاظم الدجيلي» في قصيدة عنوانها «الناس تخطب في علاك وتنشد».

- **أما الكلمات التي ألقيت في احتفالات عدة جرت في مجمع اللغة العربية بدمشق فهي:**

- كلمة محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العراقي في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٥٧م.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيس مجمع دمشق عام ١٩٦٩.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في افتتاح ندوة «المصطلح القانوني» عام ١٩٧٣.
- كلمة محمد بهجة الأثري وقصيدته في الذكرى المئوية لمولد

محمد كرد علي عام ١٩٧٧.

- كلمة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في الذكرى المئوية لمولد محمد كرد علي عام ١٩٧٧.
- كلمة الدكتور ناجي معروف، وعنوانها «محمد كرد علي من علماء العرب الخالدين» عام ١٩٧٧.
- كلمة الدكتور عبد الرزاق الهلالي، وعنوانها «محمد كرد علي وعلاقته بالعلماء والكتاب العراقيين» عام ١٩٧٧.
- كلمة ناجح الراوي في افتتاح ندوة «إقرار منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده» عام ١٩٩٩.
- كلمة الدكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع العلمي العراقي في افتتاح المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠٨م.

سادسًا- المقالات التي كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن المجمع العراقي:

ثمة ثلاث مقالات كتبها أعضاء في مجمع اللغة العربية بدمشق عن المجمع العلمي اللغوي في بغداد، وعناوينها هي الآتية:

- إنشاء المجمع العلمي العراقي، مجلة المجمع عام ١٩٤٨.
- عارف النكدي «مجلة المجمع العلمي العراقي» عام ١٩٥١.
- مصطفى الشهابي «المصطلحات العلمية العربية في بغداد» مجلة المجمع عام ١٩٦٣.

سابعًا- الكتب التي ألفها عراقيون من المجمع العلمي اللغوي في بغداد وغيره،

وعرَّف بها أعضاء من مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد بلغ عددها «٤٥» خمسة وأربعين تعريفًا على النحو الآتي:

١- عمر رضا كحالة، وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثمانية، وهي:

- خزائن الكتب القديمة في العراق لمؤلفه كوركيس عواد، وكان نشره في المجلة عام ١٩٤٨م.
- المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٦٧م.
- الأمثال البغدادية المقارنة (ج١) لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي، ونشر عام ١٩٦٨.
- عقبة بن نافع الفهري لمؤلفه محمود شيت خطاب، ونشر عام ١٩٦٨.
- الأمثال البغدادية المقارنة (ج٢) لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي، ونشر عام ١٩٦٩م.
- مشاركة العراق في نشر التراث العربي لمؤلفه كوركيس عواد، نشر عام ١٩٧٠م.
- معجم المؤلفين العراقيين لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٧٠.
- التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق لمؤلفه إبراهيم السامرائي، ونشر عام ١٩٧١م.
- النقد الأدبي الحديث في العراق لمؤلفه أحمد مطلوب، ونشر عام ١٩٧١م.
- بغداد لمؤلفه طاهر مظفر العميد، ونشر عام ١٩٧١.

٢- جعفر الحسني: وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها سبعة، وهي:

- تاريخ العراق بين احتلالين (ج١) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٤٣م.
- مأساة هندسية أو النهر المجهول لمؤلفه أحمد سوسة، وقد نشر

عام ١٩٤٨م.

- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٢ وج٣) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٠م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٤) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٠م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٥) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٥م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٦) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٥م.
- تاريخ العراق بين احتلالين (ج٨) لمؤلفه عباس العزاوي، وقد نشر عام ١٩٥٨م.

٣- مصطفى الشهابي: وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها أربعة، وهي:

- جغرافية العراق الثانوية لمؤلفه طه الهاشمي، ونشر عام ١٩٣٠م.
- تطور الري في العراق لمؤلفه أحمد سوسة، ونشر عام ١٩٤٦م.
- المباحث اللغوية في العراق لمؤلفه مصطفى جواد، ونشر عام ١٩٥٥م.
- أصول ألفاظ اللهجة العراقية لمؤلفه محمد رضا الشبيبي، ونشر عام ١٩٥٨م.

٤- شفيق جبري: وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:

- أبو العلاء في بغداد لمؤلفه طه الراوي، ونشر عام ١٩٤٥م.
- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر لمؤلفه محمد مهدي البصير، ونشر عام ١٩٤٦م.

- أدب الرصافي لمؤلفه مصطفى علي، وقد نشر عام ١٩٤٨م.

٥- **عبد القادر المغربي**، وقد بلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة وهي:

- الأدب العصري في العراق العربي لمؤلفه روفائيل بطي، ونشر عام ١٩٢٣م.
- أعلام العراق لمؤلفه محمد بهجة الأثري، وقد نشر عام ١٩٢٧م.
- ذكرى جمال الدين الأفغاني لمؤلفه عبد المحسن القصاب، ونشر عام ١٩٤٥م.

٦- **عارف النكدي، وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:**

- نظام الحكم في العراق لمؤلفه مجيد خدوري، ونشر عام ١٩٤٨م.
- خزائن الكتب القديمة في العراق لمؤلفه كوركيس عواد، ونشر عام ١٩٤٩م.
- تاريخ العراق السياسي الحديث لمؤلفه عبد الرزاق الحسني، ونشر عام ١٩٥١م.

٧- **أحمد الجندي، وبلغ عدد الكتب التي عرَّف بها ثلاثة، وهي:**

- الشعر العراقي الحديث لمؤلفه يوسف عز الدين، ونشر عام ١٩٦٢م.
- العراق في الشعر العربي والمهجري لمؤلفه محسن جمال الدين، ونشر عام ١٩٦٦م.
- الأمثال البغدادية المقارنة لمؤلفه عبد الرحمن التكريتي عام ١٩٦٩م.

٨- **محمد كرد علي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:**

- تجارة العراق قديمًا وحديثًا لمؤلفه يوسف رزق الله غنيمة، نشر عام ١٩٢٣.

- تاريخ مساجد بغداد وآثارها لمؤلفه محمود شكري الألوسي نشر عام ١٩٢٨.

٩- عز الدين التنوخي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:

- الصحافة في العراق لمؤلفه روفائيل بطي، ونشر عام ١٩٥٥.
- تاريخ الأدب العربي في العراق لمؤلفه عباس العزاوي، ونشر عام ١٩٦٣م.

١٠- عبد الكريم زهور عدي، وبلغ عدد الكتب التي عرّف بها اثنين، وهما:

- الشعر العراقي الحديث لمؤلفه يوسف عز الدين، وقد نشر عام ١٩٦٢م.
- العراق في الخوارط القديمة لمؤلفه أحمد سوسة، وقد نشر عام ١٩٦٤م.

١١- ثمة أعضاء في مجمع دمشق عرّف كل منهم بواحدٍ من الكتب التي ألفها مجمع العراق، وهؤلاء الأعضاء هم:

- أنيس سلوم، وقد عرّف بكتاب عنوانه «تاريخ يهود العراق» لمؤلفه «يوسف رزق الله غنيمة»، ونشر عام ١٩٢٤م.
- محمد حسني الكسم، وقد عرّف بكتاب عنوانه «مخطوطات الموصل» لمؤلفه «داود الجلبي الموصلي»، ونشر عام ١٩٢٨م.
- محمد ظهير جمران، وقد عرّف بكتاب عنوانه «معجم أمثال الموصل العامية»لمؤلفه «عبد الخالق الدباغ»، ونشر عام ١٩٥٨م.
- منير الشريف، وقد عرّف بكتاب عنوانه «اقتصاديات العراق» لمؤلفه عبد الرحمن الجليلي، وقد نشر عام ١٩٥٩م.
- وجيه السمان، وقد عرّف بكتاب عنوانه «مصطلحات مقاومة

المواد في القطر العراقي»، وقام بوضعه المجمع العلمي العراقي، ونشر في مجلة مجمع دمشق عام ١٩٧١م.

- عبد الإله نبهان، وقد عرّف بكتاب عنوانه «معجم النسبة بالألف والنون» لمؤلفه أحمد مطلوب، ونشر عام ٢٠٠٩م.

رابعًا – خاتمة:

يتبدّى من عرض مجالات التعاون بين مجمعي اللغة في بغداد ودمشق أن هنالك تعاونًا وثيقًا بينهما تجلّى في أمور عدة، وذلك في العقود السابقة، وأن ثمة اهتمامًا عاليًا من أعضاء المجمعين في تسليط الأضواء على الكتب المحققة والمؤلفة والتعريف بها، والبحوث المنجزة والمنشورة، والكلمات الملقاة في المؤتمرات والندوات، والقصائد الشعرية في المناسبات..

ولقد جرى ذلك كله في عقود لم تكن قد تدفقت فيها وسائل التواصل بغزارة كما هي عليه الحال في أيامنا، ومع ذلك كان اللقاء بين المجمعين في الفعاليات والمناشط تتسم بالجودة.

ونأمل بعد الأحداث الأليمة التي مرّت بها بلادنا في العراق والشام أن تعود العافية إليها، وأن يستأنف مجمعانا نشاطهما في أجواء من التكامل والتنسيق والتعاون تنعكس إيجابًا على مسيرتهما بمشيئة الله.

* * *

كلمةُ مَجْمَعِ اللّغةِ العربيّةِ في دِمَشْقَ في فَعاليّةِ «حَلَبُ واليَوْمُ العَرَبيُّ لِلّغةِ العَرَبيّة»

أ. د. عيسى علي العاكوب(*)

بِسْمِ الله، والحَمْدُ لله، والصّلاةُ والسّلامُ عَلَى رُسُلِ الله

أَمّا بَعْدُ فأَوَدُّ أَوّلًا أَن أشكُرَ لِأُسْتاذَيَّ رئيسِ المَجْمع ونائبِهِ الثِّقةَ التي أَولَياني إيّاها بِإلْقاءِ كلمةِ مَجْمَعِ اللّغةِ العَرَبيّةِ في هذه الاحْتفاليّةِ التي إخالُها مُقدّسةً.

وأَوَدُّ ثانيًا أَن أشكرَ كثيرًا رِعايةَ القِيادةِ المَرْكزيّةِ مُمثَّلةً بِأمانةِ فَرْعِ جامعةِ حَلَب لِحِزبِ البَعْثِ العربيّ الاشتراكيّ، واحْتِضانَ جامعةِ حَلَبَ هذه الاحْتِفاليّةَ، التي أرَى فيها تأكيدًا واضِحًا لِمَبْدَأ أَنّ «العُرُوبةَ» لِهذا البَلَدِ أساسٌ في البِناءِ لا بُدَّ مِن إرسائِهِ وإنْمائِهِ وتَقْويتِه والبِناءِ عَلَيْه.

أَيُّها الأَحِبّةُ، في مَطْلَعِ القَرْنِ العِشْرينَ كان بَلَدُنا الغالي يَعِيشُ مَرْحَلَةَ التّخليقِ والتّكوينِ وإثْباتِ الذّاتِ والهُوِيّة، في مُعْتَرَكٍ مِن العَوامِلِ المُتصارِعةِ يَصْعُب الخَلاصُ منه. وفي ذلك الوَقْتِ كانتْ نُخْبةٌ مِن السّوريِّينَ الأذكياءِ الأبرارِ الأطهارِ العُلَماءِ تُفكِّرُ في نُقطةِ الانطلاقِ في مِضْمارِ تَشْخيصِ الهُوِيّة، وتحويل الموجودِ بِالقُوّةِ إِلَى موجودٍ بِالفِعْلِ، أي تحويلِ الفِكْرةِ إِلَى عَمَلٍ؛ لِأنّ «أَوّلَ الفِكْرةِ آخِرُ العَمَل». وهكذا اهتدى آباءُ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

آبائِكم السّوريّونَ الأذكياءُ الأبرارُ الأطهارُ العُلَماءُ إِلَى فِكْرةِ إِنْشاءِ هَيْئةٍ عِلْمِيّةٍ تتولّى الإعدادَ لِكِيانٍ سُوريٍّ عَرَبيِّ القَلْبِ واليَدِ واللِّسان. فكانَ مِن ذلكَ كُلِّهِ أَن طَلَعَتْ في سَماءِ دِمَشْقَ شَمْسُ «المَجْمَعِ العِلْميِّ العَرَبيِّ في دِمَشْقَ» عامَ ١٩١٩م، قَبْلَ أيِّ مَجْمَعٍ آخَرَ مُماثِلٍ في ديارِ العَرَبِ بِعِشْرينَ عامًا.

أَمّا صِفاتُ هؤلاءِ السُّوريّينَ الذينَ حَوّلُوا الفِكْرةَ إِلَى كِيانٍ ماثِلٍ فهي: الإخلاصُ والانتماءُ والعِلْمُ والعَمَلُ. وأَمّا رِسالةُ المَجْمَعِ فهِيَ: «العَمَلُ بِكُلِّ الطّاقاتِ عَلَى أن تكونَ العَرَبيّةُ لُغةَ التّربيةِ والعِلْمِ والثّقافةِ، ولُغةَ تدريسِ العُلُومِ المُختلفةِ، ولُغةَ وسائلِ الإعلام، ولُغةَ الوِزاراتِ والمُؤسّساتِ، ولُغةَ الحَياةِ ما أمكنَ ذلكَ».

وقد لَقِيَ «المَجْمَعُ العِلْميُّ العَرَبيُّ في دِمَشْقَ»، الذي صارَ اسْمُه: «مَجْمَعَ اللّغةِ العربيّة»، عِنايةً خاصّةً ورِعايةً مستمرّةً مِن أَعْلَى مستوياتِ السِّياسةِ والإدارة في بَلَدنا، ولا يزالُ الأمرُ كذلكَ إِلَى الآنَ، وما احْتِفاليّتُنا المُباركةُ هذه إلّا واحدٌ مِن مظاهِرِ هذه العِناية.

أَيّها الأَحِبّةُ، إِذا أَنا ذَهَبْتُ أُعدِّدُ ما يُقدِّمُ مَجْمَعُكم الدِّمَشْقيُّ في مَجالِ الحِفاظِ عَلَى العَرَبيّةِ ورَفْدِها بِما مِن شَأنِهِ أن يَشُدَّ أَزْرَها ويُقوِّيَ قُدْرَتَها عَلَى حَمْلِ الأَعْباءِ المَنُوطةِ بها، وجدتُّ صُعُوبةً في ذلك. فالمَجْمَعُ، مَثَلًا، يُصْدِرُ مَجلّةً شَهْريّةً مِن المُستوى الرّاقي، يُنْشَرُ فِيها أَمْتَنُ البحوثِ والتّحقيقاتِ والدِّراساتِ المُتّصِلةِ بالعربيّةِ وعُلُومِها وبِتَعْرِيبِ العُلُوم. وقد أَصْدَرَ مَجْمَعُكُم كُتُبًا مِن أُمَّهاتِ المَصادِرِ العَرَبيّة. وفي المَجْمَعِ لِجانٌ كثيرةٌ يَرْأَسُها أَعْضاءٌ في المَجْمع ويَسْتعِينُونَ فيها بِالمُتميِّزينَ مِن أَهْلِ التّخصُّص: في الأَلْفاظِ والأساليب، وفي التّرجمةِ والتَّعريب، وفي الفيزياءِ والكيمياءِ والرّياضيّاتِ والطِّبِّ والصَّيْدَلةِ والهَنْدَساتِ المُختلفة والمَعْلُوماتيّة... وقد

أصدرَ المَجْمَعُ عَدَدًا مِن المُعْجَماتِ التي تَخْدُمُ العلومَ الأساسيّةَ والتّطبيقيّةَ في ثلاثِ لُغاتٍ: العَرَبيّةِ والإنكليزيّةِ والفَرَنسيّة.

وآذَنُ لِنَفْسي في هذا المَقامِ بِأَن أقتبِسَ بعضَ ما كُنْتُ كَتَبْتُه مُنْذُ أَعْوامٍ في شأنِ مُهِمّةٍ واحِدةٍ مِن مُهِمّاتِ المَجْمَع، وهي العَمَلُ عَلَى ضَمانِ صِحّةِ الأَلْفاظِ والأساليبِ في العَرَبيّةِ المُعاصِرة، حَيْثُ قُلْتُ:

«أَعْضاءُ المَجْمَعِ في هذا الشّأنِ «رُوّادٌ» مُجْتَهِدونَ يَقِظُونَ مُؤتَمَنُونَ، يَنْطبِقُ عَلَيهم مفهومُ الحديثِ الشّريفِ: «الرّائدُ لا يَكْذِبُ أَهْلَه». والرّائدُ هو الذي كانَتْ العَرَبُ تُرْسِلُهُ لِطَلَبِ الماءِ والكَلأ، فهُوَ عَيْنُ القَبيلةِ المُؤتَمَنُ عَلَى مَصيرِها. وإنّهُ لَحَقٌّ مَعْلُومٌ لَهُم عِنْدَ الحَريصينَ عَلَى استمرارِ بَقاءِ أُمّتِهم حَيّةً مُفكِّرةً مُبْدِعةً أن يُباركُوا هذا الجُهْدَ المُتواصِلَ، وأَن يُقدِّرُوا لَهُم صَنِيعَهم، وأَن يُهيِّئوا لَهُم أسْبابَ الاسْتِزادةِ مِن هذا الإنتاجِ النّافع، الذي لَهُ دَخْلٌ كبيرٌ في صَوْنِ صُورةِ عَقْلِ الأُمّةِ ومَجْلَى تَفْكيرِ المُبْدِعينَ مِن أبنائها، وإسهامٌ واضِحٌ في إِنْماءِ تَقدُّمِ الفِكْرِ والتّفكيرِ في مِضْمارِ الإبداعِ العَقْليِّ النَّظَريِّ والعَمَليّ».

أَيُّها الأَحِبّةُ، حُبُّ العَرَبيّةِ والإعجابُ بِمَحاسِنِها مُضْمَرٌ مُسْتَكِنٌّ في نَفْسِ كُلِّ عَرَبيٍّ أَصِيلٍ كريمٍ نَبيلٍ، وأَجِدُ صَنيعًا طيِّبًا هنا، إن شاءَ اللهُ، في أَن أتلُوَ عَلَى مَسامِعِكم قصيدةَ الشّاعِرِ الحَلَبيّ قِسْطاكي الحِمْصيّ، التي أَسْماها «البَدَويّةَ»، وأَثْنَى فِيها عَلَى العربيّةِ التي أَسْماها «لَيْلَى»، وقالَ فيها:

بِاللهِ يا نَسَماتِ الرَّنْدِ والبانِ ... مِن نَجْدَ جِئْتُنَّ أَمْ مِن رَوضِ غَسّانِ
وهَلْ لَثَمْتُنّ مِن «لَيْلَى» مَباسِمَها ... إِنِّي غَيُورٌ عَلَيها أَيَّ غَيْرانِ
إِلَى البَداوةِ منسوبٌ مَنابتُها ... وإن نَمَيْتَ فَهَلْ فَخْرٌ كعَدْنانِ

وثَوْبُها يَقْبَلُ الأَزْياءَ ما اختلَفَتْ ... ولـيسَ يُخْلِقُـهُ تَكْـرارُ أَزمـانِ
حُرُوفُهـا لِمَعـانٍ لا تُطاوِلُهـا ... فـي حُسْـنِها بِنْـتُ يُونـانٍ ورُومـانِ
أَلْفاظُهـا دُرَرٌ، تَرْكيبُهـا سُـوَرٌ ... آياتُهـا غُـرَرٌ، فـي كُـلِّ قُـرآنِ
غَزِيرةُ الفَضْلِ لم يَجْحَدْ محاسِنَها ... إِلّا جَهُـولٌ بِإيجـازٍ وتِبْيـانِ
وفي البلاغةِ هَـلْ خَـوْدٌ تُضـارِعُها ... وأَصْـلُها صـاعِدٌ يَسْـمُو لِقَحْطـانِ
وبعضُ خُدّامِها عَبْدُ الحَميدِ ومَـنْ ... تَـلاهُ مِـن أَصْـفهانيٍّ وجُرْجـاني
وغَيْرُهُم مِن مُلُوكِ الفَضْلِ، آخِـرُهُمْ ... رَبُّ النُّهَى اليازجِيُّ الكوكبُ الثّاني

أشكُرُ لِلْجَميعِ حُضورَ عُرْسٍ مِن أَعْـراسِ العربيّـةِ، وأَشـكُرُ حَلَـبَ التـي هَيّـأَتْ لِلْعَربيّـةِ فـي يـومٍ مِـن الأَيّـامِ أن تَبْلُـغَ ذِروةَ المَجْـدِ وعُنـوانَ الجَمـالِ والإِشْراق، وهَيّأَتْ لَنا في زَمانِ التّجهُّمِ والصّدودِ والازورارِ هـذا أن نَسْـتعيرَ مِن دَفْتَرِ ذاكِرتها أَسْطُرًا لِلْأَمَلِ والتّفاؤلِ والابتسام.

عاشَتِ العربيّةُ، وعاشَتْ حَلَبُ، وعاشَتْ سُورِيَتُنا رُغْمَ الـدّاءِ والأعـداءِ، كالنَّسْرِ فوقَ القِمّةِ الشّمّاء.

والحَمْدُ للهِ، والسّلامُ عَلَيكُم ورحمة الله وبركاته.

* * *

من قرارات المجمع
في الألفاظ والأساليب(*)

(٢٣٠)
حكَّمَ فلانٌ البحثَ، فهو محكِّم، والبحثُ مُحكَّم

١ - المسألة:

يقول المعاصرون فيما يقولون في التعبير عن تقويم الأبحاث والكتب والرسائل الجامعية وما إليها: حكّمَتْ هيئةُ التحرير فلانًا في هذا البحث، إذا أسندت إليه تقويم ذلك البحث، وحكَّمَ فلانٌ البحثَ، إذا قوّم ذلك البحث، ويصفون فلانًا في العبارة الأولى بأنّه «مُحكَّم» مشدّد الكاف بصيغة اسم المفعول، وفي الثانية بأنّه «مُحكِّم» بصيغة اسم الفاعل، ويصفون تلك الأبحاث والكتب والرسائل الجامعيّة التي قوّمها أولئك المقوِّمون وما إليها بأنّها «مُحكَّمة» بتشديد الكاف، على صيغة اسم المفعول.

على أنّ بعض النقّاد والباحثين يغلّطون وصف المقوِّم بأنّه «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل، ووصف الأبحاث والكتب والرسائل بأنّها «مُحكَّمة» بصيغة اسم المفعول.

(*) هذه قرارات مجمع اللغة العربية بدمشق، عُرِضَتْ في مؤتمري المجمع العاشر والحادي عشر، وحظيت بالموافقة.

(يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

٢- الاقتراح:

جواز استعمال الفعل «حكَّمَ» في التعبير عن تقويم الأبحاث والكتب والرسائل الجامعيّة وما إليها، في مثل: «حكّمَت هيئة التحرير فلانًا في هذا البحث» و«حكَّمَ فلانٌ البحثَ»، والوصفين «مُحكَّم» بصيغة اسم المفعول، وهو وجهٌ لا خلاف فيه، و«مُحكِّم» بصيغة اسم الفاعل في التعبير عمَّن يقوِّم الأبحاث والكتب والرسائل الجامعيّة وما إليها، كلٌّ بحسب سياقه؛ والوصف «مُحكَّم» بصيغة اسم المفعول في وصف ما كانت تلك حاله من تلك الأبحاث والكتب والرسائل و ما إليها.

٣- التعليل:

ورد في التاج (حكم)- وفيه جماع ما ورد في معاجم القدماء-: «الحُكْمُ بالضمّ: القَضاء في الشيء بأنّه كذا أو ليس بكذا سواءٌ لَزِم ذلك غيرَه أم لا، هذا قولُ أهلِ اللّغة، وخَصَّصَ بَعضُهم فقال: القَضاءُ بالعدل، نقله الأزهريّ،...وقد حَكَمَ له و عليه كما في الصّحاح، وحَكَمَ عليه بالأمر يحكُم حُكْمًا وحكومة: إذا قضى. وحَكَمَ بينهم كذلِكَ....وحَكَّمَهُ في الأمر تحكيمًا: أمَرَه أن يَحْكُمَ بينهم أو أَجازَ حُكْمَه فيما بينهم فاحتَكَمَ، جاء فيه بالمضارع على غير بابه، و القِياسُ تَحَكَّمَ أي: جازَ فيه حُكْمُهُ. وفي الصّحاح: ويقال أيضًا: حَكَّمْتُه في مالي: إذا جَعَلْتَ إليه الحُكْمَ فيه فاحتكم عَلَيَّ في ذلك، ومثلُه في الأَساس.

والمحكِّمُ كَمُحَدِّثٍ في شعر طَرَفَةَ بن العبد إذ يقول:

ليت المُحَكِّمَ والموعوظَ صَوْتُكُما تحت التراب إذا ما الباطِلُ انكشفا

هو الشَّيْخُ الْمُجَرِّب المنسوب إلى الحِكْمَة، (وغَلِطَ الجوهريُّ في فَتْح

كافِه). قال شيخُنا: وجَوَّزَ جماعةٌ الوجهين، وقالوا: هو كالْمُجَرّب فإنّه بالكسر الذي جَرّب الأمور، وبالفتح الذي جَرَّبَتْه الحوادث، وكذلك الْمُحَكِّم حَكَّم الحوادثَ وجَرَّبَها، وبالفتح حكَّمَتْه وجرَّبته، فلا غلط. و في الحديث: (إن الجنة للمحكّمين) قال الجوهري: «المحكّمون من أصحاب الأخدود يروى بالفتح» وعليه اقتصر الجوهري، ويروى الكسر فيه أيضًا. ومعناه على رواية الكسر: المنصف من نفسه، ويدل له حديث كعب: (إن في الجنة دارًا وصفها ثم قال: لا ينزلها إلا نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيد أو محكّم في نفسه)، و على رواية الفتح قال الجوهري.

وزاد في محيط المحيط (حكم): «...ويُطلَق الحُكْمُ على معانٍ أُخر، منها إسناد أمر إلى آخر إيجابًا أو سلبًا، وهذا المعنى عرفيّ...».

وورد في المعجم الكبير (حكم): «حكَّمه في ماله: جعل إليه الحكمَ فيه. قال النابغة:

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أُحكَّم في أموالهم وأُقَرَّبُ

وحكَّم فلانًا في الأمر: أمره أن يحكم بينهم فيه. وفي القرآن: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]... وحكَّم القومُ فلانًا بينهم: أمروه أن يحكم. و قيل: أجازوا حكمه فيهم».

ووقع في معجم اللغة العربيّة المعاصرة (حكم) ١/ ٥٣٨: «حكَّم فلانًا في الأمر: فوَّض إليه الفصلَ، القضاءَ فيه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أعماله محكَّمة- حكَّمَ العَقْل: فوّض إليه أمر التَّقرير- هيئة التَّحكيم/ لجنة التَّحكيم: هيئة أو لجنة تقوم بالحكم في القضاء، وبين الأطراف المتنازعة، وفي المباريات الرياضيّة ونحوها».

يبدو للمرء في ضوء ذلك جوازُ أن يُقال: حكَّمَت هيئة التحرير فلانًا في هذا البحث؛ إذا أسندت إليه أن يحكم ويقضي فيه بما هو أهله؛ فهو موصول بقولهم الذي نصَّ عليه العلماءُ نصًّا: حكَّمَهُ في الأمر تحكيمًا: إذا أمَرَه أن يَحْكُمَ بينهم أو أجاز حُكْمَه فيه، ووجهٌ من وجوه متنوّعة تحتملها العبارة. وإذا وُصِف «فلان» و «البحث» في هذا المثال وجب أن يوصَف الأولُ منهما كما تقتضي قواعد العربية بأنّه «مُحكَّم» بصيغة اسم المفعول، وأن يوصَف الثاني بأنّه «مُحكَّمٌ فيه» على التمام.

وإذا كان وصف المقوِّم باسم المفعول «مُحكَّم»، وهو وجهٌ يستعمله المعاصرون فيما يستعملونه في هذا المقام لا خلاف فيه، موافقًا لما تقتضيه العربيّة، فكيف يُفسَّر مصيرُ الوصف الثاني «مُحكَّم فيه» في استعمالهم مُحكَّمًا بحذف الصلة «فيه»؟.

يمكن أن يُحمَل ذلك على ما يُعرَف بالحذف والإيصال تخفيفًا لفهم المعنى وكثرة الاستعمال، وهو أسلوب من أساليب الاختصار، وقد حمل بعض العلماء والباحثين عليه ألفاظًا عديدة، وأجازه مجمع اللغة العربية في القاهرة في ما كان من هذا القبيل دون شرط أو قيد. ومن ذلك، وبعضه مستفيض لا يخفى: المفعول = المفعول به، المشترَك = المشترَك فيه، المندوب = المندوب إليه، المأذون = المأذون له، المفوَّض = المفوَّض إليه، المبتدأ = المبتدأ به، المحجور= المحجور عليه، مُنحصَر= مُنحصَر فيه.

وليس لنا على ظاهر الكلام أن نقول كما يقول المعاصرون: حكَّمَ فلانٌ البحثَ؛ فنعدّيَ الفعل إلى «البحث» بنفسه، وأن نصف من ثَمَّ فلانًا بأنّه «محكِّم»، والبحث بأنّه «محكَّم»؛ لأنّ الفعل حكَّمَ على الظاهر في ضوء نصوص اللغويّين يتعدّى بنفسه إلى ما له إرادةٌ أو قدرة وفعل حقيقةً أو مجازًا

نحو: الإنسان والعقل والأيّام، لا إلى ما حُرِم ذلك. فكيف نخرّج إذًا قولَهم؟

لعلّ أقرب ما يُخرّج عليه ذلك التضمينُ، والتضمين في ضوء ما انتهى إلينا من كلام العرب، وكثرة وروده، أوسعُ ممّا قيّده به بعضُ العلماء من الوقوف عند السماع، وحجر القياس فيه، والناسُ في زماننا يميلون إليه ميلًا، وبعضُ العلماء، بل كثيرٌ منهم، يذهب فيه إلى القياس. وبه أخذ مجمع اللغة العربيّة في القاهرة ونصّ عليه بشروطه. والطريقُ إلى ذلك تضمين الفعل «حكَّمَ» معنى الفعل «قوَّم»، تقول: حكَّمَ زيدٌ البحثَ، كأنّك تقول: قوَّمَ زيدٌ البحثَ. وحينئذ يمكن أن تقول: فلانٌ محكِّم، والبحثُ محكَّم، كلُّ ذلك على التضمين.

والفعل «قَوَّم» بتصريفاته في هذا الاستعمال ممّا استعمله المحدثون امتدادًا لعبارة القدماء على وجه من الاتّساع والمجاز، للتعبير عن معنى بيان قيمة البحث أو الكتاب أو الرسالة و ما إليها، وتقدير مستوياتها، وتصحيح ما شابها من غلط وندّ عن الصواب. وهو موصول بالأصل الذي ذكره اللغويّون، واستعمله العرب بمعنييه: بيان قيمة السلعة وتقديرها، وتعديل الشيء وإزالة اعوجاجه وإصلاحه.

ثمّ هل لي أن أرى وجهًا آخر يُصحَّح به قولُ المعاصرين «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل في وصف المقوِّم، يقوم على التشبيه والاتّساع؛ كأنّي أرى مستعمل هذا الوصف أولَ مستعمليه يُشبِّه المقوّم في هذا الوصف بالشيخ المجرّب الذي جرَّب الأمور وخبرها وقالت فيه العرب: المحكِّم، وبالمنصف من نفسه الذي قالت فيه مثل ذلك أيضًا «المحكِّم»؛ نظر في الأوّل إلى تجربة الشيخ، وهي مفتاح خبرة ومعرفة، و في الثاني إلى الإنصاف والعدل. وبهما، وهما قطعة لا ينبغي أن ينفكّ عنهما المحكِّم، يكون المحكِّم بلغ غاية رفيعة فيما يجب أن يكون عليه من النزاهة والدراية؟

وعلى ذلك أرى التعبير عن المقوِّم بـ«المحكِّم» بصيغة اسم الفاعل أبلغ في المعنى وأمثل، وهو أكثر ما تجري به عبارةُ المعاصرين، والتعبير عنه بـ«المحكَّم» بصيغة اسم المفعول أقرب إلى السماع وقواعد العربيّة. والله تعالى أعلم.

هذا، ويمكن أن يأنس المرء في إجازة «محكَّم» بصيغة اسم المفعول في وصف البحث الذي يُقوَّم وما إليه بما ذهب إليه بعض المحدثين من تصحيح استخدام ذلك. ففي معجم الصواب اللغويّ (١/ ٦٧٠): «إذا أُريد وصف الأعمال بالإتقان فالصواب أن يقال: أعمال مُحْكَمة. أما إذا أُريد وصفها بأنها عُرِضت على محكَّم لتقويمها، فالصواب أن يقال: أعمال مُحَكَّمة. ومعنى هذا أن كلا التعبيرين فصيح في المقام الخاص به».

وخلاصةُ القول: ١- جواز أن يقال: حكَّمَت هيئة التحرير فلانًا في هذا البحث، ونحوه؛ وجواز وصف «فلان» فيه بأنّه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول، وهو وجه لا خلاف فيه، ووصف «البحث» بأنّه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول أيضًا، على الحذف والإيصال.

٢- جواز أن يُقال: حكَّمَ فلانٌ البحثَ، ونحوه، على التضمين، ومن ثمّ جواز وصف «فلان» فيه بأنّه «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل، ووصف «البحث» بأنّه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول.

٣- جواز أن يُوصَف مقوِّم الأبحاث والكتب والرسائل الجامعيّة وما إليها بأنّه «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل، على الاتّساع في التشبيه بالمحكِّم، وهو الشيخ المجرِّب، والمنصِف من نفسه.

٤- ينبغي زيادة ما ينبغي من ذلك في موضعه من معاجم المحدَثين التي خلت من ذلك: كلّه أو بعضه.

العضو: د.عبد الناصر عساف

٤- قرار اللجنة:

أ- جواز أن يقال: «حكَّمت هيئة التحرير فلانًا في هذا البحث» ونحوه، وجواز وصف فلان فيه بأنه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول، وهو وجه لا خلاف فيه، ووصف «البحث» بأنه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول أيضًا على الحذف والإيصال.

ب- جواز أن يقال: «حكَّمَ فلانٌ البحثَ» ونحوه على التضمين، ومن ثم جواز وصف «فلان» فيه بأنه «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل، ووصف «البحث» بأنه «محكَّم» بصيغة اسم المفعول.

ج- جواز أن يوصف مقوِّم الأبحاث والكتب والرسائل الجامعية وما إليها بأنه «محكِّم» بصيغة اسم الفاعل على الاتساع في التشبيه بالمحكِّم، وهو الشيخ المجرِّب، والمنصف من نفسه.

د- ينبغي زيادة ما ينبغي من ذلك في موضعه من معاجم المحدَثين التي خلت من ذلك كله أو بعضه.

* * *

(٢٣١)
عَوَّمَ العُملةَ

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر الفعل (عَوَّمَ) في مثل قولهم: (عَوَّمَ المصرفُ المركزي العملةَ الوطنيةَ) بمعنى لم يتحكم في سعرها ولم يحدِّده، بل ترك تحديد السعر للعرض والطلب بحسب حاجة السوق.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال الفعل (عَوَّمَ) في مثل قولهم: (عَوَّمَ العُملةَ) بمعنى سمحَ بتغيير قيمتها بالعملات الأجنبية تَبَعًا لمبدأ العرض والطلب في السوق. وإضافتها إلى المعجم مع مشتقاتها.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

• تاج العروس (عوم): «يقال: عوَّمَ الكرْمُ تعويمًا إذا كثر حمله عامًا وقلَّ آخر.. وعوَّمَ السفينةَ: أَسْبَحها في البحر».

• المعجم الوسيط: «عامَ في الماء عَومًا: سبحَ، وعامتِ السفينةُ في البحر وعامتِ الإبل في البيداء: سارت، وعامت النجومُ في السماء: جَرَت، وعوَّم الحصيدَ: وضعَه قبضةً قبضةً، وعوَّم السفينةَ: أَسْبَحها».

وما يدخل في سياق بحثنا هو: (عامتِ السفينةُ، وعوَّمَ السفينةَ).

ب- في الصرف والدلالة:

الفعل (عَوَّمَ) على بناء (فَعَّلَ) من الفعل الثلاثي (عامَ) بمعنى (سبحَ) أو سارَ في البحر أو الصحراء أو جرى في السماء. ومن أظهر معاني هذا البناء التعدية والجعلُ على حالة أو هيئة، كقولهم: (قَوَّم الشيءَ) جعله قويمًا أو قائمًا، ومثله عوَّمَ السفينةَ: أَسْبَحها، أي جعلَها تعوم وتسبح.

وقولنا: (عَوَّمَ العُملةَ أو النقدَ) يعني جعلها تعوم وتسبح كما السفينة، ومن معاني السباحة التقلُّب والتصرُّف. جاء في المعجم الوسيط: «سبحَ في الأرض: تقلَّبَ متصرِّفًا في معاشه». ومن معاني تعويم العملة تركُها تتقلَّب في سعرها وفق مبدأ العرض والطلب في السوق كما تتقلَّب أحوال السفينة في علو وانخفاض واستواء وفق حالة البحر وأمواجه. وعلى هذا فقولهم: (عَوَّمَ العُملةَ) لا يَخرج بناءً ولا دلالةً عما يُفهم مما ورد في المعاجم على

سبيل المجاز بحسب نص عبارة الزبيدي في تاج العروس: «العَوْم: سير الإبل في الصحراء، وهو مجاز صرح به ابن سيدة».

وإذا جاز استعمال هذه الدلالة المولَّدة للفعل (عَوَّمَ) جاز استعمال مصدره (التَّعويم) ومشتقاته مما قد يتطلبه التواصل اللغوي.

ج- في الاستئناس:

- أجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٣/ ٣٨٤ بقوله: «عَوَّمَ النقدَ بمعنى إطلاق قيمة النقد بالنسبة لعملةٍ ما، توسعًا في دلالة كلمة (عَوَّمَ)».

- أوردها معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه ٣/ ١٥٧٩.

العضو: د. ممدوح خسارة

١- قرار لجنة اللغة العربية: جواز استعمال الفعل (عَوَّمَ) في مثل قولهم: (عَوَّمَ العُملةَ) بمعنى سمحَ بتغيير قيمتها بالعملات الأجنبية تَبَعًا لمبدأ العرض والطلب في السوق. وإضافتها إلى المعجم مع مشتقاتها.

* * *

(٢٣٢)
عَوَّمَ القضيةَ

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر ولا سيما في ميدان السياسة عبارة: (عَوَّمَ القضية أو المسألة) في مثل قولهم: (عوَّمت الأمم المتحدة القضية الفلسطينية أو مشكلة اللاجئين) بمعنى جعلتها عائمة طافية دون حلٍّ حاسم.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (عوَّمَ القضيةَ أو المشكلة) بمعنى جعلها عائمة طافية على السطح دون حلٍّ حاسم. وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- تاج العروس (عوم): «عامَ في الماء عَوْمًا إذا سبحَ. والعامَة: الطَّوف الذي يُركَب في الماء.. وهي تموج فوق الماء.. وعَوَّم السفينةَ تعويمًا: أَسْبَحها في البحر».
- المعجم الوسيط: «عوَّمَ السفينةَ: أسبحَها في الماء»

ب- في الصرف والدلالة:

الفعل (عَوَّمَ) على بناء (فَعَّلَ) الذي من أظهر معانيه التعدية والجَعل على حالة أو هيئة. فالتعويم جعل الشيء يعوم ويطفو على سطح. وقولهم: (عَوَّمَ القضية أو المشكلة) بمعنى تركَها عائمة طافية على سطح الواقع، يمكن حمله على نوع من أنواع البلاغة العربية هو المجاز العقلي.

وعبارتنا (عَوَّمَ القضية) تنضوي تحت هذا النوع من المجاز، والقرينة فيه فكرية حالية، إذ حال القضية أو المشكلة المعوَّمة المتروكة بلا حل ولا وضوح في إمكان تعرضها للضياع أو تفاقمها كحال السفينة العائمة فوق البحر وأمواجه، تظل في حال توقُّع مخاطر الغرق أو الانقلاب ما لم ترسُ في ميناء يقيها تقلبات البحر والأنواء. العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: (عوَّمَ القضيةَ أو المشكلة) بمعنى جعلها عائمة طافية على السطح دون حلٍّ حاسم. وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

* * *

(٢٣٣)
مَأسَسَ وتَمَأسَسَ

١- المسألة:

بدأ الفعلان (مَأسَسَ وتَمَأسَسَ) ينتشران في الاستعمال اللغوي ولاسيما في الميدان الإداري، كما في قولهم: (مَأسستِ الدولةُ الإدارة والمشروعَ) بمعنى جعلت العمل في دوائرها على طريقة عمل المؤسسات لا وفق رؤية فردية شخصية، كما شاع مطاوعُ هذا الفعل وهو(تَمَأسسَ).

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (مأسسَ الإدارةَ أو العملَ) بمعنى سيَّرهُ وأدارهُ وفق قوانين العمل في المؤسسات ونُظُمها، لا وفق رؤية شخصية لمديرها أو رئيسها فحسب. وجواز قولهم في المطاوعة: (تَمَأسستِ الإدارةُ أو العمل).

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- تاج العروس (أسس): «الأَسُّ أصل كل شيء.. والتأسيس بيان حدود الدار ورفع قواعدها.. قيل: هو بناءُ أصلِها».
- المعجم الوسيط: «الأساس: قاعدة البناء التي يقام عليها، وأصل كل شيء ومبدؤه.. والمؤسسة: كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج أو المبادلة للحصول على الربح (مج)».

وواضح من هذا أن المعاجم القديمة والمعاصرة ليس فيها الفعلان (مَأسَسَ وتَمَأسسَ)، أما المعاصرة فقد أوردت كلمة (المؤسسة) بالمعنى الذي ذُكر.

وقد شاعت كلمة (المؤسسة)، ولكن دون أن تُحصر بغاية الربح، فقد تكون المؤسسة خيرية أو علمية أو دعوية.. إلخ، وشاع أيضًا النسبة إليها فقالوا مثلًا: (عملٌ مؤسَّسي) أي يسير وفق أسلوب العمل في المؤسسات الذي من أبرز خصائصه النظام والتنظيم كما مرَّ. وغدا قولنا: (عملٌ مؤسَّسي أو إنجازٌ مؤسَّسي) يعني عملًا يسير على نظام وترتيب يشارك فيه جميع أفراد المؤسسة كلٌ فيما اختص به من عمل يتكامل مع أعمال الآخرين ومهماتهم بحيث تكون مسؤولية العمل- نجاحًا أو إخفاقًا- جماعية.

ولم يقف المعاصرون عند توليد كلمة المؤسسة على أنها اسم المفعول من الفعل (أسَّس) بل تعدَّوها إلى الاشتقاق من هذه الكلمة المعاصرة فقالوا: (مَأسسَ العملَ أو الإدارةَ) إذا جعلَها تسير وفق الأنظمة والترتيبات التي تسير عليها المؤسسة لتمييز طريقة العمل أو الإدارة فيها من طريقة الإدارة التقليدية التي تعتمد غالبًا على الرؤية الفردية لرئيس المؤسسة أو القائم عليها.

وإذا جاز قولهم: (مَأسسَ العملَ أو المشروعَ) وهو فعلٌ متعدٍّ فإن ذلك يؤدي إلى أن يقولوا في مُطاوِعه: (تَمَأسسَ المشروعُ)، أي تحوَّل إلى أسلوب عمل المؤسسات تنظيمًا وترتيبات.

ويجدر أن نشير هنا إلى أمرين:

الأول: أن هذا النوع من الاشتقاق هو اشتقاق من المشتق أي اشتقاقٌ مركَّب، وهو اشتقاق معروف في العربية، إذ ورد أنهم قالوا: تَمَشيخَ من المشيخة، وتَمَصْلحَ من المصلحة، وتَمَرْأى من المرآة.

الثاني: أن هذا الفعل: (مَأسسَ) ومطاوعه: (تَمَأسسَ) جاءا على بناءي (مَفْعَلَ وتَمَفْعَلَ) لأن اشتقاقهما من كلمة (المؤسسة) وميمها زائدة لا أصلية

لأنها اسم مفعول من الفعل (أَسَّسَ)، ومن حق الميم هنا أن تُثبتَ في الميزان الصرفي.

ب- في الاستئناس:

أجاز مجمع القاهرة (تَمَأسسَ وتَمأسُس) في كتاب الألفاظ والأساليب ٤/ ٣٧٧.

العضو: د. ممدوح خسارة

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: (مأسسَ الإدارةَ أو العملَ) بمعنى سيَّرهُ وأدارهُ وفق قوانين العمل في المؤسسات ونُظُمها، لا وفق رؤية شخصية لمديرها أو رئيسها فحسب. وجواز قولهم في المطاوعة: (تَمَأسستِ الإدارةُ أو العمل).

* * *

(٢٣٤)
تحفَّظَ منه، وعنه، وعليه

١- المسألة:

يستعمل الناس في زماننا الفعل «تَحفَّظَ» وتصريفاته ومشتقّاته متعدّية بـ«على» أو«من» أو «عن» للتعبير عن الاعتراض، أو عن الاحتراز والتوقّي والاحتراس، فيقولون: تحفَّظَ على رأيه، تحفَّظَ من حكمه، تحفَّظَ عن اغتيابه. وهو ممّا ينتقده بعض الباحثين والنقّاد اللغويّين، وقد تجد فيهم من يغلّطه، أو من يعدّه استخدامًا لغويًّا معاصرًا ليس للعربية في قديم تاريخها عهد بها. فهل هذا صحيح؟ وهل هذا الاستعمال جائز؟

٢- الاقتراح:

فصاحة استعمال الفعل «تحفَّظَ» وتصريفاته ومشتقّاته متعدّية بحرفي الجر «من» و«عن» للتعبير عن التوقّي والاحتراز، وصحّة استعمال ذلك في التعبير عن معنى الاعتراض. وتعديةُ الفعل وتصريفاته ومشتقّاته في التعبير عن معنى الاعتراض بحرف الجرّ «على» من الجائز النادر. وتنبغي إضافة ما لم يُذكَر من ذلك في المعجم العربي إليه. على أن الأَولى في استعمال (تحفَّظَ على) هو صانَ الشيءَ وحفِظَهُ.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

- في الصحاح (حرس): «وتحرَّستُ من فلان واحترستُ منه بمعنًى، أي تحفَّظت منه». وفي (حفظ): «والتحفُّظ: التيقُّظ». ومثل ذلك في الموضعين في لسان العرب وتاج العروس.
- وفي المصباح (حرس): «واحتَرَسْتُ منه تَحَفَّظتُ وتحرَّستُ مثله».
- وفي أساس البلاغة (حفظ): «وعليك بالتحفظ من الناس وهو التوقي».
- وفي تاج العروس (حفظ): «والتحفظ: الاحتراز، يقال: تحفّظ عنه أي احتَرَز....وفي العُبَاب، والصّحاح: التَّحَفُّظُ: التيقُّظ وقلة الغَفْلة...».
- وفي المعجم الوسيط (حفظ): «تحفَّظ عن الشيء ومنه: احتَرز، وبه: عُني، والكتاب: بذل جهدًا في حفظه جزءًا بعد جزء، وعليه: صانه، وفي قوله أو رأْيه: قَيّده ولم يطلقه».

هذه النصوص اللغويّة تدلّ غير شكّ على أنّ التعبير عن الاحتراز والتوقّي والاحتراس بالفعل «تحفَّظَ» وتصريفاته استعمالٌ عربيّ قديم فصيح باتّفاق.

ب- من شواهد الاحتجاج:

- من كلام زياد ابن أبيه (ت ٥٣هـ)- وقد سُئل عن الذي ينبغي للرجل

أن يتحفّظ منه-: يتحفّظ من حسد إخوانه، ومكر أعدائه[١].[نثر الدر في المحاضرات، الآبي (ت ٤٢١هـ)، تح. خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ٧/ ٢١]

- قال ابن المقفع (ت١٤٢هـ): «..والأمين منهم غير متحفظ من إتيان الخيانة، والصدوق غير محترس من حديث الكذبة، وذو الدِّين غير متورع عن تفريط الفجرة، والحازم منهم غير تارك لتوقع الدوائر». [الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر - بيروت، ص ٢٩]

- وفي كليلة ودمنة: «ولعمري ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس في كل شيءٍ من أمره، ولا أن يتحفظ من أن يكون منه صغيرةٌ أو كبيرةٌ يكرهها صاحبه». [كليلة ودمنة ترجمة لكتاب الفيلسوف الهندي بيدبا، عبد الله بن المقفع، المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة،ط١٧، ١٩٣٦، ١٣٠]

- قال ابن القاسم (ت ١٩١هـ): «..ولم يكن من مضى يتحفّظ من هذا». [النَّوادر والزيادات على ما في المدَوَّنة من غيرها من الأمهات، ابن أبي زيد القيرواني، تح. مجموعة من المحققين، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٩٩، ١/ ١٢٤]

ج- من شواهد الاستئناس:

- قال الجاحظ (ت٢٥٥هـ): «ومن أخلاق الملك السعيد ترك القطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، ولا سيما إذا غلب أحدهم على

(١) وقد عزاه أبو حيان إلى ديوجانس؛ إذ قال: «قيل لديوجانس: ما الذي ينبغي للمرء أن يتحفّظ منه؟ قال: من حسد أصدقائه، ومكر أعدائه». الصداقة والصديق، أبو حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تح. د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٩٩٨، ٧١، ١٨٥، وفي الموضع الثاني: حسد إخوانه، ومكر أعوانه.

عقله، وكان غيره أملك به منه بنفسه». [التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ، تح. أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية - القاهرة، ط١، ١٩١٤، ٤٣]

- وقال أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ): «فلان يضبط الحساب إذا كان يتحفّظ فيه من الغلط». [معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح. محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة القاهرة، ٢٠٧]

- وقال ابن القارح (ت بعد ٤٢٤هـ): «لقد رأيت علماء منهم ابن خالويه إذا قرأت عليهم الكتب، ولاسيما الكبار، رجعوا إلى أصولهم كالمقابلين يتحفّظون من سهو وتصحيف وغلط». [رسالة الغفران، ومعها نص محقق من رسالة ابن القارح، تح. د. عائشة عبد الرحمن، ص٦٢]

- وفي تفسير الماوردي (ت٤٥٠هـ): «لا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان». [تفسير الماوردي النكت والعيون، الماوردي، تح. السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ٣/ ٣٢٨]

- وقال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): «واجتنب أمر كذا وتحفّظ من وجه كذا، فإن قبل المنصوح وتحرز، فحظَّ نفسه أصاب، وإن رآه لا يتحفّظ ولا يبالي أمسك ولم يعاوده بكلمة». [رسائل ابن حزم، ابن حزم الظاهري، تح. د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط١، ١٩٨٠، رسالة في مداواة النفوس، ١/ ٣٦٦]

- وقال الجرجاني (ت ٤٧١هـ): «أو بأن يكون قد تَحفَّظ مما تخطئ فيه العامَّة،....وأن يتحفَّظوا من تخليط العامَّة في مثل: «هذا يَسْوى ألفًا»....». [دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط٣، ٣٩٦،١٩٩٢]

- وقال الغزالي (ت٥٠٥هـ): «مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظًا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم، بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف متحفظًا عن التنحنح والتثاؤب». [إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة - بيروت، ٢/ ٣٠٢].

- ومن كلام أبي عمر ابن الباجي الكاتب: «ومعاني العتاب - أعزك الله - إذا وردت على سليم منها، نزيه عنها، متحفِّظ من وقوعها، متحرِّز من جميعها، أساءت...». [الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تح. د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط ١، ١٩٧٨، ٣/ ١٩٢]

- ومن شعر ابن اللحية يوسف بن سليمان البغدادي (ولد سنة ٥٣٦هـ):

إذا ما تحفّظتُ من جوره ... لئم أك للجور بالحامل

فلست أعدُّ معَ العاشقين ... ولا خير في العاشق الجاهل

[الوافي بالوفيات، الصفدي، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث- بيروت، ٢٠٠٠، ٢٩/ ٩٥]

- وقال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «فأولى أن يتحفّظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد». [بستان الواعظين ورياض السامعين، ابن الجوزي، تح. أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص ٢٧٣]

- وقال ابن الحاج (ت٧٣٧هـ): «ألا ترى أنّهم قالوا: من لم يَرَ خطأَ شيخه صوابًا لم ينتَفِعْ به فيُحْمَلُ لأجل هذا ما يصدُر منهم على أنّه سُنَّة مأمور بها فكان سَيِّدي أبو محمَّد المرْجَانيّ - رحمه الله - يَتَحَفَّظُ من هذا

الأصل بذِكْره لذلك وتعليله؛ لئلَّا يعتقدَ من يعتقده أنّه سُنَّة مأمور بها».

وقال: «فإذا كان العالم يتحفَّظ من هذا انسدَّتْ هذه الثُّلمةُ فلم يُوجَد تعطيلٌ ببركة الاتِّباع». [المدخل، ابن الحاج، دار التراث القاهرة، على التوالي ١/ ٩٨، ٢/ ١٠٠]

- ومن شعر ابن ليّون (ت ٧٥٠هـ):

من يُرِد أن يعيش عيشًا هنيئًا يتحفّظْ ممّا عسى أن يضرّه

وقوله:

تحفّظ من الناس تسلم ولا تكن في تقرُّبهم ترغب

[نفح الطيب، المقّري، تح د.إحسان عباس، دار صادر بيروت ط١، ١٩٩٧، ٥/ ٥٧٧، و٥٤٤]

هذه الأمثلة المختارة من شواهد الاستدلال احتجاجًا واستئناسًا تؤيّد ما نطقت به نصوص اللغويّين السابقة التي كانت في بعض معاجم العربيّة، وتؤكّد قدم استعمال الفعل «تحفَّظَ» وتصريفاته ومشتقاته بمعنى الاحتراز والتوقّي وفصاحَتَه، وتدلُّك على أنّ تعدية ذلك بـ«من» و«عن» مستفيض مشهور.

وعلى أنّ التحفُّظ في بعض تلك الأمثلة يدلّ كما أرى على معنى الاعتراض والانتقاد؛ فأظهرُ ما يدلّ عليه «التحفُّظ» في قول الجاحظ: «ومن أخلاق الملك السعيد ترك القطوب في المنادمة، وقلة التحفّظ على ندمائه..» في رأيي معنى الاعتراض والانتقاد، يلوح لك ذلك فيه مؤيّدًا بالسياق.

والتحفّظ في قول ابن الحاجّ «.. فكان سيِّدي أبو محمَّد المرْجانيُّ - رحمه الله- يتحفَّظ من هذا الأصل بذكره لذلك وتعليله؛ لئلَّا يعتقدَ من يعتقده أنّه سُنَّة مأمور بها» دالٌّ كما أرى على الاعتراض والانتقاد.

وإلى هذا لك أن تقول عند النظر والتأمّل: دلالة الفعل «تحفّظ» على الاعتراض دلالةٌ ضمنيّة تقتضيها دلالتُه على معنى الاحتراز والتوقّي؛ لأنّ كلَّ ما يُتَحفَّظ منه يكون اقترافه وملابسته ممّا يُعترَض عليه ويُنتقَد. وما من موضع يدلّ فيه الفعلُ «تحفّظ» وتصريفاته ومشتقّاته على احترازٍ وتوقٍّ إلّا كان وراءه اعتراض وانتقاد، يدعو إليه ويحثّ عليه. فاستخدام هذا الفعل بمعنى الاعتراض في زماننا موصول بدلالة الفعل الأولى (الاحتراز والتوقّي)، وهو هنا معنًى ثانٍ دلّ عليه الاستخدامُ المعاصر، استخرجه من تلك الدلالة الضمنيّة وأعلنه دون استخفاء. ولك أن تختصر التعبير عن هذا بأنّه ضربٌ من الانتقال أو الاتّساع الدلاليّ: ذكرتَ التحفّظَ من الشيء وعنه بمعنى اجتنابه وتوقّيه والاحترازِ منه، وأردت سببه، وهو اعتراضه وانتقاده.

ومن هذا وذاك يبدو لنا القولُ بجواز استعمال الفعل «تحفّظ» وتصريفاته ومشتقّاته بمعنى الاعتراض والانتقاد، متعدّية بحرف الجرّ «من» أو «عن»؛ وأنّ تعدية ذلك بحرف الجرّ «على» نادر، وربّما كان وراءه تضمينُه معنى الفعل «اعترض» الذي وردت تعديته بحرف الجرّ «على». ومن ثمّ ينبغي إضافة هذا المعنى إلى معاني الفعل «تحفّظ» في المعجم العربي.

العضو: د. عبد الناصر عساف

٤- قرار اللجنة:

فصاحة استعمال الفعل «تحفّظَ» وتصريفاته ومشتقّاته متعدّية بحرفي الجر «من» و«عن» للتعبير عن التوقّي والاحتراز، وصحّة استعمال ذلك في التعبير عن معنى الاعتراض. وندرة استعمال (تحفَّظ على) لمعنى الاعتراض، وإضافة ذلك إلى المعجم.

* * *

حفل استقبال
الأستاذ الدكتور إياد الشطي
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (١٣ شعبان ١٤٤٣هـ-١٦/ ٣/ ٢٠٢٢م) الأستاذ الدكتور إياد الشطي عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقم (١١٦) في (٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور إياد الشطي في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٢٧/ ٧/ ٢٠٢٢م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنِّئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقت الأستاذة الدكتورة لبانة مشوح كلمتها التي تحدثت فيها عن الزميل المحتفى به، ونوّهت بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور إياد الشطي، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم:

أسعد الله أوقاتكم، وأحييكم أطيب تحية، وأرحبّ بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعًا في استقبال الأستاذ الدكتور إياد الشطي عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق السادس عشر من آذار ٢٠٢٢م الأستاذ الدكتور إياد الشطي عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وأصدر السيّد رئيس الجمهورية المرسوم ذا الرقم ١١٦ والتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢ باعتماد انتخابه.

ويهنئ المجمع الأستاذ الدكتور إياد الشطي على ثقة زملائه به، واختيارهم له عضوًا جديدًا ينضم إلى المجمع ليسهم في أعماله في ضوء خبراته وهو النطاسي البارع، والأستاذ الجامعي القدير واللامع.

ترجع معرفتي به إلى العام الدراسي ١٩٨٦-١٩٨٧ يوم أن كنت عميدًا لكلية التربية بجامعة دمشق، وكان الدكتور الشطي عميدًا لكلية الطب، وكنا

نجتمع في مجلس الجامعة، وكان رئيسه آنذاك الأستاذ الدكتور زياد شويكي شفاه الله.

وما أزال أتذكر مناقشة دارت في المجلس بخصوص تعليم اللغة العربية لغير المتخصصين في الجامعة، وكان للدكتور الشطي مداخلة اتسمت بالمنطق، وسداد الرأي، وقوة الحجة، وقد أعجبت أيما إعجاب برؤيته المتميزة للموضوع، واتفقت معه آنذاك على أن ثمة ضياعًا للهدف المرجو من اعتماد هذا التعليم في الكليات، والمعاهد الجامعية لغير المتخصصين، وأن ثمة هوة بين الهدف والتطبيق المعمول به في هذه الكليات والمعاهد، وأدت هذه الهوة إلى الانعكاس السلبي على المشروع المأمول منه أن يؤدي إلى النهوض بواقع الأداء اللغوي، والارتقاء به، والتمكين له في حال تأمين مستلزمات التطبيق من أطر معدّة، وكفية، واختيار دقيق للنصوص التي يتفاعل معها الدارسون من ميدان تخصصاتهم، سدًّا لحاجاتهم، وتلبية لمتطلباتهم.

وشاءت الأقدار أن تسند إلى الأستاذ الدكتور إياد الشطي مهمة تسلّم شؤون وزارة الصحة في ذلك العام، ولمع اسمه وأداؤه في وزارته، ثم كان تشكيل جديد للوزارة في شهر آذار عام ٢٠٠٠، وظلّ الدكتور الشطي وزيرًا للصحة في الوزارة الجديدة، وكُلّفت يومئذٍ تسلم وزارة التربية في ذلك التشكيل الوزاري، وكان آخر تشكيل يؤدي اليمين أمام الرئيس الراحل حافظ الأسد رحمه الله في الشهر الثالث من ذلك العام عام ٢٠٠٠، أي قبل وفاته بثلاثة أشهر.

ومجددًا كنت أجد المتعة في مداخلات الدكتور إياد المتميزة بتحليلها وتعليلها، وذلك في مناقشات اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة الدكتور

محمد مصطفى ميرو رحمه الله، أو في عرض إنجاز وزارته في المجلس، أو في جلسات مجلس الشعب، بأسلوب واضح، ولغة جليّة، وتسلسل رائع، وهو المستمع الماهر في إنصاته، والمحاور اللبق في ردوداته.

وتوطدت العلاقات بيننا، وكان يزينها الاحترام والتقدير والإفصاح في التعبير عما تزخر به القلوب من مشاعر المودة الصافية، واللقاء الفكري بأسمى أبعاده الوافية، وتطلعاته الراقية نحو الأجمل والأبهى والأكمل.

وتجدر الإشارة إلى أن كلًّا منا لم يتوقف عن إلقاء محاضراته الجامعية بعد أن أحلنا على التقاعد دون تقاضٍ أي أجر عنها، وكانت ثمة سعادة في العطاء ومتعة في الأداء. وكانت محاضراته الجامعية تتسم بالوضوح والدقة، ومواكبة آخر ما توصل إليه العلم في مجال العلوم الصحية، وطالما أثنى طلابه، ومنهم أبنائي على قدرته العالية في إيصال المعلومات إلى الأذهان بكل سهولة ويسر، إلى جانب تشجيعه للإبداع والتفوق، ورعاية المجلّين، ومساعدتهم على استكمال دراساتهم العليا، ولا شيء يشجع على الإبداع مثل التشجيع والتعزيز، وكان الدكتور الشطي المشجع، والمعزز لإمكانات طلبته والارتقاء بها، وكم من براعم تفتحت، وأزهار زكت بفضل أسلوبه التربوي، ومنهجه الكفي، وتشجيعه الزكي، وتفانيه الوفي لرسالته التي وقف نفسه لها بكل إخلاص وجدارة وتفان! وكم من قدرات وُئِدَت بسبب الأساليب المنفرة لا الجاذبة، والأجواء التربوية البائسة، ورحم الله الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي عندما قال:

ربّ ذهنٍ مثل النهار منيرٍ صار بالبؤس كالظلام دجيّا

ولقد ضمتنا لجنة رؤساء تحرير مجلة جامعة دمشق، حيث كان رئيس

تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الصحية، وكنت رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، وكنا نجتمع في مكتب نائب رئيس جامعة دمشق للشؤون العلمية الأستاذ الدكتور جمال عباس، وكانت ثمة عودة إلى بهاء طرحه، وصواب رؤيته في تلك الاجتماعات المخصصة لمعالجة تطوير واقع مجلات جامعة دمشق المحكمة.

أيها الحفل الكريم:

من بدهيات الأمور أن تعتمد الأمم الحية كبيرها وصغيرها لغتها الأم في مناحي حياتها كافة، تعليمًا وتواصلًا وإعلامًا وثقافة... إلخ، ولا يمكن لهذه الأمم أن تتصور تدريس علومها بغير لغتها مهما يكن لتلك اللغات الأخرى من سيرورة وانتشار، كما هي عليه الحال في اللغة الإنجليزية.

ولا يمكننا أن ننسى اعتزاز الألمان والفرنسيين والإسبانيين واليابانيين والصينيين.. إلخ بلغاتهم الوطنية، وما تزال نداءات «فيخته» و«هيدجر» في ألمانيا، وأقوال الفيلسوف الفرنسي «باسكال» ماثلة في الأذهان، وذلك في نظرتهم إلى أن اللغة هي الوطن والمسكن والمستقر، وطالما كان الرئيس «ديغول» في فرنسا معجبًا بهذا القول: «اللغة هي الوطن» ومرددًا له.

ولا يمكننا أن ننسى عند قيام الثورة الروسية القرار الذي أصدره «لينين»، وينص على إتقان لغة الشعب من المسؤولين كافة.

وهل يمكننا أن ننسى نداءات القائد الفيتنامي «هوشي مينة» عندما رفع سلاح الشعور بالكرامة والكبرياء ضد الأعداء، فقال: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية، ولغتنا الأم «الفيتنامية»، وخاطب أبناء مجتمعه قائلًا: «حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية».

وها هو ذا العدو الإسرائيلي يقيم كيانه على إحياء اللغة العبرية، ويسمي جامعته «الجامعة العبرية»، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة منذ ألفي عام، فأعاد إليها الحياة، وغدت لغة التعليم في جميع المراحل، وتدرّس مواد المعرفة بها كافة.

ولقد أدركت سورية بعد حصولها على استقلالها وجلاء الأجنبي عن أراضيها بأن محاولات إبعاد اللغة العربية عن الحياة إبان عمليتي التتريك والفرنسة لم تثنها عن إيمانها بأن لغتها القومية هي هويتها المميزة والمعبرة عن ذاتيتها الثقافية، وهي لغة القرآن الكريم، وذاكرة الأمة، ومستودع تراثها، وطابع انتمائها، ووطنها الروحي، ولهذا أعادت لها مكانتها الجديرة بها، وظلت متمسكة بها، ومحافظة عليها، وحريصة على سلامتها وحمايتها، وغدت مضرب المثل في صونها والتمكين لها في جميع شؤون الحياة، وتدريس مواد المعرفة بها في الكليات والمعاهد، في الوقت الذي ما نزال نسمع فيه صيحات على الصعيد العربي تدعو إلى التخلي عن العربية في تدريس المقررات العلمية الجامعية، وتقديم المواد العلمية باللغة الكونية، ويقصدون بها الأجنبية، على الرغم من أن مرور ما يزيد على قرن كامل في تدريس المواد العلمية باللغة العربية في سورية يؤكد نجاعة هذا التدريس تربويًّا ونفسيًّا وثقافيًّا مادامت اللغة هي الطابع الذي يميز الأمة مِن سائر الشعوب الأخرى، ومادامت هي محور الثقافة، وحاملتها فكرًا وقيمًا ومشاعر ونزوعًا وأداءً، وتعد الثقافة الحصن الأخير للأمة، وثمة ضرورة ماسة لها من حيث الأمن الثقافي لإيقاف الغزو الفكري والتبعية، إذ يبقى الفكر العربي ناقصًا وغريبًا إذا لم يقرأ أو يكتب أو يفكر فيه بالعربية ليقف على أرض صلبة في مواجهة الاستلاب والهيمنة والتبعية، ولا أمن ولا سيادة للعرب في بلادهم ما لم تكن ثمة سيادة للغتهم الأم في شؤون حياتهم كافة.

وثمة فوائد جمة اقتصادية وتنموية تتحقق من التدريس باللغة الأم في مجال العلوم والتقانة مادامت القوى العاملة تفهم اللغة العلمية والتقانية التي لها دور كبير في زيادة النمو لأن للغة العلمية دورًا في تحسين مردود القوى العاملة الذي يتعاظم في التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة. ودور اللغة في الاقتصاد والتنمية يوازي دور النقد، فالترجمة مع عدم انتشار لغة العلم في المجتمع باللغة الأم يفيد في الاستيراد لا في التصدير، في حين أن الدولة التي تنجح في تعليم لغتها لكي تصدر هي الرابحة ربحًا مضاعفًا (تربح تكلفة الاستثمار في تعليم لغتها، وتربح تكلفة الترجمة في عمليات التصدير).

وعلى الرغم من هذه الشواهد الحية، والتجربة السورية الغنية ما يزال نفر من أبناء الأمة يجادلون ويشككون في قدرة لغتنا على مواكبة التقانة والمعلوماتية والعلوم الصحية. وما ذلك إلا لضعف في الإرادة، وفتور في الانتماء، إذ لو كانوا منتمين حقًا لأمتهم، اعتزوا بلغتها، دون أن يتحول ذلك الاعتزاز من امتلاك ناصية اللغات الأجنبية، والإفادة من الثقافات الأخرى بلغاتها، وتمثلها والإسهام في الحضارة الإنسانية بلغتنا على النحو الذي كان عليه أجدادنا إبان ألق الحضارة العربية الإسلامية حيث تمكنوا من التحلي والاستيعاب والابتكار والإبداع بلسان عربي مبين.

أيتها الأخوات، أيها الإِخوة الأحبة: لقد كان لنا نحن العرب دور مرموق في نشر الثقافة في تاريخ الحضارة، وقد نشرت هذه الثقافة بلغتنا، ولا يليق بنا في عصر العلم والتقانة والمعلوماتية ألا يكون لنا دور، ولا إسهام، وألا نعمل على استنبات العلم عربيًا.

وإذا كنا في مجال مسيرة التعريب المتعثرة على الصعيد العربي ما نزال نسمع هذه النغمات النشاز التي تعارضه بعد أن سيطر على أصحابها عقدتا

التصاغر والتكابر، التصاغر تجاه كل ما هو أجنبي والانبهار به، والتكابر على ثقافتهم العربية، فيدعون إلى تدريس مواد المعرفة باللغة الأجنبية على حساب لغتهم القومية، وهم عن قصد أو عن غير قصد إنما بعملهم هذا يعملون على خلخلة الانتماء لدى أجيال الأمة، ويسهمون في تخريب الذاتية الثقافية لها، كما نجد شريحة في الوقت نفسه تدعو إلى التريث في استعمال العربية، وتدعو إلى اعتماد الأجنبية، وتقف على الحياد متسمة بالغيّ المموه بالرشاد، وهذه الشريحة ينطبق عليها قول دانتي: «إنّ أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوز للذين يقفون على الحياد في وقت الأزمات»، وأي أزمة أفدح من طمس هوية الأمة، والتعدي على ذاتيتها الثقافية ؟ وكلنا يعلم أن الحصن الثقافي هو آخر حصون الأمة استعصاء على الأعداء، فإذا سقط - لا قدر الله - آلت أمور الأمة إلى ذوبان وامحاء.

لقد آن الأوان أن يعي أبناء الأمة كافة ما يخططه لهم أعداؤهم المستعمرون، وذوو التفكير الظلامي من العرب والمسلمين عن عمد وتصميم لمحو ذاكرة أمتهم، والنيل من لغة قرآنهم، ونرجو من الله ألا نصل إلى وقت نتحسر فيه على حالنا يوم أن كان القرار بيدنا، فإذا هو بعد ذلك يغدو ملكًا للآخرين المتربصين بأمتنا، ورحم الله شاعرنا العربي إذ يقول:

ولا يعرفون الشرَّ حتى يصيبهم ولا يعرفون الخير إلا إذا مضى

والخير أيتها الأخوات، أيها الإخوة في استيعاب روح العصر من تقانة ومعلوماتية، مع التمسك بلغتنا موحدة كلمتنا، وجامعة شملنا، ولغة قرآننا، ورحم الله أستاذنا المجمعي الموسوعي الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي، إذ يقول:

أيا لغة القرآن أنت حياتنا ومرآتنا فيما نقول ونفعل

ورثت كنوز الأرض علمًا وحكمةً فما لغة في الأرض إياك تعدل

والخير أيها الإخوة يتجلى في الإقدام، واتخاذ القرارات السياسية، والخطوات العملية الإجرائية التنفيذية، لا في التنظير، وتكرار التوصيات والمقترحات دون أن تشق طريقها إلى التطبيق.

وكم من توصيات تمخضت عنها مؤتمرات المجامع اللغوية، والجامعية، وندواتها ! وكم من توصيات تمخضت عنها رسائل الماجستير والدكتوراه! إلا أن هذه التوصيات - ويا للأسف - لم ترَ النور عمليًّا، لا بل:

نسجت عليها العنكبوت خيوطها وكسا الغبار غلالة تكسوها

والخير في أن نتمثل برجالات التعريب الأوائل الذين وقفوا أنفسهم للعلم واللغة بحثًا في معاجمها، وتنقيبًا عن مصطلحاتها بعد أن امتلكوا ناصية تخصصهم، وناصية اللغة الأجنبية، فنحذو حذوهم في قوة الإرادة، وتذليل العقبات بعد أن أمدنا عصرنا بالأدوات، والأجهزة من حواسيب، وشابكة، وترجمة آلية، ومعلوماتية... إلخ. على أن يتعامل أبناء الأمة كافة مع أنواع التقانة، ويمتلكوا مهاراتها، على ألا يسيطر ذلك على الذاتية الثقافية والجذور، وألا يجرفهم طوفان المعلومات إلى التشتت والضياع، وأن نتعامل مع معطيات العصر بأسلوب التفكير العلمي المنظم، والمتجدد، والمبدع، ونعمل على تنقية تراثنا من الخرافات والشعوذات والترهات والمماحكات والمهاترات، وتقديم الصور الحضارية الإنسانية منه، لأن في ماضينا الحيّ كنوزًا بها نعتز ونفتخر، وبعلميتها ومزاياها ننبهر.

وإن التدريس بغير اللغة الأم يعمل على تسهيل هجرة العقول التي تؤدي إلى خسارة رأس المال البشري، ولا يفهمنّ من ذلك أننا ندعو إلى التخلي عن إتقان اللغات الأجنبية، بل على العكس إن في إتقان اللغات

الأجنبية إغناءً للغتنا العربية، على أن يكون هذا الإتقان للغة الأجنبية إلى جانب إتقان لغتنا العربية لا أن يكون التدريس بالأجنبية على حساب لغتنا القومية، فهناك فرق بين تعلم اللغات الأجنبية، وهو أمر ضروري تستلزمه طبيعة العصر ومتطلباته، وبين التعليم باللغات الأجنبية، وهو أمر يقضي على اللغة القومية، ولا يساعد على توطين المعرفة.

وغني عن البيان أن طلبة الطب عندما يتعاملون بالعربية في أداء عملهم المستقبلي تشخيصًا للأمراض، ووصفًا لعلاجها، فإن ذلك يساعدهم أيما مساعدة على التواصل مع مرضاهم، والتفاهم معهم، وإدراك أسباب أوجاعهم. وثقة المريض تتوقف على مدى قناعته بتفهم الطبيب لمرضه، ولا يمكن أن تتوطد هذه الثقة إلا إذا كانت لغة التخاطب واضحة، ومفهومة من الطرفين.

أيها الحفل الكريم:

لنقلها بكل صراحة وشفافية: لو كانت ثمة سياسة لغوية تحرص السلطات المسؤولة في الدول العربية على انتهاجها لتحديد الموقف من اللغات الأجنبية، وتحديد موقع اللغة العربية الأم على نطاق الساحة العربية في العملية التعليمية التعلمية، لما آل إليه وضع اللغة العربية في دول الخليج العربي، ودول المغرب العربي إلى ما آل إليه حاليًّا.

وبعد التمكن من اللغة الإنجليزية أساسًا للقبول والتدريس، والتخاطب الرسمي، والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية، بل إن أقسام الطب، والعلوم الطبية المساندة، والعلوم الطبيعية والبحتة لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة الإنجليزية بمختلف مهاراتها. أما مهارات اللغة العربية فلا يكاد يذكر منها شيء، لأنها لا تستعمل في مثل

هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة من التعامل، وفي تدريس قليل من المواد التكميلية المهمشة بها، وهذا ما يقلل من ممارسة الدارسين في هذه الأقسام لها، ويبعثهم في النهاية إلى الانصراف عنها بدافع الإحساس بقلة فاعليتها، مما يضعف ولاءهم لها، ولثقافتها في كثير من الأحيان.

أما أحاسيس الذين مارسوا أو يمارسون تعلمهم باللغة الأجنبية في الأقسام العلمية، فإن المواقف السلبية تجاه العربية تزداد حينما تتسلل إلى حياة الناشئة في مراحل تعلمهم في التعليمين الأساسي والثانوي، فتدفعهم إلى الاستهانة بدروس العربية، وموادها، أو الفتور في الإقبال عليها مادامت مواد غير أساسية، لأنها لن تكون مهمة مستقبلًا مقارنة بدروس الإنجليزية، والمواد العلمية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد، وتسلّم وظائف عالية، وعوائد مالية مغرية.

ولم يقتصر هذا الوضع على دول الخليج العربي، وإنما كانت ثمة نظرة فوقية من ذوي الثقافة الفرنسية إلى الدارسين بالعربية من دول المغرب العربي، فقد نشأت شريحة من الجزائريين تخرجت في مدارسها بعد الاستقلال تنطق باللسان العربي، فإذا هي بمنزلة اليتامى لغويًّا، فلا هم شرقيون، ولا هم غربيون، سدت الأبواب أمامهم، وأخذت مفاتيحها شريحة أمية في اللسان العربي من الذين ما يزالون يتحكمون في مقاليد معظم الإدارات الحكومية، فران على قلوبها كره وخوف على مصالحها، وتعصب جعلها تجرؤ على الاستهانة بالعربية إن سرًّا أو علانية، ويسمون الناطقين بالعربية بالرجعية والتخلف، وأصبح هؤلاء المعربون من حملة الشهادات العربية مبعدين عن الوظائف التي يمسك بزمامها أصحاب الفرانكفونية في أعلى هيئات الدولة، والمؤسسات التربوية، وغيرها، كما أوضح ذلك عضو المجمع اللغوي الجزائري في مجمع القاهرة الأستاذ الدكتور عمار الطالبي.

أيها الحفل الكريم:

أقول بكلّ صراحة أيضًا: إذا كانت هذه النظرة الفوقية ضدّ الدارسين بالعربية والمتخرجين في مدارسها وجامعاتها ظاهرة في دول المغرب العربي يمارسها الفرانكفونيون، وفي دول الخليج العربي يمارسها ذوو الثقافة الإنجليزية، فإن بقية الدول العربية كما هي عليه الحال في مصر، والعراق، والأردن، والسودان، وسورية هي في منأى عن هذه النظرة الفوقية، وإن كانت ثمة جهات في هذه الدول قد بدأت تنحو هذا المنحى سرًّا لا علانية في تفضيل خريجي الجامعات الغربية والأمريكية في التعيين في بعض التخصصات الطبية والعلمية والتربوية على خريجي الجامعات العربية، علمًا بأن حاملي البورد العربي في الطب كما يعرف أستاذنا الجليل الدكتور الشطي مشهود لهم بالكفاية والتفوق والتميز على نطاق الساحة القومية، كما أن خريجي الجامعات السورية يتفوقون في دراساتهم العليا في الجامعات الأوربية والأمريكية، ويبذون أقرانهم الذين درسوا باللغة الأجنبية في بعض جامعات الوطن العربي، ويتسلمون مناصب أكاديمية رفيعة في تلك الجامعات الأمريكية والأوربية، ولم تكن دراستهم للطب والعلوم بلغتهم العربية بحائل دون ذلك التسلم بكل كفاية وجدارة وإبداع.

ومن المؤسف حقًّا أن نقول: إذا كان الاستعمار بمختلف ضروبه وأشكاله قد حارب اللغة العربية: «في دول المغرب العربي أو في بلاد الشام على يد جماعة الاتحاد والترقي التركية، والاستعمار الفرنسي، أو في مصر وفلسطين والعراق على يد الاستعمار البريطاني، فإن حرب اللغات مستمرة في بلادنا العربية في ظلال العولمة، وما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد العربية وتهميشها، فإننا نعمل على تحقيقه في بلادنا العربية بأيدينا نحن العرب عندما

نستعمل اللغة الإنجليزية في التعليم في جامعاتنا، وفي المدارس الخاصة، ونبعد العربية، وعندما تستقطب المدارس الخاصة، والجامعات الخاصة أبناء الطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة، وعندما يفسح في المجال للخريجين فيها التوظيف، ويحال دون الخريجين المؤهلين بالعربية، وعندما تستبعد من السلم التعليمي في كثير من المواد إن في التعليم الأساسي أو الجامعي، وقد يتعجب أحدنا لما آل إليه الوضع عندما يطلب إلى أهالي بعض تلك الطبقات الاجتماعية أن يتحدثوا بالأجنبية مع أولادهم وبناتهم في البيت تعزيزًا لما اكتسبوه من تعلم بها. وقد حدث ذلك في مجلس أولياء الأمور في المدارس الخاصة بالقاهرة، كما أشار إلى ذلك الصديق الأستاذ الدكتور أحمد درويش، ورحم الله الشاعر جميل صدقي الزهاوي عندما قال:

كلما فكرت في الأمر تولاني ارتجاف
أنا من مستقبل الناس على الناس أخاف

الواقع: أنا خائف على انحسار قيمة الوفاء تجاه حبيبتنا أمّنا الرؤوم، وهويتنا الذاتية، ووطننا الروحي مع إيماني العميق بأنّ المستقبل لها، وأنّ رب العالمين لن يتخلى عن اللغة التي أنزل بها رسالته السمحة إلى العالمين والناس أجمعين، وليس إلى العرب وحدهم، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ومع الاستجابة إلى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فإننا في أمس الحاجة إلى وضع سياسة لغوية واضحة على الصعيد العربي، وتخطيط لغوي في ضوئها، وقوانين تحميها من الاستلاب والاعتداء على حرمتها ومكانتها. ويكفي سورية فخرًا بين شقيقاتها أنها منذ حصولها على استقلالها أصدرت قانونًا لحمايتها.

إنّ مجمع اللغة العربية في دمشق منذ تأسيسه أسهم أيما إسهام في تعزيز تدريس العلوم الصحية باللغة العربية، ووضع المصطلحات الطبية بها، ونطمح إلى أن تكون توصياته ملزمة للجهات المعنية، وإن انضمام الأستاذ الكبير، والطبيب الماهر القدير الأستاذ الدكتور إياد الشطي إلى مجمع اللغة العربية سيسهم أيما إسهام في تفعيل مناشطه، وفعالياته نظرًا لما عرف عنه من كفاية، وحماسة، وانتماء وطني وقومي إلى أمته الماجدة، ولغتها العربية الخالدة.

لقد كان التميز مرافقًا له إن في حياته الدراسية، أو التدريسية، أو في المواقع العلمية التي تبوأها، وستتحدث الزميلة الأستاذة الدكتورة لبانة مشوّح عضو المجمع ووزيرة الثقافة بالتفصيل عن سيرته العلمية وإنجازاته، ثم سيتحدث الأستاذ الدكتور إياد عن النطاسي الكبير، الماهر والحاذق، الأستاذ الدكتور هيثم الخياط رحمه الله، الذي سيحل محله في مجمع اللغة العربية بدمشق، فلتتفضل الزميلة الكريمة الأستاذة الدكتورة لبانة بالحديث مشكورة.

* * *

كلمة المجمعية الأستاذة الدكتورة
لبانة مشوح

السيد الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الزملاء المجمعيون

أيتها السيدات، أيها السادة

نعاود اللقاء اليوم والسعادة تغمرنا، فما أجمل أن نُضيفَ إلى عِقدنا قامةً أضاءت ولا تزال سماء العلم، عطاءً أكاديميًّا وطبيًّا لا محدودًا ببعديه الوطني والإنساني، وما فتئت تزداد ألقًا، وتزدان همةً، وتُثمر زرعًا طيبًا لأجيال ستحمل الفضل ما حييت. يلتئم شملنا اليوم في استقبال زميل جديد نثق بأنه سيكون خير رديف لنا وداعم لجهودنا في إغناء لغتنا العربية، لغةِ الرسالة، والبلاغة، لغةِ الفكر والعلم، اللغةِ البديعة التي تملك كل مقوِّمات البقاء والارتقاء، لكنها تعاني عقوق أبنائها حينًا، وجهلهم بغزير مكنوناتها وبديع خصائصها أحيانًا؛ لغةِ الماضي التليد، والمستقبلِ الذي نبتغيه للأجيال اللاحقة كريمًا مجيدًا مزدهرًا.

والعلاقة بين اللغة والفكر علاقةٌ تفاعلية، علاقةُ تأثّر وتأثير؛ فكما أنّ اللغة وعاءُ الفكر ومرآةُ تطوّره وانعكاسُ نضوجه الحضاريّ أو محدوديته وقصوره المعرفي، هي كذلك فاعلةٌ في الفكر، ومحفِّزة على تبديل أنماطه

وسلوكيات حملتِه؛ فإن اغتنت تطوّر، وإن حُدّت وهزُلت قصُرَ عن مواكبة العصر وعلومه وأساليبه.

والترجمة أحدُ الروافد الرئيسية للمكنز اللغوي، لذا كان اتّساعُ حركة الترجمة وتعريب العلوم يواكبه بالضرورة اتِّساعٌ في المخزون المصطلحي للغة العربية، الأمر الذي أفضى إلى اتِّساع الأفق المفاهيمي للعقل العربي انعكس انفتاحًا فكريًّا ومعرفيًّا، ومنتجًا حضاريًّا أفادت منه البشرية جمعاء.

لكن التطوّر المذهل الذي نشهده اليوم للعلوم الحديثة التي بات العرب مستوردين لها لا منتجين، والتدفّقَ اليوميّ، لا بل اللحظيّ، لهذا الكمّ الهائل من المصطلحات العلمية في شتى الحقول المعرفية، والحاجةَ إلى نقل المعرفة وتوطينها، يحتِّمُ على المختصين، مترجمين ولغويين، بذل جهد مضن في إيجاد المقابلات العربية العلمية لهذا السيل الجارف من المصطلحات، مصطلحاتٍ سليمة في مبناها، دقيقةٍ في معناها، سهلةِ الإدراك، تُعين على بناء العقول وتوطين المعرفة، بما يُيسِّر الانتقال من استهلاك ثمرات العلم دون التمكّن من أدواته، إلى الإنتاج المعرفي.

من سدنة اللغة العربية كان العضو الجديد المنتخب الأستاذ الدكتور إياد الشطي، الذي كانت رحلته مع المصطلحات الطبية، وجهودِ توحيد المصطلح، وعناءِ البحث عن مقابلات عربية للحديث دائم التجدّد منها، رحلةً طويلة مضنية.

ولقد شرّفني مجلس المجمع الموقر بأن كلّفني بتقديم زميلنا الجديد؛ مُهِمّةٌ لا أخفي أنني استصعبتها، فكيف لي أن أُعرّفَ المعرّف، وأنّى لي أن أحيط بكل الإنجازات العلمية والمهنية والمجتمعية التي واكبت مسيرة حياته؟ لكن لا بُدّ مما ليس منه بُدٌّ.

في ٢٧ من شهر تموز من العام ١٩٤٠، أي في مثل هذا اليوم تحديدًا قبل اثنين وثمانين عامًا، رأى الطفل محمد إياد الشطي النور في حي من أحياء دمشق القديمة الواقعةِ داخلَ السور، فتنفّس أصالتها وألِفت عيناه جمال تفاصيلها، فسكَنَه عِشقُها ولازمه في حلِّه وترحاله. وتيمُّنًا بجمالها، طُبِعت نفسُه على تقديس الجمال بكل أطيافه.

ترعرع إياد في كنف أسرة شامية كريمة: والدته حياة الحلبوني رحمها الله، ووالده الدكتور أحمد شوكت الشطي رجلُ العلم الرصينُ، العفيفُ اللطيفُ المعشر، الفعّالُ للخير، نذر نفسه لخدمة المحتاج، وأفاد الناسَ من علمه وعمله، فكان من الرواد الأوائل الذين انصرفوا عن تدريس الطب باللغة التركية ورفعوا منار العربية المبينة وأعلوا صرحها وأثبتوا أنها اللغةُ المطواعُ القادرةُ على احتواء العلوم الحديثة كافة. ألّف أبو إياد في أكثر من فرع من فروع العلوم والمعرفة. له في الطب والتراث الطبي عند العرب خمسةٌ وخمسون كتابًا، أغنى بها اللغة العربية بالمصطلحات الطبية الحديثة وأحيا تاريخ الطب المجيد عند العرب. ألّف كذلك في العلوم الإنسانية، وكانت له نظراتٌ واجتهادات في الدين، بما أوتي من علم وإيمان، غيرَ مبالٍ بمخالفة الناس له في الرأي، طالما أنه لا يخالف السداد والحق. في كنف هذا العالِمِ الفاضل نشأ إياد، ومن نبعه اغترف.

بدأ مسيرة التفوق والتميز مذ كان طفلًا. أمضى المرحلة الابتدائية في مدرسة هنانو في جادة نوري باشا، وأنهى المرحلة الثانوية متخرجًا من ثانوية دمشق الأمريكية. لم يكن لديه ميل لدراسة الطب، فالتحق بعد حصوله على الثانوية العامة بالجامعة الأمريكية في بيروت. كان رياضيًّا مولعًا بكرة السلة والسباحة، لاحظ مدرِّبُه شحوبَه وضَعفَ أدائه، فأرسله إلى

المستوصف، وظهر لاحقًا أنه مصاب بالحمى التيفية، فعاد إلى دمشق عام ١٩٥٧. استعصى المرضُ ونَكَس مرات، وطال أمده، فألزمه الفراشَ نحو عشرة أسابيع. وهنا تدخلت الأقدار مرة أخرى لتغير مجرى حياته بالكامل. إذ دفع أبوه إليه أجزاءً من كتاب «علم الجنين» باللغة الإنجليزية التي كان يتقنُها، وطلب منه أن يُسهم بترجمته إلى العربية، ففعل. وذاك كان أول عهده الطويل بالطب، وأول جولة من معاركه مع المصطلح الطبي.

انتسب إلى كلية الطب في الجامعة السورية وتخرّج الأول على مجموع السنوات السبع بمعدّل امتياز بلغ ٨٥.٦٧٪ وكانت تلك أولَ مرة تَمنح فيها كليةُ الطب البشري هذا المعدّل الرفيع. واستمر شغفه، طوال تلك الفترة، بالبحث عن المقابلات العربية المناسبة للمصطلحات الطبية. ففي السنة الثانية في كلية الطب البشري طرح أستاذ الفيزيولوجيا أ.د. شفيق البابا على طلابه موضوعًا حديثًا جدًّا هو دور غدة التيموس في المناعة، وسأل: من منكم مستعدٌّ لتحضير جلسة كاملة عنها؟ كان الموضوع جديدًا يفتقر إلى المراجع العربية، لكن الطالب إيادًا المتمكنَ من الإنجليزية، المؤمنَ بمرونة العربية وغناها وقدرتها على إسعافه بما يلزم، تصدى للمُهِمَّة الصعبة وأنجزها بعد شهرين من البحث والتقصي واقترح عددًا من المصطلحات الطبية. واستمرت رحلة توحيد المصطلح الطبي العربي وإيجادِ ما يوائمُ منها في الشكل أصولَ اللغة، وفي المضمونِ ودقةِ ما تحملُه من مفاهيم المادة العلمية المتجددة أبدًا. وفي تحضيره رسالة التخرج عن حالات البطن الحادة كان مرجعه كتاب «الأمراض الجراحية» لمرشد خاطر وشوكت الشطي رحمهما الله، وكان قد مضى على وضعه ونشره قرابةُ ربع قرن؛ فوجد لزامًا عليه، من باب الغيرة على علمه ولغته، توحيدَ بعض

المصطلحات، واستحداثَ أخرى تواكب تطور العلم وأدواته.

تزوّج بعد تخرّجه من زميلة مبرّزة بين أقرانها كانت نظيرته في تميّزه، هي السيدة الفاضلة الدكتورة هناء بيرقدار، ابنةُ حسن منير بيرقدار رئيسِ المحكمة العليا آنذاك، وأمينِ عام وزارة العدل في الوقت الذي كان فيه د. شوكت الشطي أيضًا أمينًا عامًا لوزارة الصحة. لكن أحدًا منهما لم يكن يعلم ذلك. رزقا بابنتين: لونة ودانة، هما وذريتاهما مصدرُ فخر.

بعد حصوله على الدكتوراه في الطب البشري من جامعة دمشق، سافر إلى الولايات المتحدة للتخصص، فحصل بين عامي ١٩٦٤-١٩٧١ على التأهيل من بعض من كبريات المشافي ومراكز الأبحاث. يحمل شهادة البورد الأمريكي في علم الأمراض، ودبلومًا في أمراض الجملة العصبية، وآخر في الخلويات، إضافة لشهادة اختصاص لممارسة الطب والجراحة في واشنطن.

عاد إلى الوطن على الرَغم من كلّ المغريات، عاد ليجمع المجد من أطرافه، فيمارس اثنتين من أرقى المهن وأنبلها: الطب والتعليم. بالأولى يُبرئ الأجساد من سقمها، وبالثانية يغنيها بزاد العلم ويبرئ العقول من رواسب الجهل والتخلّف والتعصّب الأعمى، ويسخِّرها لخدمة الإنسان.

هو اليوم أستاذ علم الأمراض في كلية الطب بجامعة دمشق، ورئيس مخبر علم الأمراض في كل من مستشفى الأسد ومستشفى المواساة الجامعيين. ورئيس مجلس أمناء جامعة القلمون ومستشار أكاديمي لرئيس جامعة الشام. ورئيس الرابطة السورية لعلم الأمراض، ورئيس المجلس العلمي لعلم الأمراض، وعضو مجلس أمناء هيئة التميز والإبداع.

أمّا وظائفه ومهامه السابقة فهي أكثر من أن يتسع لها هذا المقام. كان نائبًا لعميد كلية الطب بجامعة دمشق ثم عميدًا لها، ثم وزيرًا للصحة طوال

سبعة عشر عامًا اسُتحدِثت أثناءها خريطة صحية لسورية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وبنك الاستثمار الأوروبي وجامعة ليفربول، نجم عنها إحداث مشافي بـ ٢٢٠ سرير في عدد كبير من المناطق بما فيها البوكمال والمالكية والقامشلي والحفة وبانياس والصنمين وبصرى وصلخد. وأحدِثت منظومة إسعاف متكاملة، واختصاصات طبية جديدة، وانطلقت الصناعة الدوائية وفق منهجية علمية ومعايير عالمية، وتحقق الاكتفاء الذاتي من الدواء الوطني بنسبة ٩١-٩٣٪. وارتفع برنامج التلقيح الوطني من ٣ إلى ١١ لقاحًا وشمل ٩٩٪ من الأطفال.

حصل على جوائز تقديرية كثيرة منها: جائزة المجلس الأعلى للعلوم، وجائزة وليم لور للأبحاث، وجائزة الإنجاز العلمي، وجوائز للتميز والتقدير والإنجاز الإقليمي، وجائزة من الصليب الأحمر الدولي.

وبالرغم من كثرة مهامه وثِقَلِ أعبائه، حرِص أيما حرص على الإسهام في وضع المصطلح الطبي. فآثر عدم التقيّد بوضع كلمة مقابل كلمة، بل اعتمد مبدأ شفافية المصطلح وجلاء فهمه وسهولة إدراكه، واتّبع إلى ذلك سبيل التيسير دون التشويه سعيًا لإيصال المفهوم الدقيق إلى طالب العلم، بما لا يؤدّي إلى الضياع المعرفيّ، وفي ذلك أصلًا مخالفة لوظيفة اللغة الأساسية في التعبير والتواصل. من هذا المنطلق اعترض على مصطلح «الاستماتة» مقابلًا معتمدًا لـ Apoptosis، إذ وجد فيه إبهامًا جعل المدلول يلتبس على الطلاب فيؤوِّله كلٌّ على هواه، واستبدل به «موت الخلية المبرمج»، ففهمها الجميع. وأذكر رأيًا لأحد طلابه القدامى بأنه من القلّة الذين تُقرأ كُتُبُهم بلغة عربية سلسة واضحة، لا تُشَمُّ منها رائحةُ ترجمة حرفية سقيمة، ولا تُثقِلُ على الطالب بألفاظ عسيرة على الفهم ومفاهيم عصية على الإدراك.

ومن جملة مساهماته الترجمية المشاركة عام ١٩٩٤ في إعداد النسخة الرابعة من المعجم الطبي الموحّد. كما ألّف أربعة كتب في التشريح المرضي العام والخاص. وعُني بالمصطلحات الطبية العربية اشتقاقًا وترجمة وتوحيدًا حين ترأس ثلّة من ستة أساتذة لترجمة كتاب روبينز Robbins في علم الأمراض، وكان منهم من درس في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وأوكرانيا وروسيا، مما صعّب المُهِمّة وجعل العمل مضنيًا. كذلك برز جهدُه العلميُ اللغوي حين كان رئيسَ تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الطبية، ولا سيما في عدد كبير من المقالات والدراسات المنشورة في مجلات محلية وعربية وعالمية.

وبعد، فقد انتخبنا الأستاذ الدكتور إياد الشطي لثقتنا بأنه سيكون عضوًا فاعلًا، لا بل محركًا نشطًا لجهود المجمع وعمل لجانه العلمية في إغناء العربية بفيض المصطلحات العلمية ولا سيما في العلوم الطبية الحديثة حيث التقدم متسارع إلى حد يكاد المختصون يعجزون عن اللحاق بركبه. ولا نروم من وراء جهودنا إلا صونَ اللغة العربية وإغناءَها وتجديدَ أساليبها في التعبير والبيان، من غير تحيُّفٍ لطبيعتها أو عدوانٍ على نسيجها المحكم المتين.

نبارك للزميل الكريم انضمامَه إلى القافلة، بل نبارك لأنفسنا وجوده بيننا. والله ولي التوفيق.

* * *

كلمة الدكتور إياد الشطي في حفل استقباله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

آية كريمة أجد فيها نفسي مُتَّبعًا أبويّ الكريمبن، رحمهما الله، وأعيش بها ذكرى زميل وحبيب، الدكتور محمد هيثم الخياط، أبي الحَمْد، رحمه الله، ووالديه الجليلين.

وكأني أرى الدكتور الخياط وهو يتبسّم عندما كان يتلوها، ويتذكر والده العلامة الجليل أحمد حمدي الخياط، رحمه الله، ويتذكَر رفاق والده الكرام، وكيف أتاحوا له أن يكون رفيقًا لهم، ومن بينهم والدي، العلامة أحمد شوكت الشطّيّ، رحمه الله.

ولد العلّامة الدكتور محمد هيثم الخياط عام سبعة وثلاثين، ونشأ في بيت علم وأدب، ومن جميل المقادير أن يشترك والده ووالدي بكثير من الصفات والمواقف، وأن يتصاحبا في مسيرة الحياة، فكلاهما أَحْمَد في الاسم وفي الأفعال وفي الأفعال، وُلد الأحمد الخياط قبل مطلع القرن العشرين بعام واحد، وولد والدي، الأحمد الشطي، في السنة الأولى منه، ودَرَسا في معهد الطب العثماني في دمشق، فتخرج الخياط مع نهاية الحرب العالمية الأولى عام ثمانية

عشر وتسعمئة وألف، ليُدّرِّس والدي في معهد الطب العربي قبل أن يتخرَّج عام واحد وعشرين، واستكمل الخياط اختصاصه في معهد لويس باستور في باريس ثم في برلين، بينما يمَّم والدي وجهه شطر فرنسا فدرس علم الصحة في جامعة مونبلييه وعلم النسج والأجنة في جامعة باريس والطب الشرعي في جامعة ستراسبورغ، وساهم الأحمدان في تأسيس كلية الطب في جامعة دمشق، ونقابة الأطباء في دمشق، ومنظمة الهلال الأحمر، ودَرَّس الأحمدان في المعهد الطبي العربي، وألَّفا لطلابه كتبًا قيمة باللغة العربية، ومنها «فن الجراثيم» الذي كتبه أحمد حمدي الخياط، ووصفه المرحوم رضا سعيد بأنه أول كتاب طبعه المعهد الطبي العربي، وكتب عنه العلامة أمين المعلوف في «مجلة المقتطف» القاهرية في مقال له: «ألبس المؤلف كتابه لباسًا عربيًّا بحتًا فلا شيء فيه من العجمة، مع أن معظم المصطلحات التي فيه أعجمية الأصل، إن هذا الكتاب نفيس جدًّا، فعسى أن يتحفنا أساتذة المعهد ولاسيما المؤلف بكثير منه»[1] كما صدرت للأحمد الخياط كتب أخرى في صحة الأسرة، مثل صحة البلوغ والزواج، وصحة الحمل والحامل، وصحة الطفولة الأولى، ومدخل فن الجراثيم، والجراثيم المؤذية، والجراثيم الطفيلية، وتذكرة الجراثيمي في مخبره، وفن الصحة والطب الوقائي، وموجز في الجراثيم، ومعجم مصطلحات الجراثيم. وألف الأحمد الشطي كتبًا في علم الأنسجة أو التشريح المجهري (الهيستولوجيا)، وعلم الجنين، والتشريح المرضي (الباثالوجيا)، والطب الشرعيّ، وتاريخ الطب وآدابه وعلومه. ثم تفرغ الخياط للمصطلحات العلمية والطبية يحررها ويصنفها في معجمات، وتنوعت اهتمامات والدي حتى بلغت مؤلفاته بضعة وخمسين كتابًا، وأطلق المعاصرون على الأحمدين وأمثالهما

(١) جذور كلية الطب في دمشق https://almasdarmedicals.com/ar-news-7.

لقب «أساتذة كل من قال في دمشق أنا طبيب»[٢].

وكم يَحِنُّ المرء لأيام الطفولة، عندما كانت الموسوعية سمة لازمة لأعيان ذلك الزمان، فكانوا يفتحون قلوبهم وقاعات بيوتهم كل مساء للعلماء ولطلبتهم، ويخصصون أيامًا للتفسير وأخرى للحديث وللفقه وللغة، وكان يطيب للأطفال، أمثالنا، أن يرحبوا بقدوم الزائرين، وأن يجلسوا بينهم، يسمعون ويعون ويحفظون الكثير مما يقال[٣]، كما كان الأطفال يقضون بعض أوقات اليوم في المكتبة، يتصفحون الكتب، ويقرؤون كل ما تصل إليه أيديهم. ولعل ذلك ما كان ينعم به الهيثم الخياط في طفولته، مع زيادة أنعم بها عليه والده الأحمد الخياط، رحمه الله، عندما آثر أن يتلقى طفله تعليمه الأولي في المنزل، فتعاهده مع زوجته البتول، حتى إذا بلغ السابعة من عمره، واقتنع بأن يبعثه إلى المدرسة الابتدائية، امتحنه المعلمون، فرأوا أن أقل ما يليق به أن يلتحق في الصف الرابع، ومن ثمّ كان من الضروري الحصول على استثناء من وزير المعارف من شرط استيفاء السِّنِّ، كما تقدَّم الفتى إلى امتحان شهادة عامة.

ولم يفّوت الأحمد الخياط على ابنه فرص اكتساب المعارف اللغوية والشرعية في المساجد وفي دور المشايخ، فدفعه إلى الشيوخ الثقات، وكأني أراه اليوم يلتفّ بظلام الأسحار لينطلق في الحارات الضيّقة والمتعرجة من داره في أعلى حارات المهاجرين إلى منزل الشيخ عبد

(٢) كتاب السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر، قال عنه الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – في كتابه (رجال من التاريخ) ص٤١٠.
.https://al-mktaba.org/book/1691/106

(٣) شذرات من ترجمة الشيخ ناصر الدين الألباني:
.https://www.alalbani.info/alalbany_misc_0089.php

الوهاب الحافظ المشهور بدبس وزيت، ليأخذ عنه التجويدَ والفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، فيتلقاه الشيخ بالبشر، ويخلع عليه من ألقاب الفقهاء «أبو حنيفة الصغير» ويتابع تلاوته المتقنة وهو يجثو على ركبتيه الساعات الطوال قبل أن يتابع سيره إلى قاعة الدرس. واستمر الهيثم الخياط على ذلك بعد أن التحق بكلية الطب، حتى توفي الشيخ قبيل سفر تلميذه إلى بروكسيل بوقت قصير.

وهكذا حفظ الهيثم القرآن الكريم برواياته وقراءته المسندة، وقرأ الكتب الصحاح في الحديث الشريف، وأمهات الكتب في اللغة والنحو والصرف، وتجويد مخارج الحروف، وأصبح مرجعًا في كل فنّ، وكأن الشاعر كان يقصده حين قال: هُوَ البَحرُ مِن أَيّ النواحي أَتَيتَهُ.

السيدات الجليلات والسادة الأجلاء:

كنت أظن أنني أعرف الدكتور الخياط كما أعرف نفسي، إلى أن تبينت صعوبة الإحاطة بهذا الجبل الشامخ بعد أن عزمتُ على إضاءة بعض جنباته بقَبَسات من سيرته، نعم لقد كان الهيثم رفيقي وزميلي، لكنه - والحقّ يُقال - كان أستاذي الذي ألقى على مسامعي دروسًا في كلية الطب، بل كنت وزملائي نتطلّع لرؤيته، مع محبتنا وتقديرنا لأساتذتنا، كلما اعتذر أستاذ منهم عن الحضور، فينيب الهيثم الخياط عنه، فتنشرح له الصدور، وتنفتح الأفهام والعقول، وقد كثر اعتماد أساتذتنا عليه، حتى كان في سنة دراسية واحدة يدرِّس في كل صف من صفوف الطب والصيدلة وطب الأسنان والتمريض، وقد كانت مكافأته على ذلك جزيلة، عندما التقى في كلية الصيدلة بالسيدة الفاضلة حرمه المصون دعد شاكر العاص، أم ولديه الحمد وعمرو.

تخرج من كلية الطب وتعين الهيثم الخياط معيدًا فيها، أصبح مَحَجَّة

يقصدها الباحثون في مختبرات كلية الطب، والمسؤولون في وزارة الصحة، وبَهَرَ الناس بشخصيته الفريدة التي تجمع، بتوازن دقيق، بين الطبيب والعالم والباحث، واللغوي والمفوَّه والمدقِّق، وطالب العلم الشرعي المتابع لدقائقه والمتصدي للحكم في نوازله. ويمكث الهيثم الخياط سبع سنوات أُخر قبل أن يوفد عام ستة وستين إلى جامعة بروكسل، ولعله خطف أبصار وقلوب الهيئة العلمية والإدارية في جامعة بروكسل حتى عَيَّنوه، بعد شهر واحد من التحاقه بها، في عضوية هيئة التدريس، وحصل على شهادة التأهيل العالي (L'agrégation) عام تسعة وستين، بعد أن ساهم بجدٍّ وكفاءة مع زوجه الفاضلة ومعارفها في تدعيم جهود الإغاثة للمنكوبين من حرب سبعة وستين. ولما عاد إلى جامعة دمشق أسس فيها سنة إحدى وسبعين قسم الطب المختبري ورأسه حتى سنة إحدى وثمانين.

وكان للهيثم مع اللغة العربية ومصطلحاتها العلمية سيرة محمودة، أهَّلته ليكون أصغر من استقبله المجمع سنًّا، فقد انتخبه مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق عضوًا عاملًا في جلسته السابعة من دورته المجمعية بتاريخ السابع من كانون الأول/ ديسمبر عام خمسة وسبعين، ليشغل الكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي، واستقبله المجمع في جلسة علنية عقدت في قاعة المرحوم الرئيس محمد كرد علي في بناء المجمع، في التاسع والعشرين من نيسان / أبريل عام ستة وسبعين، وقد افتتح الجلسة المرحوم الرئيس حسني سبح، وألقى خطاب الاستقبال المرحوم الدكتور شكري فيصل، وألقى فيه الدكتور الهيثم خطابًا مشهودًا، نشره في فاتحة كتابه «في سبيل العربية» بعنوان «العربية تتحدَّى»، وهكذا أصبح الهيثم الخياط عضوًا عاملًا في المجمع قبل أن يبلغ أربعين سنة.

وفي مسار متوازٍ كان للهيثم شؤونٌ أخرى، فقد اختير عام أربعة وسبعين مقرّرًا للجنة الخاصة للمصطلحات الطبية العربية التي أنشأها اتحاد الأطباء العرب لتنهض بإعداد المعجم الطبي الموحَّد، ثم مقرّرًا للجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية في منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، وانتخب عام ستة وسبعين رئيسًا لأربع لجان للمصطلحات تجمع بين أساتذة جامعيين وأعضاء مجمعيين، لصوغ وتوحيد مصطلحات العلوم الطبية، والكيميائية والنباتية والحيوانية، في إطار مبادرة قام بها بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة يوم كان رئيسًا لجامعة دمشق، كما انتخب في العام نفسه مقرّرًا للجنة المصطلحات في مجمعكم الموقَّر، مجمع اللغة العربية بدمشق، وتواصلت مسيرة الهيثم باختياره رئيسًا للمكتب الإقليمي الإفريقي المتوسطي للكيمياء السريرية في ميلانو عام واحد وثمانين، وانضمامه لدور نشر تعنى بلغة الناشئة، فأصدر فيها سلاسل من القصص باللغة العربية، لتقوية لغة الأطفال، ثم انضم إلى منظمة الصحة العالمية سنة ثلاث وثمانين، متدرِّجًا في مناصب مكتبها الإقليمي لشرق المتوسط، ناهضًا بأعبائها الجسام على أكمل وجه، حتى أصبح نائبًا لمديره ثم كبيرًا لمستشاريه.

وقد انتُخب الدكتور الهيثم عضوًا مُراسِلًا في مجمع اللغة العربية الأردني، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية الهندي، وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم أصبح عضوًا عاملًا فيه عام أربعة وألفين.

فاعذروني، سيداتي وسادتي الأجلَّاء، إن عجز لساني عن البيان، ولم أفِ الهيثم حقه، فأنا في موقف عصيب، أمام رجل يصدق عليه القول[٤]:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(٤) البيتان منسوبان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في ديوانه.

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

ولو شئنا أن نُعَدِّد الموضوعات التي استُكْتِب فيها العلامة الهيثم الخياط، فكتب وأجاد، وحاضر فأدهش المستمعين، لاجتمع لدينا فهرسٌ لموسوعة الحياة بأجلى صورها، ولا يسعنا والحال هذه إلا أن نقف بعجالة على المعالم الرئيسية لسيرته المحمودة فنستفيد منها كما كنا نستفيد منه يوم كان بيننا.

والمحطة الرئيسية التي تستوقفنا هي **الحسّ الوطني العالي**، فقد بادر من موقعه مبتعثًا في بروكسيل أيام العدوان الصهيوني على البلاد عام سبعة وستين، إلى الاتصال بجميع شركات الإغاثة لحشد عتاد الإغاثة الطبية وشحنه بأسرع الطرق إلى دمشق، بتنسيق مع إدارات المستشفيات الجامعية والعسكرية ووزارة الصحة. وفي حرب تشرين التحريرية عام ثلاثة وسبعين، وفي أعوام الاستنزاف لطاقة العدو، كان رحمه الله دائم السهر على بنوك الدم من موقعه رئيسًا لقسم الطب المخبري في جامعة دمشق، وقد أهَّله تواصله الدائم مع المنظمات الدولية للعمل في منظمة الصحة العالمية عام ثلاثة وثمانين مستشارًا إقليميًّا لشؤون المختبرات في المكتب الإقليمي لإقليم شرق المتوسط في المنظمة، وتدرَّج في العمل الوظيفي في المنظمة حتى اختير عام ستة وثمانين مديرًا للإعلام الصحي والطبي، فأسس ورأس تحرير المجلة الصحية لشرق المتوسط فيها، وأصبح عام تسعين نائب المدير الإقليمي، والمدير التنفيذي للبرامج، ثم تبوَّأ في عام تسعة وتسعين منصب كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية حتى تقاعده، وقد كان طول عمله في المنظمة يولي بلده، الجمهورية العربية السورية، اهتمامًا شخصيًّا، ويتواصل مع الخبراء والإداريين لتنسيق وتسهيل الإجراءات.

السلطان الجماعي والضرورة العلمية:

ترك الدكتور الخياط بصمات واضحة في اللغة العربية والتعامل مع

المصطلحات العلمية فيها، فأبدع في نظرية **السلطان الجماعي** وأجاد في إظهار **الضرورة العلمية**، وهو يبسّط الأمر بقوله: نقل علماءُ العربية عن الخليل أنَّ لهذه اللغة الشريفة أصلًا كان عليه بنيانُها، وقالوا: إن «واضع اللغة» أو «الجماعة اللغوية» بسطت سلطانها لما أرادت صَوْغ لغتها، فاسْتَبْقَت ما تآلف منها، ورَفَضَت ما تنافَر منها، واصطفت منها أصولًا، ثم مضى زمان طويل وهي - الجماعة اللغوية - تراقب ما كَثُر استعماله منها، وتتبيَّن ما يحتاج إلى التغيير، فتضطر الجماعة اللغوية جميعها، أو يضطر بعض أفرادها إلى ذلك التغيير بسبب الضرورة. فإذا خرجت الجماعة اللغوية على تلك الأصول، كان خروجها مقبولًا، بل إنه يَحِلُّ محلَّ الأصل، أما إذا خرج بعض أفرادها كان خروجهم ضرورة.

وقبل الحديث عن الضرورة العلمية، يجدر التذكر بأنَّه شاع عند سَلَفَ هذه الأمة ضرورتان:

الضرورة الأولى **ضرورة شرعية**، وهي خروج على القواعد النافذة لوجه **الخير**، فإذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، فإن الضرورة تبيح المحظورات جلبًا لمصالحها، مثل إباحةِ الإفطار في رمضان للمريض. والضرورة الثانية **ضرورةٌ شعرية**، وهي خروج على القواعد النافذة وعلى الأصل الذي تصوره العرب لبنيان لغتهم التماسًا **للجمال**.

والجديد الذي جاء به الدكتور الخياط هو الضرورة الثالثة، وهي **الضرورة العلمية**، وهي خروج على القواعد النافذة لوجه **الحقيقة**، أو خروج على القياس أو على المستوى المطَّرد من استعمال الجماعة اللغوية ضمانًا **للدقة العلمية، وتخفيفًا** للعبء الذي يكابده صائغ المصطلحات العلمية العربية عندما يحاول التغيير الصحيح عن دلالة علمية تعرض له، فيستفيد من الرُّخَص التي

تتيحها قوانين اللغة، وتحفل بها أمهات التراث اللغوي العربي الأصيل، مثل كتاب سيبويه، وكتابَيْ الخصائص والمحتسب لابن جني، والمغني ابن هشام، والكامل والمقتضَب للمبرِّد، وخزانة الأدب للبغدادي، والاقتراح وهمع الهوامع للسيوطي، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، والتلخيص لأبي هلال العسكري، كما يستفيد من أمهات المعاجم اللغوية.

وتنحو الضرورة العلمية نحو اتجاهَيْن متقابلَيْن؛ الاتجاه الأول هُوَ الخروج على الأصيل الذي سَنَّتْه الجماعة اللغوية، والاتجاه الثاني هُوَ العوْدَةُ ببعض ما أخرجَتْهُ الجماعةُ اللغوية عن أصله إلى الأصل الذي كان عليه، ومقصد هذين الاتجاهَيْن واحد وهو توحيد المصطلحات.

وقد أشار الدكتور الخياط إلى القضايا الأساسية التي يشترك بها الاتجاهان السابقان (الخروج على الأصل، والعودة إلى الأصل)، وهي: قضية اختلاف اللغات وأنها كلها حجة؛ فلا يُخَطَّأ من مال إلى أي منها، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه، وقضية القياس على الحديث الشريف، وقضية التصرُّف في النسبة؛ للتفريق بين منسوب ومنسوب، وقضية المُعْرَّب والدخيل؛ واعتبار الكلمة الأعجمية إذا عُرِّبَتْ عربيّةً، وما يُبْنى على ذلك من عدم التقيُّد بأوزان مخصوصة دون غيرها، وعدم إدخال حروف غير عربية، واختيار أسهل الألفاظ نطقًا، ونقل الألفاظ بحروفها، وتضمين فعل معنى فعل آخر، وتشبيه الحرف بالحرف (حَمْلًا أو توهُّمًا)، والتماس المصطلحات في كتب الأدب والعلم وعدم الاقتصار على التماسها في المعاجم، وإخضاع المعاجم إلى مراجعة علمية دقيقة.

تعريب العلوم والمعجم الطبي الموحّد:

توثَّقت صلة الدكتور محمد هيثم الخياط **بالمصطلحات العلمية والطبية والكيميائية** منذ كان فتى يحمل الرسائل بين والده رحمه الله وبين الطبيب

الجراح مرشد خاطر، وهما يتبادلان المشورة حول ما يصادفهما من مصطلحات يدرجونها في الموسوعة الطبية التي عقدا العزم على كتابتها، وصدر الجزء الأول منها بعنوان «معجم العلوم الطبية» عام أربعة وسبعين، وكان الفتى يبدي أحيانًا، على استحياء، بعض الآراء، وكان الشيخان الجليلان يتقبَّلان بعضًا من تلك الآراء، حتى إذا حان وقت تخرجه من كلية الطب وهو في الحادية والعشرين من عمره، اختار عنوان رسالته «الكيمياء السريرية العامة»، وأعدها في نحو خمسمئة صفحة، وسجل في مقدمتها مذهبه في تعليم العلوم باللغة العربية وفي صوغ المصطلحات.

ويبدو للكثيرين ممن عرفوا الدكتور محمد هيثم الخياط أن رسالته الأولى في الحياة **هي تعريب العلوم وتوحيد مصطلحاتها**، وأن الحديث عنها كان المفتاح للتواصل معه، أينما حلَّ في مسيرته الوظيفية، وكان لا يوفِّر جهدًا في بذل النصح لزملائه وأساتذته في جامعة دمشق حول المصطلحات، حتى إذا حلَّت أيام الوحدة بين القطرين المصري والسوري، اختير الدكتور هيثم عضوًا في لجان التعريب بالمجلس الأعلى للعلوم، فكان يتردَّد على القاهرة كثيرًا ويعمل مع عددٍ من أعلام الأساتذة المصريِّين، ثم اختير عضوًا في لجنة توحيد المصطلحات التابعة لاتحاد الأطباء العرب سنة ستٍ وستين، وشارك في جلساتها جميعًا حتى صدور الطبعة الأولى (الإنكليزية - العربية) من **المعجم الطبيّ الموحَّد** في عام ثلاثة وسبعين، ثم اختير مقرِّرًا لتلك اللجنة بعد توسيعها ورعاية المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط لها، فصار اسمها «لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية في منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط»، حتى صدرت الطبعة الثالثة من المعجم الموحَّد سنة ثلاث وثمانين، مُنقَّحةً ومزيدة ومزوَّدةً بالمقابلات

الفرنسية إضافةً إلى مداخلها الإنكليزية، وقد أشرف الدكتور الخياط شخصيًّا على صدورها عن دار ميدليفانت في سويسرا.

وبعد عمل الدكتور الخياط في منظمة الصحة العالمية، أنشأ وحدة المصطلحات، ورعاها حق رعايتها في ظل البرنامج العربي العالمي للمنظمة الذى كان يديره، وواصل سعيه لتطور المعجم الطبي الموحد حتى صدرت الطبعة الرابعة منه في مطلع الألفية الثالثة، وضمت ما يزيد على مئة وخمسين ألف مصطلح بلغات متعددة وبشروح مقتضبة وصور توضيحيه، وبإخراجات إلكترونية وأخرى ورقية.

واليوم يعتبر الكثير منَّا أنّ المعجم الطبي الموحَّد خطوة نحو الوحدة العربية، وصورة مصغرة لها، لِمَا أسهم به في نقل العلوم الصحية والطبية إلى اللسان العربي، وفي التفاعل بين تلك العلوم وبين الفكر العربي، وتسهيل استيعابِها لدى العامَّة والخاصَّة.

وقد دأب الدكتور محمد هيثم الخياط طول حياته على تقديم الدعم لمشاريع **التعريب** بأشكالها كافة، كما قدَّم لوزارة التعليم العالي السوداني الكتب الدراسية والمعونات المادية لشراء المراجع الطبية، وأهداها خطَّ طباعةٍ متكاملًا ليسهل عليها إنتاج الكتب على الصعيد المحلي، ودعا الكثير من أساتذة الجامعات لزيارة الكليات العملية في جامعتي دمشق وحلب للاطلاع على التعليم بالعربية وممارسته ميدانيًّا ولو لأيام معدودات، وأهدى الجامعات الكثير من الكتب الدراسية التي أنتجها البرنامج العربي العالمي الذي كان يشرف عليه.

منهجية العمل في صياغة المصطلحات:

كانت فوضى المصطلحات من أعتى المشكلات التي واجهت حركة نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية، وقد قدّرها الدكتور الخياط حق قدرها،

ورسم منذ بداية عمله في التدريس في كلية الطب في جامعة دمشق خطة حصيفة لمعالجتها، وقدم خطته إلى المجمعيّ الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة، يوم كان رئيسًا لجامعة دمشق، قبل أن يصبح مديرًا مساعدًا للمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة، وتضمَّنت تأليف لجان لتوحيد المصطلحات على مستوى القسم لإعداد قوائمَ بأكثر المصطلحات ورودًا في مواد التدريس، وعرضها على لجان لتوحيد المصطلحات على مستوى الكلية، في الجامعة الواحدة، ولجان أخرى على مستوى الأقسام المتماثلة، ثم على مستوى الكليات المتماثلة، في الجامعات المختلفة، ثم الطلب إلى مجمع اللغة العربية في دمشق أن يكون الحَكَمَ في توحيد المصطلح العلمي كله، فوافق الدكتور عبد الرزاق قدورة، على الخطة، وعهدَ إلى الدكتور الخياط أن يجتمع باللجان المختلفة لمناقشة مصطلحاتها، وغربلة الألفاظ المشتركة التي تُسْتَعْمَلُ في دلالات متعددة، واجتمعت تلك اللجانُ، ولاسيِّما تلك التي على مستوى القسم، وكان لاجتماعاتها فائدةٌ كبيرة في توحيد مصطلحات الكيمياء وعلم الحيوان والنبات.

وعندما أتم الله على يدي الدكتور الخياط المعجم الطبي الموحد بطبعاته المختلفة، رأى الكثير من اللغويين والباحثين والمصطلحيين في منهجيته أهمية تضاهي متن المعجم، إن لم تتفوق عليها، وتتلخص تلك المنهجية بأن لجنة إعداده قَدْ سارت في عملها مستهديةً بما سار عَلَيه السابقون من النَقَلَة في صدر الإسلام والتابعون لهم بإحسان حتى عصر النهضة الحديثة، وبما وضعته مجامع اللغة العربية من قواعد وقرارات، وبما اتخذه الذين علَّموا الطب في العصر الحديث باللغة العربية من ضوابط ألزموا بها أنفسهم وساروا عليها.

فمِمّا سار عَلَيه النَقَلَة الأقَدْمون: تحوير المعنى اللغوي القَديم للكلمة العربية، وتضمينها المعنى العلمي الحديث، واشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معرَّبه للدلالة على المعنى الجديد، وترجمة كلمات أعجمية وعَدُّها صحيحة، والاستمداد مما وضعته الجامع، ولا سيما مجمع القاهرة، والتوسع في المولَّد من الكَلِم، ولا سيَّما ما جرى فيه المولّدون على أقيسة كلام العرب، من مجاز أو اشتقاق، مثل اصطلاحات العلوم والصناعات، والحكم عليه أنه عربيٌ سائغ، وإجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم، والاتفاق على قياسية عدد من الصيغ الاشتقاقية المهمة كصيغة فِعالة للحرف أو شبهها، وصيغة مَفْعَلة للمكان الذي تكثر فيه الأعيان، وصيغَتَيْ فُعَال وفَعَل للمرض، وصيغة فَعّال للاحتراف أو ملازمة الشيء، وصيغة فَعَلان لما يدل على تقلب واضطراب، وإقرار قياسية المصادر الصناعية، بأن يُزاد على الكلمة ياء النسب والتاء، وإجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان في لغة العلوم، وتفضيل العربِيّ على المعرَّب، وتفضيل المصطلح العربي القَديم على الجديد إلا إذا شاع الجديد، وتفضيل الكلمة الواحدة على الكلمتين فأكثر إذا أمكن، وتفضيل الترجمة الحرفية، والاقتصار في المصطلحات العلمية والفنية على لفظ واحد خاص لكل معنى، واستعمال لا النافية مركبة مع الاسم المفرد إذا وافق هَذا الاستعمال الذوق ولم ينفر منه السمع، وجواز النحت والتركيب المَزْجيّ عندما تُلجئ الضرورة العملية إليه، وجواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، وترجمة اللاحقة الدالة على التشبيه بالنسب مع الألف والنون. وفي التطبيق العملي، كانت اللجنة تعمد قبل كُلّ شيء، إلى تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، من بين الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية، أو المستعملة في الكتب العلمية القَديمة، مُفَضِّلَةً في ذلك الصالح من الأقَدْم على

الصالح مما يليه في القِدَم، ابتداءً بأطباء العرب الأقَدْمين في صدر الحضارة العربية الإسلامية كالرازي وابن سينا وعلي بن العباس، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم في مشرق الدولة العربية الإسلامية ومغربها، ثم ما استعمله الأساتذة التُّرْك في عهد الدولة العثمانية، إذْ كانت مصطلحاتهم كلها عربيةً أو تكاد، ثم ما استعمله أساتذة الجامعة في كلية الطب في أبي زعبل ثم قصر العيني زَمَنَ محمد علي، ثم ما استعمله أساتذة الجامعية الأمريكية في بيروت أيامَ كانت تدرّس الطب بالعربية، ثم ما استعمله أساتذة الجامعة السورية في مطالع هَذا القرن، ثم ما أَقَرَّهُ مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وإذا كان اللفظ الأعجمي جديدًا لم تجد له اللجنة مقابلًا في لغة الضاد، ترجَمَتْهُ بمعناه كُلَّما كان قابلًا للترجمة، أو ابتَكَرَتْ له لفظًا عربيًّا مقاربًا بالاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المَزْجيّ، مستأنِسَةً في ذلك كله بما ابتكره السلف، فإذا تعذَرَ وضع لفظٍ عربي عمدت اللجنة إلى التعريب. هذا إلى جانب أسس عملية وتفصيلية، وإسناد مصادر المسائل.

لغة القرآن:

لغة القرآن هو عنوان جامع لتوضيح رؤية الدكتور الخياط بأن من الضروري التعمُّق في اللغة العربية، وتحكيم العقل، والتفقه في الشريعة، قبل أن يتصدى المرء لإطلاق الأحكام. ولتوضيح هذه الرؤية ألقى الدكتور الخياط سلسلة محاضرات في جمعية الحوار في مدينة نصر في القاهرة، وجلُّ المستمعين من المهتمين باللغة العربية من طلبة العلم في الأزهر الشريف ومن الباحثين في كليات اللغة العربية، واستعرَضَ فيها معهم كيف فهم أصحاب الرسول ﷺ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، آيات وألفاظ وعبارات القرآن الكريم، وكيف استجابوا لها انطلاقًا من فهمهم لها، ومِنْ إلباسها ثوبًا عصريًّا

يخرج بها عن سياقها. والعناوين والمفاهيم التي تناولها الدكتور الخياط في محاضراته كثيرة، وأهمها: البشير والنذير، والقضاء والقدر، والغيب والشهادة، والريب والشك، والوسطية والتيسير، والقوامة والمسؤولية.

حَوْسَبَة المجامع:

حرص الدكتور الهيثم على تسجيل جميع ما أصدره مجمع القاهرة من مصطلحات عملية وفنية، منذ بدء نشاطه عام أربعة وثلاثين، في قاعدة بيانات تتيح البحث فيها عن المصطلحات في التخصصات المختلفة، وألحَّ على المجمع لقبول هدية من البرنامج العربي العالمي تضم عددًا من الحواسيب المتقدّمة وملحقاتها. وقد أهدى مثل ذلك لمجمعكم الموقَّر، مجمع اللغة العربية بدمشق. وكان، رحمه الله، يحرص على متابعة المشاريع التي يبتكرها، حتى إذا نجحت أنشد:

مُنًى إن تكن حقًا تكن أعذبَ المنى وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغْدًا

الكتابة المبسَّطة للناشئة:

عاش الدكتور الخياط حياته كلها نَفَسًا نَفَسًا باللغة العربية، يحلم بها ويعمل لها ويدعو لنصرتها بأقواله وبأفعاله، وما إن سنحت له الفرصة ليسهم في إغناء لغة الطفل حتى سارع إلى ذلك، فكتب وراجع قصصًا جميلة أُعِدَّت خِصِّيصَى للأطفال، بلغة قصصية شائقة، وزيَّنها بالرسوم الملوَّنة الجميلة، وراعى فيها أن تتناسب مع عمر الطفل، ولعلَّه كان يكتب لابنيه الحمد وعَمْرو. فأصدر سلسلةَ «من الخيال إلى المعرفة»، وقصصها موجَّهة للأطفال ما بين الثالثة والسادسة من العمر، وهي حكايات مبتكرة تقوم كل حكاية منها على شخصية مُحَبَّبة لها القدرة على اختراق العوالم العجيبة

والتحاور مع سكانها، فيكتسب الطفل التعرف على المفاهيم، ويضاعف ثروته اللغوية، ويسعد بالقراءة حتى يعتادها. ومن عناوين هذه السلسة : دُكَّان الزمن، وعالم الأرقام، وعالم الأضداد، وعالم الألوان.

كما أصدر سلسلة «من أقاصيص الطبيعة»، وهي كتيبات علمية أُعِدَّت على هيئة قصص قصيرة للأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة من العمر، بلغة سلسة وغنية بالمفاهيم وبالمفردات، ومُزَيَّنة برسوم جَذّابة، فيكتسب الطفل من قراءتها حب المطالعة ويتعرف على مئات المفاهيم ويختزن آلاف الألفاظ، ومن عناوين هذه السلسة: الزَّهرة الغريبة، وحكاية نحلة، وأقصوصة التفاح، وناسجة الحرير، والخضراوات، والحيوانات الثابتة الحرارة، والحيوانات المتغيرة الحرارة.

كما كتب وراجع سلسلة «زدني قربًا» و«موسوعة الشباب»، وهي مجموعة كتب موجَّهة لمن هم أكبر من الثانية عشرة.

صحة الأسرة؛ المرأة والطفل والمُسِنّ:

حظيت **الأسرة** بقسط وافر من اهتمام الدكتور الخياط، فكان يغتنم كل سانحة ليكتب ويحاضر حول حقوق المرأة والطفل والمُسِنّ.

وجمع الأفكار الرئيسة عن المرأة في كتابه «المرأة المسلمة ومشكلات العصر»، فعالج فيه المشكلات التي تواجهها المرأة في الوقت الحالي في ضوء تعاليم الإسلام الثابتة، فبدأ بالموروثات الجاهلية وما يرسخها في النفس والمجتمع، واستعرض الحركات النسوية، ومرجعية المسلم بشأن المرأة، فحصرها في القرآن الكريم والحديث الصحيح، ونبّه إلى فهمهما الفهم الصحيح، وتحدث عن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، وواجبات وحقوق كلّ منهما، والمساواة العادلية التي تراعي خصوصية المرأة، وتناول

مفهوم الجندر أو الجنس الاجتماعي في ثلاث دوائر؛ دائرة البيولوجيا ودائرة المجتمع ودائرة الأسرة. وذكر في كل دائرة أثر المرأة وأهمية دورها فيها، وأولى الحديث عن العلاقة بين الزوجين وعن ضمانات استقرار الأسرة عناية خاصة. وفصَّل القول في الأوضاع الاستثنائية للمرأة، وما قد يطرأ على الحياة الزوجية من تعدد الزوجات والطلاق والمخالعة، وهو يناقش كل ذلك ويوضحه من خلال شواهد القرآن والسنة وأقوال العلماء البارزين.

وقد نشر الدكتور الهيثم رسالة إلى نساء العالَم بمناسبة انعقاد مؤتمر المرأة العالمي الرابع في بكين عام خمسة وتسعين، للتذكير بمبادئ الإسلام الحنيف التي حرّرت المرأة ورَفَعت عنها إصْرَها والأغلال التي كانت عليها قبل خمسة عشر قرنًا، كما نشر إعلانات حول حقوق المسنين، وحقوق الطفل، وتحدَّث عن التربية الجنسية في برامج تلفزيونية وندوات تثقيفية، وعن الأمومة المأمونة وتعزيز صحة المرأة.

الوَسَطيّة:

اهتم الدكتور الخياط بتوضيح مفهوم الوسطية والابتعاد عن التطرُّف، وكان رائدة في ذلك ما يُؤْثَرُ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قولُه في خطبته يوم بُويع بالخلافة :

اليمينُ والشمالُ مَضَلَّة، والوُسطى الجادَّةُ.فأعاد القول بأن الأمة الإسلامية أمة معتدلة، تسلك في حياتها سلوكًا بشريًّا سويًّا يكون في مُكنة البشر أن يسلكوه، ميسورًا لا يطلب من الناس المُحال ولا ينفّرهم بالتعسير، وهي أمة أراد الله بها اليسر؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وأراد التخفيف عنها؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، وهي أمة تعترف بالآخر وتوطّد أواصر العلاقات المتبادلة معه وتنفتح عليه انفتاحًا إيجابيًّا،

وتعترف بحقه في الاختلاف. وشارك الدكتور الهيثم في كثير من المؤتمرات الدولية بمحاضرات قيّمة حول خطاب الآخر في القرآن والسنّة.

سلسلة الهدى الصحي:

وهي **سلسلة للتثقيف الصحي من خلال التعاليم الدينية**، صدرت عن البرنامج العربي العالمي الذي أشرف عليه الدكتور محمد هيثم الخياط، ومن أهم مواضيعها الحكم الشرعي في التدخين، وفقه الصحة، وإعلان عمّان لتعزيز الصحة باتباع أنماط الحياة الإسلامية، والماء والإصحاح في الإسلام، والصحة حَقًّا من حقوق الإنسان في الإسلام، والحكم الشرعي في ختان الذكور والإناث، وصحة البيئة في ميزان الإسلام، ودور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته، وأحكام الذبح والذبائح.

الأخلاق والمعاملات:

كثيرًا ما أبدى الدكتور الهيثم إعجابه بقول العلماء إنَّ **الأخلاق أهم من العبادات** في الإسلام، وإنَّ الجمع بينهما هو الأفضل والأكثر اتزانًا في الحياة، وقد كتب عن موضوع الأخلاق العامة، وعن الأخلاق الخاصة بالطب وبالصحة، ودعا إلى إصدار ميثاق إسلامي عالمي لأخلاقيات الطب والصحة، وإلى تصحيح التربية الأخلاقية لتواجه الأجيالُ تحدِّياتِ العصر، وتتحمل المسؤولية الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وتستفيد من التيار الجارف للعولمة، فلا يلحق بها إلا أقل قدر من الضرر، وتحافظ على الرصيد الصحي.

وكان الدكتور الخياط شديد الحرص على الأمانة العلمية، حتى إنَّه كتب في تقديمه لكتابه «في سبيل العربية»: وقد حاولتُ أن أُثْبِتَ ما تذكّرتُهُ من مصادرها، فوُفّقْتُ في ذلك في بعضها، وجانبني التوفيق في بعضٍ، بل ربما قبستُ عباراتٍ حفظتها لكثرة ما أُعجبْتُ بها فصرتُ أَعْتَدُّها مني عن غير ما شعور.

الكتب الدراسية الجامعية:

عندما ينشغل الأساتذة في جامعة دمشق عن متابعة أعمالهم في التعليم الطبي والصحي، يطلبون من زملائهم أن يحلّوا محلهم لفترة وجيزة، وكان الدكتور الخياط هو الملجأ الذي يجدون عنده حسن الاستجابة، ويأنسون من الطلاب حسن الاستقبال، ولا يلمسون لدى الإدارة ممانعة تذكر لما يعرفون من كفاءته وعلمه، ولا يعجب المرء بعد ذلك أن يجد بين مؤلَّفات الدكتور الخياط كتب التعليم في جامعة دمشق، متنوعة التخصصات، وكان يطيب له أن يسميها بالفصول، مثل فصول في الغذاء والتغذية، بالاشتراك مع الدكتور عدنان التكريتي والدكتور مروان محاسني رحمهم الله جميعًا، وفصول في الطفيليات الطبية، وفصول في الإحصاء الحيوي بالاشتراك مع الدكتور عدنان التكريتي، وفصول في الطب الوقائي، وفصول في الصحة والطب الوقائي، وفصول في الجرثوميات، وفصول في الكيمياء المرضية، وفصول في الكيمياء الحيوية بالاشتراك مع الدكتور نصوح القطب، وكتاب الممرضة والمختبر، وكتاب صحة الأمومة والطفولة بالاشتراك مع الدكتور أحمد ديب دشاش.

وبعد أن أسس الدكتور الخياط البرنامج العربي العالمي لمنظمة الصحة العالمية، بادر لإصدار سلسلة من الكتب تغطي منهجًا دراسيًّا متكاملًا، بدأها بالترجمة أو بالتأليف في العلوم الأساسية، فظهرت كتب في التشريح والجنين والأنسجة والفيزيولوجيا والكيمياء، والباثولوجيا والطب الشرعي والطب النفسي وتاريخ الطب، والإدارة الصحية وطب المجتمع، والتخدير، وعلم المصطلحات الطبية، وتعاون مع مراكز الترجمة والتأليف والنشر في الكويت ودمشق لاستكمال وتسريع وتيرة العمل.

الدروس الحَسَنِيَّة:

استجاب الدكتور الخياط لدعوة الملك الحسن الثاني، أمير المؤمنين في المملكة المغربية، ليلقي دروسًا في شهر رمضان، يحضرها كوكبة من العلماء والمشايخ والدعاة والقراء وأصحاب الفكر والثقافة والسلك الدبلوماسي من المغرب وخارجه طول أيام شهر رمضان، فاختار مواضيعها لتكون أقرب إلى قلوب الناس وأكثر تلبية لاحتياجاتهم، ويتضح ذلك من عناوينها: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، ودور المرأة المسلمة في الصحة والتنمية، والصحة الاجتماعية من منطلق إسلامي(البعد الاجتماعي للصحة وهو جلب مصالح العباد ودرء مفاسدهم)،والإسلام والوقاية من الأمراض، وصحة البيئة من منظور إسلامي، وتعليل العقائد والأحكام في الشريعة الإسلامية، إلى جانب دروس أخرى كان، رحمه الله، يلقيها في مساجد البلاد بتنسيق وزارة الأوقاف.

تحكيم القواعد العدلية في التعامل مع المصطلحات:

جمع الدكتور الخياط القواعد العامة التي يراها ضرورية في التعامل مع المصطلحات من موادِّ مجلة الأحكام العدلية، ومن أهمها: تركُ القديم على قدمه ما كان صالحًا وعدمُ العدول عنه إلا لمسوِّغ واضح ؛واستفراغُ الحقيقة بالاشتقاق بأنواعه وإلا فاللجوء إلى المجاز، والحرص على المصطلحات السهلة الميسَّرة المقبولة والبُعدُ قدر الإمكان عن الألفاظ المتوعّرة واعتبارُ استعمال الناس حجةً يجب العملُ بها، والبحث عن بديل مناسب لأي مصطلح يرفضه الجمهور، وإباحةُ المحظور في سبيل الضرورة العملية، وتنزيل الحاجة منزلة الضرورة.

وفي هذه القواعد تطبيقات عملية للأحكام الأكثر صلة بصياغة المصطلحات، مثل: الأصلُ بقاء ما كان على ما كان، والقديم يترك على

قِدَمِه، وما ثبت بزمان يُحكم ببقائه، وما لم يقم الدليل على خلافه يحكم ببقائه، والاجتهاد لا يُنقَضُ بمثله، والأصلُ في الكلام الحقيقة، وإذا تعذَّرت الحقيقة يُصار إلى المجاز، والمشقة تجلب التيسير، والعادة محكَّمة، واستعمالُ الناس حجةٌ يجب العمل بها، ولا يُنكر تغيُّر الأحكام بتغَيُّر الأزمان، والحقيقة تُترك بدلالة العادة، وإنما تُعتبر العادة إذا اطّردت أو غلبت، والعبرة للغالب الشائع لا النادر، والضرورات تبيح المحظورات، والضرورات تُقَدَّرُ بِقَدْرِها، والحاجة تُنَزَّل منزلةَ الضرورة عامةً أو خاصة. ولم يكن الدكتور الخياط يوافق الذين يريدون أن يُقَنِّنُوا المصطلحات تقنينًا صارمًا في قوالب جامدة لا يُباح الخروج عليها أبدًا، ويرى أن من الضروري إضافة قيد صغير وَهُو: (ما كان ذلك ممكنًا).

المجمع واللغة العربية:

شخَّصَ الدكتور الخياط في كلمته يوم استقباله في مجمعكم – مجمع اللغة العربية بدمشق – **التحديات التي تواجه اللغة العربية** بأنها الدعوة إلى إفساد اللغة باسم الإصلاح، والدعوة إلى أُمية اللغة باسم التبسيط، والدعوة إلى تهجين اللغة باسم التطور والنهضة، والدعوة إلى استعمال العامية في المسرح والسينما والإعلام، وانخفاض مُستوى تعليم اللغة العربية، واستبعاد اللغة العربية عن تعليم العلوم في الجامعات، وأن سبب ذلك هو تَرفُع الجامعيين عن المجتمعات التي إليها يَنتَمُون، مما يستبعد السمة الحضارية للتعليم الحديث وهي ديمقراطية المعرفة، ومُشارَكَة الشعب بجميع طبقاته في التَّعَلم والتعليم.

ورأى الدكتور الخياط أن **عمل المجمع لا يقتصر على وضع المصطلحات، بل أن يقود ركب التوعية والتنبيه ليحمل الفُصحى لغة التخاطُب العامَّة، ولغة التعليم، ولغة التوجيه، ولغة التثقيف، وأن يُعَرّف أبناء هذه الأمة بتراثهم.**

الدكتور الخياط والشعر:

لم ينشر الدكتور محمد هيثم الخياط ديوان شعر في حياته، ولكنه ترك قُصاصات كتبها في ساعات حاسمة من حياته المفعمة بالحيوية والأحداث الجِسام، والمأمول أن ييسر الله نشرها في مشروع الأعمال الكاملة، ومنها اخترتُ بضعة أبيات من قصيدة طويلة كتبها في الصحراء:

ها هُنا في هذه الصحـ ـــراء ديـــنُ ومُـــرُوَّهْ
هـا هنـا حـقٌّ وأمجـا د عِظَـــامٌ وأُبُـــوَّهْ
ومضـــاءٌ خالـــدٌ لـــم يعـرف التـاريخ صِـنْوَهْ
ذِكْرَيـاتٌ غَبَـرَتْ، فيـ ـــها علـى الأيـام نَشْـوَهْ
مِنْ هنا قد أشرقت في الـ ـــكون أنـــوارُ النُّبـــوَّهْ
من هنـا قـد أظهـرَ الإسـ ـــلام فـي الـدنيا سُـمُوَّهْ
رملُهـا المَجبـولُ بالـد مّ ينادينـــا بقـــوّة:
مـن يَـرُمْ مجـدًا بنـاه الـ ـمصطفى فَلْيَحْـذُ حَـذْوَهْ

ولعله كتب قصائد أخرى وهو يتبتَّل إلى ربه جل وعلا في جوف الليل، فكان عنوانها: مناجاة:

أنـا يـا مـولايَ عبـدٌ مُثْقَـلٌ بـذنوبٍ لـيس يُحصـيها عَـدَدْ
كلمـا أوليتَـهُ النُّعْمـى عَصَـى وتَمَـادَى وتـولّى وجَحـدْ
ما لَـهُ فـي كـلّ مـا قـد جـاءَهُ عمـلٌ فـي حسـناتٍ قـد يُعَـدّ
همُّـهُ فـي كـلِّ مـا أَحْدَثَـهُ راحـةُ البـالِ وترفيـهُ الجَسَـدْ
فَتَـلَ الشـيطانُ والشـرُّ لَـهُ في طريق الإثم حبلًا من مَسَدْ

دونَ سـلطانٍ عليـه لهمـا راحَ في إثرهما يسعَى.. وجَدّ
غَـرَّهُ العفـو... وأغـرَى نَفْسَـهُ فتمادى في الخطايـا واجتهـدْ

ولا أجد ما أختم به أفضل مما وَصَفَ به الدكتور محمد هيثم الخياط والده العلّامة أحمد حمدي الخياط، رحمهما الله، وهو وصف ينطبق عليه، فهو سِرُّ أبيه حقًّا:

كانَ رَحِمهُ الله رجلًا ساكنَ الهيبة، رقيقَ الحاشية، ساحرَ الابتسامة، رفيقَ اليد واللسان، حُلْوَ المنطق، خفيضَ الصوت، ذكيَّ العينين.. ولكنَّه كان قبل ذلك كله وفوقَ ذلك كله من الذين يؤمنون **بالعَمَلِ الصامِتِ الدَّؤُوب، ولذلك بَقِيَ مُبْتَعِدًا عن ضوضاءِ السياسة وبريقِ الأضواء، مُنْصَرفًا إلى عَمَلِهِ الجِدّيِّ في ما ينفع الناس.**

* * *

حفل استقبال
الأستاذ الدكتور عيد مرعي
عضواً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته المنعقدة في (١٣ شعبان ١٤٤٣هـ-١٦/ ٣/ ٢٠٢٢م) الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضوًا في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسيَّ الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد محفل، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرَّقم (١١٦) في (٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الأستاذ الدكتور عيد مرعي في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٣/ ٨/ ٢٠٢٢م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء المحتفى به.

افتتح الحفلة الأستاذ الدكتور محمود السيد رئيس المجمع بكلمة موجَزة رحَّب فيها بالسادة الحضور، مهنِّئًا الزميلَ المجمعيَّ الجديدَ، مباركًا انضمامَه إلى مجمع الخالدين.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور رفعت هزيم كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفى به، ونوّهت بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور عيد مرعي، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ الدكتور محمد محفل.

وننشر فيما يلي الكلمات التي ألقيت:

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس المجمع

السادة الحضور، أيها الحفل الكريم:

أسعد الله أوقاتكم كافة، وأحيكم أجمل تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعًا في استقبال الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء ١٣ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق السادس عشر من آذار ٢٠٢٢ الأستاذ الدكتور عيد مرعي عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وأصدر السيّد رئيس الجمهورية المرسوم ذا الرقم ١١٦، والتاريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٢ باعتماد انتخابه.

ويهنئ المجمع الأستاذ الدكتور عيد مرعي على ثقة زملائه به، واختيارهم له عضوًا جديدًا ينضم إلى المجمع ليسهم في أعماله في ضوء خبراته، وهو المتخصص بلغات الشرق القديم وتاريخه.

ورحم الله شاعرنا القائل:

من لم يعِ التاريخ في صدره ... لم يدرِ حلو العيش من مرّه

ومن وعى أخبار من قد مضى ... أضاف أعمارًا إلى عمره

أيها الحفل الكريم:

من المشروعات القومية التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» مشروع الكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية، وقد بدئ بتنفيذه في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي بتمويل من الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي رحمه الله، ولقد كلفني مدير المنظمة الإشراف على متابعة تنفيذه في النصف الأول من عقد تسعينيات ذلك القرن يوم أن كنت مديرًا لقطاع التربية في المنظمة، وكان الأستاذ الدكتور المؤرخ المشهور عبد العزيز الدوري رحمه الله هو المكلف وضع مفردات المشروع، واختيارَ الباحثين على الصعيد العربي على أن تكتب البحوث فيه بدءًا من العصر الجاهلي.

وفي اجتماع عقد للوقوف على ما جرى إنجازه من المشروع، وتذليل العقبات المعترضة بحضور ممثلي عدد من الدول العربية، اقترح ممثل المملكة العربية السعودية في الاجتماع ألا نقتصر في كتابة الكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية على البدء من العصر الجاهلي، وما علينا إلا أن نرجع إلى ما قبل هذا العصر، ذلك لأن الأرض العربية في شرقنا ما هي إلا رقائقُ من الحضارات منذ أن استوطنها الإنسان على ممرّ التاريخ.

وكانت وجهة نظره صحيحة، إذ إن أبناء الأمة ينبغي لهم أن يعرفوا تاريخ أجدادهم الموغلَ في القدم، وأن يعتزوا بتلك الحضارات القديمة، وإنجازاتها على مختلف الصعد، ويجيء في مقدمتها اختراعُ الأبجدية، وتعليمُها للآخرين على الصعيد العالمي، وها هو ذا العالم اللغوي الفرنسي (انطوان ميية) A Meillet يقول: «إن الذين اخترعوا الأبجدية، وحسنوا كتابتها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علوم

اللسان»، إذ إنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى هذه الخطوة الجبارة إلا بعد أن قاموا بثورة جذرية على الخط المسماري بعد أن تبين لهم عيوبُ الصورة المسمارية، فتركوها إلى ما هو أفيدُ منها، فبعد أن اخترعوا طريقة التمثيل الصوتي ابتكروا رموزًا خطية جديدة، أقاموها مقام المسمارية، وجعلوا لكل حرف صوتي صورة واحدة سهلة وبسيطة بدلًا من الخطوط المسمارية المعقدة، وبهذا خرجت الكتابة الأبجدية إلى الوجود أول مرة في التاريخ، ثم عمّ استعمالها فيما بعد.

وما تزال عبارة الشاعر الإسباني «أنطونيو غالا» راسخة في ذهني عندما استقبلته يوم أن كنت وزيرًا للثقافة، وحضر إلى مكتبة الأسد ليلقي بعضًا من أشعاره، وقال في بدء إلقائه: «أنا مدين لك يا أوغاريت بالفضل لأنك علمتني الأبجدية، ولولاك يا أوغاريت ما كنت شاعرًا».

وإذا كان شاعرنا الإسباني يقف أمامنا في المكتبة موجهًا كلامه إلى أوغاريت، ومبينًا فضلها عليه، فماذا عساه أن يقول شاعرنا السوري عمر أبو ريشة عندما وقف أمامها متسائلًا:

ما لي أراك كئيبة النظراتِ لم تتكلمي؟
هذا الذهول ينم عن ذاك الجوى المتكتم
وتكاد تسأل من أنا؟ ويكاد يخذلني فمي
أنا يا بنة الأمجاد مثلك واقف في مأتم
أنا من بقايا أمة هي والعلا من توأم
مرّت على الدنيا مرور القطر في الحقل الظمي
فتناقلت آيات رحمتها شفاه الأنجم

والواقع كان مقترح ممثل المملكة العربية السعودية في الاجتماع الذي عقدته إدارة التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مكانه، إذ لا يمكننا أن ننسى تاريخ أمتنا قبل العصر الجاهلي، وهو تاريخ به نعتز ونفتخر، ويجب ألا يقف تراثنا عند حد زماني أو مكاني يحصره في الأدب الجاهلي، وعلوم العربية، والتاريخ الإسلامي، وإنما تمتد أبعاده لتستوعب التراث القديم على امتداد الزمان والمكان، وتراثنا الحضاري أغنى من أن يحدّ بمرحلة حضارية واحدة، فمن حضارة بابل وآشور، ومن الفراعنة والأوغاريتيين، وغيرهم من بناة الحضارات القديمة، ومن الديانات السماوية ينحدر إلينا تراث ضخم هو جماع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ولقد عبر الشاعر المجمعي سليمان العيسى رحمه الله عن عراقة تراثنا عندما قال:

وأبعد نحن من عبسٍ ومن مضرٍ نعم أبعد
حمورابي وهاني بعل بعض عطائنا الأخلد
لنا بلقيسُ والأهرامُ والبرديُّ والمعبد
ومن زيتوننا عيسى ومن صحرائنا أحمد
ومنا الناس يعرفها الجميعُ تعلموا أبجد
وكنا دائمًا نعطي وكنا دائمًا نُجْحَد

وإذا كان تراثنا العربي يتسم بالعراقة والقدم، فإنه عبّر عن ذاته في عدد من الحضارات قبل أن ينصهر في حضارة عربية إسلامية ذات ثقافة واحدة شملت الأرض العربية كلها، وطبعت جوانب الحياة بالطابع العربي، وغدت هذه الثقافة عربية وإنسانية منفتحة على الآخر، ومحافظة على هويتها، ومستوعبة

العلـوم والفنـون والآداب، وجميـع ميـادين الفكـر، ووسـعت الأصـقاع التـي وصلت إليها في وقت واحد، ومن خلال لغة واحدة هي اللغة العربية.

ولا ريب في أن الآثار الباقية من الممالك القديمة على أرضـنا العربيـة فـي كل من تدمر، وعمريت وماري وإيبلا وأوغاريت تشـير إلـى العمـق الحضـاري لسورية، كما تشير إلى الإبداعات الحضارية، فعلى أرض سورية بـدأت الزراعـة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة، وكانت زراعة القمح قد عرفها إنساننا على أرضـنا لأول مرة في تاريخ البشرية، وفي سـورية جـرى اكتشـاف النحـاس فـي الألـف الخامس قبل الميلاد، ولقد أشرنا إلى أن اختراع الأبجدية الأولى إنما يدل علـى مسـتوى فكـري راق، قدمتـه أمتنـا هديـة للبشـرية، ونقلـت مـع الأبجديـة إلـى الآخرين المعرفة والقيم الإنسانية، والتعامـل الحضـاري، كمـا أثبتـت البحـوث والدراسات أن رَقيم أوغاريت الموسـيقي هـو أول تـدوين موسـيقي فـي تـاريخ البشرية، وأن الألعاب الأولمبية عرفت على أرض عمريت، وعليها أيضًا جـرت الاتفاقية بين الاسكندر المقدوني وملك الفرس.

ومـن أرض سـورية انطلقـت الرسـالات الإنسـانية، وعبرهـا انتشـرت الرسالات السماوية المسـيحية والإسـلامية تـروم الخيـر والمحبـة والسـلام للناس كافة، وتدعو إلى احترام كرامة الإنسان أنّى كـان، وفـي منـأى عـن أي تعصّب أو تزّمت أو طغيان.

ومن هنا تبدّت الثقافة عبر مسيرة مجتمعنـا العربـي عربيـة الطـابع، وغـدت الثقافات الأخرى روافد صبت في المجرى الكبير للثقافة العربيـة التـي أسـبغت عليها سماتها العربية، وطورتها، ولونتها بإبداعات بنيها، ثـم قـدّمتها إلـى العـالم لتوقد شعلة الحضارة البشرية عبر بوابات متعـددة. وهـذه حقيقـة يعتـز بهـا كـل إنسان مثقف في هذا العالم يتسم بالموضـوعية، حتـى إن بعضـهم أشـار إلـى أن

لكل إنسان في هذا العالم موطنين أحدهما مسقط رأسه، وثانيهما سورية.

ورحم الله الصديق المرحوم المغترب في الأرجنتين الدكتور فيصل النفوري الذي كان يدعو بمرارة إلى أن تقوم بعملية التنقيب عن الآثار السورية في تلك الممالك القديمة أطر سورية معدة وكفية لا أجنبية، ويؤكد إرسال المبعوثين السوريين إلى جميع أنحاء العالم التي تتيح تعرف اللغات العروبية القديمة، لأن ثمة تلازمًا قويًا بين تلك الآثار والنقوش والرسوم واللغة الموجودة عليها، وشتان بين تعرف تلك الحضارات القديمة من أبناء الأمة، وتعرفها من الباحثين الأجانب.

ولمعظم المجامع الأوربية إن لم نقل كلها- ولع باللغات الشرقية والمباحث الرائعة في آدابها، ومؤلفاتها، وتواريخها، وأسرار ارتقائها، وانحطاطها حتى كثر عندهم المستشرقون الحريصون على اقتناء الكتب الشرقية، ولاسيما المخطوطة، وأنفقوا على اقتنائها الأموال الطائلة، وأنشئت الجمعيات الشرقية لهذا الغرض، وعقدت المؤتمرات.

أما المؤتمرات التي بحثت في آداب اللغات الشرقية واللغة العربية، فأولها مؤتمر باريس سنة ١٨٧٣، ثم لندن، وبطرسبرغ، وبرلين، وهولندة، وباريس ثانية سنة ١٨٩٧، وروما، وألمانيا، والجزائر، واليونان ١٩١٢.

وكان ثمة موضوعيون منهم كانوا أمناء في تبيان الحق، ورده إلى أصحابه على الرغم من محاولات الصهاينة في طمسه، وإغراء هؤلاء الباحثين الأجانب بمختلف المغريات لإخفاء ما جرى اكتشافه في ممالكنا القديمة، وما محاولاتهم مع عالم الآثار الإيطالي الكفي «باولوماتية» عنا ببعيدة .

وتجدر الإشارة إلى أن الحفاظ على آثارنا القديمة واللغات المكتوبة بها أمانة في أعناقنا، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي عندما خاطب امرأ جاهلًا

يحاول إتلاف بعض الآثار، فقال له متسائلًا، وداعيًا عليه بشلّ يمينه:

أتتلفهـا؟ شـلّت يمينـك خلّهـا لمعتبـرٍ أو زائـرٍ أومسـائلِ
منـازل قـومٍ حـدَّثتنا حـديثهم ولم أرَ أحلى من حـديث المنـازل

تُـرى ومـاذا كـان عسـاه أن يقـول رحمـه الله أمـام هجمـات المجـرمين الجهلة في أيامنا هـذه الـذين دمـروا وطـنهم، وبعـض مؤسسـاته، ومشـافيه، ومدارسه، ومعاهده، وقتلوا بعضًا من علمائه، وارتموا فـي أحضـان أعدائـه، يستغيثون بهم لإحلال الدمار بعد أن امتلأت قلوبهم غِلًّا وضغينة ضدّ بعـض رموز ثقافتنا التـي بهـا نعتـز كنبوخـذ نصـر، وأبـي العـلاء المعـري، وبعـض الصحابة والصوفيين ... إلخ؟

ورحم الله الصديق الأثير الروائي القدير الطيّب الصالح، فقـد قـال لـي: (لو أن في الأدب البريطاني قممًا شامخة كأبي العلاء المعري والمتنبي وأبـي تمام لأقام لهـم البريطـانيون تماثيـل فـي كـل حديقـة وشـارع، إذ إننـي وأنـا المتخصص في الأدب البريطـاني لا أجـد مثيلًا لهـم فـي الإبـداع والتحلـي بالقيم الإنسانية والمناقب الرفيعة).

أيها الحفل الكريم:

إنّ اللغات القديمة في شرقنا العربي أطلق عليها اسم «اللغات السـامية»، أو مـا يعـرف باللغـات الأفروآسـيوية، وكـان المـؤرخ الألمـاني «أوغسـت فـون شلوتسر» أول من استعمل مصطلح «اللغات السامية»، وموطنها بلاد الرافـدين، وبلاد الشام والجزيرة العربية، وشمال إفريقيَّـة، وهـي مـن أقـدم لغـات العـالم، وهناك كتابات مدونة باللغات السامية منذ نحو خمسة آلاف سـنة قبـل المـيلاد، ولقد توزعت إلى أربع مجموعـات حسـب موقعهـا الجغرافـي، وهـي: شـمالية

شرقية، وشمالية غربية، وجنوبية وسطى، وجنوبية:

المجموعة الشمالية الشرقية، وتضم لغة واحدة هي اللغة الأكادية، وهي أقدم لغة سامية ثبت وجودها من خلال النصوص المسمارية، وموطنها بلاد الرافدين في بابل وآشور.

المجموعة الشمالية الغربية، وتضم اللغات العمورية والأوغاريتية والكنعانية والآرامية، وتعد اللغة الفينيقية من أهم اللغات الكنعانية القديمة، وقد وجدت في لبنان وسورية وفلسطين وقبرص.

أما اللغة العبرية فهي لغة «العهد القديم»، وقد تلاشت هذه اللغة بوصفها لغة محكية بين القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، وحلت محلها اللغة الآرامية، وأعيد إحياؤها بشكلها الجديد بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

واللغة الآرامية انتشرت انتشارًا واسعًا من أفغانستان إلى مصر، وحلت مكان معظم اللغات السامية القديمة بما في ذلك الأكادية والعبرية.

أما السريانية، فهي إحدى لهجات اللغة الآرامية الشرقية.

المجموعة الجنوبية الوسطى، وتضم اللغتين العربية والنبطيَّة.

وتعد العربية أهم لغة سامية على الإطلاق، وموطنها الأصلي شمال الجزيرة العربية، وتعد ثاني أكبر أبجدية استعمالًا في العالم بعد الأبجدية اللاتينية، وتستعمل في كتابة عدد من اللغات الأخرى مثل الفارسية والأوردية.

وشتان بين اللغة العبرية واللغة العربية، ومع ذلك فإن الكيان الإسرائيلي عمل على سيرورة اللغة العبرية، وانتشارها، واعتمادها في شؤون الحياة كافة، والتعليم بجميع مراحله، ويثني الأمريكيون على عملهم هذا أمام مسؤولين عرب، في الوقت الذي يعملون فيه على إبعاد العربية، وإحلال لغتهم الإنجليزية مكانها.

المجموعة الجنوبية، وتضم اللغات العروبية الجنوبية واللغات الأثيوبية.

استمدت أبجديتها من اللغة الكنعانية التي جاءت إلى منطقة جنوب الجزيرة العربية، وتفرعت عنها عدة لهجات أهمها السبئية والمعينية والحضرمية. أما اللغات العروبية الجنوبية الحديثة، فهي لغات غير مكتوبة، وقد حلت العربية مكانها.

واللغات الأثيوبية هي أقرب إلى اللغات العروبية القديمة التي انتشرت في جنوب الجزيرة العربية نحو ١٥٠٠ ق م.

ويقول ابن حزم في تراثنا العربي: «إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة، لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها». وهذه اللغات الثلاث هي المسماة بالسامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وسبب هذه النسبة كونُ أكثرِ المتكلمين بها من نسله، وقد نشأت هذه اللغات من أصل واحد، وهي اللغة الآرامية نسبة إلى آرام أحد أبناء سام.

وقد عني مستشرقون عدة باللغات السامية من أمثال: انطوان مايية، ونولدكة، وبروكلمان، وبارت، ووليم رايت ...إلخ، وعني بدراستها أيضًا نفر من أبناء العروبة من الباحثين العرب. منهم الدكاترة: إبراهيم السامرائي، وحسن ظاظا، ومحمود فهمي حجازي، ورمضان عبد التواب، ومراد كامل، وربحي كمال، ومحمد محفل.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة صعوبة في البحث في اللغات القديمة، وتتجلى هذه الصعوبة في الغوص على دررها، ويخيل إلى الباحث فيها أنه في بحر لا تقتحم أمواجه، ولا تركب أثباجه، ولكن الإصرار على البحث والتنقيب يبعث إلى تسنم هذا الغارب، وكان الأستاذ الدكتور عيد مرعي

الباحث الذي تسنمه على الرغم من عمق الأغوار، وخطر الإبحار.

ومن نعم الله على مجمعنا أن كان كلٌّ من الأستاذ الدكتور عيد مرعي، والأستاذ الدكتور رفعت هزيم متخصصًا بهذه اللغات القديمة، وسيتحدث الدكتور مرعي عن سلفه الأستاذ الدكتور محمد محفل رحمه الله الذي سيحل محله في المجمع، بعد أن يقوم الزميل الكريم الأستاذ الدكتور رفعت بتقديم مسيرة الدكتور مرعي العلمية بالتفصيل، فليتفضل الدكتور رفعت مشكورًا بتقديم ذلك.

* * *

كلمة الأستاذ الدكتور رفعت هزيم
عضو المجمع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأستاذ الجليل رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

فقد استقبل مجمعنا مجمع اللغة العربية بدمشق في الأسابيع الأخيرة أربعةً من الأعضاء العاملين الخمسةِ الجدد الذين اختارهم من عُصَب الفصحى الذين يتعصّبون لها ويلتفّون حولها ويرفعون منارتها فتقوى بهم وتشتدّ، وسيكونون إن شاء الله عونًا لزملائهم المجمعيين الذين سبقوهم من تلك العُصَب في الصحو من إغفاءة المجمع التي كان لها أسبابها، ومنها: جائحةُ الكورونا، وانتقالُ سبعةٍ من أعضائه بين عامي ٢٠١٨ و٢٠٢١ إلى دار الخُلد، تغمدهم الله برحمته الواسعة سَعةَ ما قدّموا للغة القرآن الكريم، وها نحن أولاء نستقبل اليوم العضو الخامس، فمن هو ؟

وُلد عيد سعيد مرعي عام ١٩٥٤ في قرية زعورة في الجولان الحبيب ردّهُ اللهُ إلى حمى الوطن، حيث كان سكان دمشق حتى وقوع النكسة عام

١٩٦٧ كثيرًا ما يقضون أيام الإجازة في أحضان حقوله التي انتشرت فيها أشجارُ البطم والبلوط والزعرور والسنديان، وأحاطت بها الجبالُ والتلال، وجادها الغيث مع حوران، وفاحَ بها شذا الورد والأقحوان، فيتذكرون أيام الغساسنة، وينشدون وصف حسان بن ثابت تلك الربوع:

انظر خليلي بِبَابِ جلّقَ هل تُؤنسُ دون البلقاءِ من أحدِ؟
مِن دون بصرى وخَلفها جبلُ الثْـ ... ـثَلْجِ، عليه السحابُ كالقَددِ

وينشدون رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن الحارث ملك الغساسنة بعد أن دُفن في حوران:

سقى الغيثُ قبرًا بين بصرى بغيثٍ من الوسميّ قَطْرٌ ووابلُ
بكى حارثُ الجولان من فقدِ ربِّهِ وحورانُ منه موحشٌ متضائلُ

فلمّا أنهى الفتى دراسته الجامعية بالحصول على الإجازة في التاريخ من جامعة دمشق لم يرغب في أن تكون دراسته العليا في دولٍ لغتها الإنكليزية أو الفرنسية لأن الوطن العربي من المحيط إلى الخليج عانى وما يزال من استعمارها، ولذا اختار ألمانيا التي جاء إمبراطورها غليوم الثاني إلى دمشق مطلع القرن العشرين ولم يكن غازيًا لها كما فعل الجنرال غورو بعده بعقدين، بل أتاها صديقًا زائرًا فاحتفى به واليها العثماني حسين ناظم باشا وأقام له في حي المهاجرين شُرفةً ليسهر فيها مع زوجته الإمبراطورة وينعما بتأمّل عاصمة الأمويين الساحرة في هدأة الليل، ومن الطريف أن الشرفة سُمّيت بعد ذلك «المِصطبة». وسافر صاحبنا إلى ألمانيا الغربية ونزل في مدينة فورتسبورج Würzburg على ضفاف نهر الماين إلى الشمال من ميونيخ عاصمة ولاية بافاريا، والتحق بقسم الأكاديات Akkadistik في جامعتها ليدرس فيه حضارة بلاد الرافدين تاريخًا وآثارًا ولغات حتى نال

درجة الدكتوراه عام ١٩٨٥. وعاد إلى الوطن ليكون عضوًا في هيئة التدريس في قسم التاريخ بجامعة دمشق حتى رُقي إلى درجة «الأستاذ» عام ١٩٩٨، وما يزال في عمله إلى اليوم. ولكن الأستاذ الدكتور عيد فعلَ ما فعله زملاؤه بالإفادة من الإعارة إلى الجامعات العربية، فبدأها بالتدريس في جامعة صنعاء عامًا واحدًا ١٩٩٦/ ٩٧، ثم قضى خمسة أعوام في كلية التربية في بيشة في السعودية (٢٠٠٠-٢٠٠٥)، ثم قضى عامًا واحدًا ٢٠١٠/ ١١ في جامعة الدمام في السعودية أيضًا.

أيها الحفل الكريم!

بدأ الأستاذ عيد بنشر الأبحاث والدراسات بعد عودته من ألمانيا، فأما ما كان منها مقالاتٍ فمعظمها في دوريّة «دراسات تاريخية» التي تنشرها جامعة دمشق و في دورية «مهد الحضارات» التي تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف. وأمّا الكتب فكان أوّلَ ما عرفته منها كتابٌ عنوانه «تاريخ بلاد الرافدين» أهداني نسخةً منه في نيسان عام ١٩٩٢ في تدمر ونحن نشارك في ندوةٍ أقامتها المديرية العامة للآثار والمتاحف، فكان ذلك فاتحة علاقة المحبّة والمودّة والزمالة بيننا التي انقضى منها اليوم ثلاثة عقود، وسأحدّثكم عن بعض محطاتها لأنها تنير مراحل من سيرته العلمية. كانت أولاها في شهر نيسان عام ١٩٩٤ عندما كنت رئيسًا لقسم اللغات الشرقية بجامعة اليرموك في الأردن الشقيق، فاستطعت بعون الله جمع المختصين باللغات القديمة في سورية ولبنان والأردن في أول ندوةٍ تضمّهم وتكون العربية لغتها بعنوان «الندوة الإقليمية الأولى عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الإسلام» لتوازيَ وتكمل ندوات زملائهم المختصين بالتاريخ والآثار مما يؤدّي إلى تمكّن ذوي الاختصاص في الحقول الثلاثة من الوصول إلى صورةٍ جليّة

لحضارة هذا الإقليم، وقد شملت بحوثُها النقوش والكتابات بالإغريقية واللاتينية أو باللغات الساميّة: الإبلاويّة والأمورية والأوغاريتية والفينيقية والعبرية والآرامية - بما فيها النبطية والتدمرية - والعربية الشمالية، وأوصى المشاركون الأربعون - وكان د.عيد أحدهم - في ختامها بأنْ تُعقد الندوة كلّ عامين بالتناوب بين الجامعات في الدول الثلاث. وكانت المحطتان التاليتان مشاركةَ كلينا في ندوتين نظمتهما المديرية العامة للآثار والمتاحف، إحداهما بعنوان «حلب وطريق الحرير» في حلب عام ١٩٩٤ والأخرى بعنوان «تاريخ الجزيرة السورية» في دير الزور عام ١٩٩٦. وشارك د. عيد في السنوات التالية أثناء عمله خارج الوطن في ندوات ومؤتمرات، ولكنني لم أجتمع به ثانيةً إلا في هيئة الموسوعة العربية بدمشق عام ٢٠١٤ وكنت عضوًا في اللجنة الخاصة بتصنيف إحدى موسوعاتها وهي «موسوعة الآثار في سورية»، حيث انضم د. عيد إلى اللجنة ليكون مسؤولًا عن الموضوعات التي تربط بلاد الشام ببلاد الرافدين فأصبحنا زميلين - ومعنا آخرون - في هذا العمل الممتع الذي يحتاج إنجازه إلى بضع سنين. فلمّا كان عامُ ٢٠١٦ أعلن مجمع اللغة العربية بدمشق عن جائزة يمنحها باسم مؤسّسه ورئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله، وكان الأستاذ عيد واحدًا من المتقدمين لنيلها، وشاء المولى - جلَّ وعلا - أن أتدخّل في هذا الأمر لأنني كنتُ أحد المحكّمين الذين اختارهم المجمع، وسأميط اللثام عن بعض ما جاء في التقرير الذي أعددته، قلتُ: «قدّم أ. د. عيد مرعي ستة كتبٍ ألّفها وكتابًا مترجمًا لينال بها جائزة الأستاذ محمّد كرد علي رحمه الله، وهذه عناوينها: تاريخ سورية القديم ٢٠١٠، و:رحلة في عالم الآثار: آثاريون ومدن أثريّة ٢٠١٠، و: اللسان الأكادي: موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها ٢٠١٢،

و: التقويم وحساب الزمن في حضارات الشرق القديم ٢٠١٤، و: تاريخ مملكة إبلا وآثارها٢٠١٥، و: عبادة آلهة الخصوبة في الشرق القديم ٢٠١٦، و: قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين لـ فينفريد إللينغر (وهو ترجمة عن الألمانيّة) ٢٠٠٨. وقد قرأتُ الكتب المذكورة بعنايةٍ وتمحيص، ومما كتبته في تقويمي لها: «ويتحقق المرء بعد قراءة الكتب الستّة أنّه في هذه الموضوعات كلها ابن بجدتها. ويُحمد له في تصانيفه كلها أمران ؛ أحدهما: الاستعانة بالخرائط والمخططات والجداول والصور ليصلَ القارئ بذلك إلى الغاية القصوى من الاستيعاب، والآخرُ: كتابةُ المصطلحات وأسماء الأعلام والآلهةِ والأمكنة كتابةً صوتية وبصيغها كما وردت في الأصل مما يجنّبها التصحيف والتحريف ويجعل قراءتها مؤكدة».

وقد أهداني بعد ذلك أربعة من الكتب، أولها: «معجم الآلهة والكائنات الأسطورية في الشرق القديم» عام ٢٠١٨ ، والثاني: «تاريخ لغات المشرق العربي القديم / اللغات السامية» عام ٢٠١٩، والثالث: «تاريخ المرأة في المشرق العربي القديم» عام ٢٠٢٠، وآخرها: «الأسطورة وفلسفة الحكم في حياة ملوك الشرق القديم» عام ٢٠٢٢.

أيها الأساتذة المجمعيون!

إذا كنا اليوم انتهينا من الاستقبال والاحتفال فعلينا أن نستأنف العمل بجدٍ ونشاط لمتابعة ما أنجزته عُصَبُ المجمع في مئة عام وتحقيقِ الأهداف التي وردت في المراسيم والقوانين المتعاقبة وآخرها المرسوم الجمهوري لعام ٢٠٠٨، وهي: المحافظة على سلامة اللغة العربية، ووضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، والعناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها، والعناية بإحياء تراث

العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقًا ونشرًا، والنظر في أصول العربية وضبطُ أقيستها، وابتكار أساليب ميسّرة لتعليم نحوها وصرفها.

والعجب - أيها السيدات والسادة - أنّ الفصحى قد سخرت من خصومها ولامت أبناءها العُصاة المخالفين قبل تأسيس المجمع، وقد روى لنا شاعر النيل حافظ إبراهيم ما قالته تعبيرًا عن أَنفتها وحَميّتها وعِزّتها:

رمَوني بعُقمٍ في الشباب وليتني ... عقُمتُ فلمْ أجزع لقولِ عُداتي
وسعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً ... وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظات
فكيف أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ ... وتنسيق أسماءٍ لمخترَعات
أيهجرني قومي عفا اللهُ عنهم ... إلى لغةٍ لمْ تتصلْ برُواة
سرتْ لوثةُ الإفرنج فيها كما سرى ... لعابُ الأفاعي في مَسيلِ فُرات
أنا البحر في أحشائه الدُّرُ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

فلنجعل هذه الأبيات الجميلة نشيدًا للمجمع، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة الدكتور عيد مرعي في حفل استقباله

إنه شرف كبير لي أن أكون عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق الذي يُعدُّ أقدم مجمع للغة العربية في الوطن العربي، إذ أسَّسَهُ عام ١٩١٩ الأستاذُ العلامة محمد كرد علي. وأنا ممتنٌّ جدًّا لجميع أعضائه الذين انتخبوني والذين لم ينتخبوني. ومما يزيد في سعادتي أني خليفة أستاذي المرحوم الأستاذ الدكتور محمد محفل الذي توفاه الله في الثاني من كانون الثاني عام ٢٠١٩. واسمحوا لي بداية أن أتحدث عن هذا الأستاذ الكبير الذي تعلمت منه غير قليل في مختلف ميادين المعرفة. فهو:

محمد كامل محفل: (حلب ١٩٣٨ - دمشق ٢٠١٩/١/٣)

مؤرخ ولغوي كبير حصل على الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم ولغاته من جامعة جنيف السويسرية. منحه الرئيس بشار الأسد وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة بالمرسوم التشريعي رقم ١٩١ تاريخ ٥/ ٦/ ٢٠١٢ تقديرًا لخدماته العلمية والوطنية. وقلَّدَتْهُ السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية إياه في ٢٠/ ٦/ ٢٠١٢.

بدأ الأستاذ الدكتور محمد محفل رحمه الله حياته في مدينة حلب مسقط رأسه، إذ تلقى تعليمه الابتدائي وشطرًا من الإعدادي في معهد الإخوة المريميين، الذي تعلَّم فيه اللغتين الفرنسية والإنكليزية. وتعلم في الوقت نفسه

اللغة العربية في حلقة الشيخ عمر المرتيني، وفي المدرسة الشرقية بإشراف الشيخ مصطفى اللبابيدي. انتقل بعد ذلك إلى مدرسة التجهيز الأولى بحلب، وحصل منها على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٤٩. ثم انتسب إلى المعهد العالي للمعلمين بدمشق، وحصل منه سنة ١٩٥٣ على الإجازة في التاريخ، ثم على دبلوم في التربية وعلم النفس وإجازة في التعليم الثانوي. عاد بعد ذلك إلى حلب ليُدَرِّس مادة التاريخ في ثانويات حلب في العام الدراسي ١٩٥٣-١٩٥٤. أوفدته الجامعة السورية (جامعة دمشق الآن) في أواخر سنة ١٩٥٤ إلى جامعة باريس للحصول على الدكتوراه في التاريخ القديم، وانتسب في الوقت نفسه إلى معهد اللوفر لدراسة اللغات الآرامية والإغريقية واللاتينية. لكن بعد مُضي سنتين من الدراسة في الجامعة، وحصوله على درجة الماجستير سنة ١٩٥٦، طلبت إليه السلطات الفرنسية مغادرة فرنسا بتهمة تأييد الثورة الجزائرية. غادر باريس إلى سويسرة لمتابعة دراسته في جامعة جنيف، وكان عنوان أطروحة الدكتوراه «دور الرقيق في انحطاط الإمبراطورية الرومانية». عاد إلى دمشق عام ١٩٦٧ ليعمل أستاذًا في قسم التاريخ، إذ كُلِّف تدريسَ مادة تاريخ الإغريق والرومان واللغات القديمة الإغريقية واللاتينية والآرامية. وبقي يُدرِّس هذه اللغات حتى تقاعده. كما درَّس تاريخ العمارة في كلية العمارة، وتاريخ الفن في كلية الفنون الجميلة. وعمل أستاذًا زائرًا في الجامعة الأردنية ما بين عامي ١٩٦٨-١٩٧١.

أسهم الأستاذ الدكتور محمد محفل بتأسيس لجنة كتابة تاريخ العرب في جامعة دمشق، وكان أمين سرها، وترأس تحرير مجلة دراسات تاريخية التي أصدرتها اللجنة ما بين ١٩٩٤-٢٠٠٣. كما عمل في قسم الإذاعات الأجنبية في الإذاعة السورية.

ومن المهام الأخرى التي أُوكِلَتْ إليه عضوية مجلس الآثار التابع لوزارة الثقافة. منحته جامعة الدراسات الإسلامية في مدينة كراتشي الباكستانية درجة الدكتوراه بتقدير امتياز في ٢٧/ ١/ ١٩٩٩.

وضع الأستاذ الدكتور محمد محفل رحمه الله عددًا كبيرًا من الدراسات التاريخية واللغوية والحضارية التي كان لها الأثر الكبير في نشر الوعي بأهمية تاريخ سورية القديم وتاريخ الشرق الأدنى القديم، وتاريخ العرب القديم، وبضرورة دراسة لغات المشرق العربي القديم، كالأكَّادية والفينيقية والأوجاريتية والكنعانية والآرامية وغيرها لصلتها الوثيقة باللغة العربية التي تُعدُّ الوريثة الشرعية لكل هذه اللغات. نذكر من هذه الدراسات ما يأتي:

١- تاريخ الرومان، (بالمشاركة مع الدكتور محمد الزين) دمشق ١٩٧٠.

وقد طُبع طبعات عدة، وما زال يُدَرَّس في قسم التاريخ في جامعة دمشق.

٢- المدخل إلى اللغة الآرامية، دمشق ١٩٧١.

وقد كتبه الأستاذ محفل بخط اليد لصعوبة طباعته لعدم وجود التقنيات الحديثة التي تُمكن من طباعته زمن صدوره. وما زال هذا الكتاب يُدرَّس في قسم التاريخ في جامعة دمشق حتى الآن. ولمَّا خلفتُه في تدريس اللغة الآرامية في القسم طلبت إعادة طباعته قبل سنتين تحية شكرٍ وتقدير له على جهوده في تعليم مئات لا بل آلاف من الطلاب السوريين والعرب.

٣- المدخل إلى اللغة اللاتينية، دمشق ١٩٧٢.

أيضًا ما زال هذا الكتاب يُدَرَّس في قسم التاريخ في جامعة دمشق حتى الآن.

٤- تاريخ العمارة، دمشق ١٩٧٦.

٥- تاريخ الفن، دمشق ١٩٧٧.

٦- دمشق الأسطورة والتاريخ، من ذاكرة الحجر إلى ذاكرة البشر،

الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٨.

٧- أسلافنا العرب، دراسة في دور العرب في فجر الحضارة الأوروبية، وزارة الثقافة ٢٠٠٧ (ترجمة).تأليف بوجن أولسمر.

انتُخِبَ الأستاذ الدكتور محفل عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، وصدر مرسوم تعيينه في ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٨، خلفًا للأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي. وكانت له إسهاماته الواضحة في نشاطات المجمع، نذكر منها:

١- المشاركة في أعمال لجنة مجلة المجمع، ولجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة، ولجنة النشاط الثقافي.

٢- المشاركة في المؤتمر السنوي الثامن (نحو رؤية معاصرة للتراث) سنة ٢٠٠٩، وألقى محاضرة فيه بعنوان: دور الحضارات القديمة في التراث العربي قبل الإسلام وبعده.

٣- المشاركة في ندوة: أضواء مجمعية على مجالات الإصلاح سنة ٢٠١٤، وألقى محاضرة فيها بعنوان: مجالات الإصلاح عند محمد كرد علي وكامل عياد.

٤- معجم ألفاظ الحضارة، الجزء الأول، المهن والحرف والمنزل والملابس (بالمشاركة مع آخرين)، مطبوعات المجمع ٢٠١٤.

ومن نشاطاته الأخرى إلقاء المحاضرات الآتية في المجمع:

١-بلاد كنعان في العالم القديم، ٢٤/ ٢/ ٢٠١٠.

٢- الأبجدية وأصول الكتابات، ٢٩/ ٥/ ٢٠١٤.

٣- من كتابة أوجاريت إلى الكتابة العربية ٢٠١٤.

ونشر في مجلة المجمع:

أضواء على دراسة العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام.

وكان قد نشر في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته عددًا من المقالات في مجلة دراسات تاريخية، وفي مجلة التراث العربي، وفي مجلة المعرفة، نذكر منها:

١- في أصول الكتابة العربية، عدد تشرين الأول ١٩٨١.

٢- متى كان لسورية والعراق حدود مميزة خاصة، عدد حزيران ١٩٩٤.

٣- قراءة في كتاب جغرافية باطلة وتاريخ صحيح، عدد حزيران ١٩٩٦.

٤- العربية لغةً وكتابةً، مجلة التراث العربي، عدد نيسان ١٩٩٨.

٤- مدخل تاريخي إلى عالم ابن رشد، مجلة التراث العربي، عدد كانون الثاني ١٩٩٩.

٥- عولمة أمريكية وحداثة إنسانية، مجلة المعرفة، عدد شباط ٢٠٠٤.

وكتب مقدمة على درجة كبيرة من الأهمية لرواية «سارة، المرأة التي هدمت الإمبراطورية العثمانية»، للمؤلف التركي لطفي أكدوغان، التي صدرت عن دار طلاس في طبعتين، الأولى عام ١٩٩٥، والثانية عام ٢٠١١.

كما أدى دورًا مهمًّا في تدقيق بعض المسلسلات التلفزيونية التاريخية مثل: ربيع قرطبة، وصلاح الدين، وصقر قريش، وملوك الطوائف، والظاهر بيبرس، وعنترة بن شداد، حتى إنه لُقِّب بحارس التاريخ في الدراما العربية.

لقد تعرفت إليه في سبعينيات القرن الماضي حين انتسبت إلى قسم التاريخ في جامعة دمشق، فوجدت فيه المعلم والأستاذ والصديق والإنسان المتواضع الذي يحترم جميع الناس ويقدرهم دون النظر إلى وضعهم المادي أو الطبقي أو العلمي، أو انتمائهم الديني أو السياسي. كنت ألتقيه بين الفينة والأخرى، ولا سيما عندما كان رئيس تحرير مجلة دراسات تاريخية، أو حينما

كنت أحدِّثه هاتفيًّا، أو ألتقيه في مقهى «الكوخ» في مشروع دمر. وفي كل مرة كنت أتعلم منه أشياء جديدة. كان كنزًا لا ينضب من المعلومات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والفكرية وغيرها. وبقي ذهنه متوقدًا معطاءً حتى أواخر أيامه، فقد قابلته قبل وفاته بنحو ثلاثة أشهر في مركز تطوير المناهج التربوية التابع لوزارة التربية، وتناقشت معه في بعض القضايا التربوية والتاريخية، فحلل وشرح وأفاض في الشرح دون أي مشكلة في التعبير أو الإيضاح، اللهم إلا بحة بسيطة في صوته.

أخيرًا لا بد من الإشارة إلى عبقريته في قراءة الحاضر واستقراء المستقبل اعتمادًا على معرفته في التاريخ القديم وعلم الرجال. وأذكر هنا مثالين اثنين عن ذلك فقط. فقد تنبأ بمقتل إسحق رابين رئيس وزراء العدو الصهيوني قبل اغتياله بأسبوع عام ١٩٩٥، إذ رأى في ممارسة الذين اغتالوه، والذين ينتسبون إلى إحدى الجماعات اليهودية المتطرفة، إشارة إلى ذلك، فقد كانوا يدورون حول بيته ويشتمون أمه.

والمثال الثاني رؤيته لعزمي بشارة حينما زار دمشق والتقاهُ، إذ قال عنه: إنه غير نظيف ومجند للقيام بمهمة تخدم العدو الصهيوني، وقد صدقت رؤيته.

إن هذين المثالين وأمثلة أخرى كثيرة لا مجال الآن لذكرها، تدل على عبقريته الفذة في استقراء المستقبل والحكم على الرجال.

مشروع المستقبل:

تُؤَلِّفُ دراسة لغات المشرق العربي القديم (اللغات السامية) قاعدة أساسية لدراسة نشوء اللغة العربية وتطورها. فالروابط والصلات بين اللغة العربية وهذه اللغات كثيرة وأصيلة، قديمة ومستمرة، وتبرز بوضوح ليس فقط في العربية الفصحى، بل أيضًا في اللهجات المحكية التي تُعدُّ خزانًا غنيًّا ملآنَ

بمفردات ومصطلحات ما زلنا نستعملها، على الرغم من تاريخها العتيق.

وقد أنجزت قبل مدَّة قصيرة دراسة معجمية عن علاقة اللغة العربية بلغات المشرق العربي القديم بالاعتماد على المعجمات المعروفة لهذه اللغات، المنشورة بلغات أجنبية كثيرة، المرتكزة على نصوص قديمة أصيلة تركها أولئك الذين تكلموا بهذه اللغات وكتبوا بها آدابهم ونصوصهم المختلفة. وستصدر هذه الدراسة قريبًا إن شاء الله عن الهيئة العامة السورية للكتاب. وأنوي في المستقبل أن أتابع هذه الدراسة بدراسات تفصيلية معمقة أكثر لعلاقة العربية بكل لغة أو لهجة من هذه اللهجات كالإبلوية، لغة مدينة إبلا، والأوجاريتية، لغة مدينة أوجاريت، والفينيقية لغة فينيقيا (أو كنعان)، والآرامية، لغة ممالك بلاد الرافدين وسورية القديمة الآرامية في الألف الأول قبل الميلاد، وأشهر لهجاتها السُّريانية، والتدمرية، والنبطية وغيرها. ولن أنسى في هذا المجال دراسة لهجات العرب القديمة الشمالية والجنوبية الكثيرة، كالصفوية والثمودية واللحيانية والمعينية والسبئية والقتبانية والحضرمية وغيرها من اللهجات التي ما تزال آثارها باقية في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية.

إن الأمانة العلمية تُحتم علينا العودة إلى النصوص القديمة المكتوبة بهذه اللهجات المتاحة لنا في مكتبتنا المتواضعة، وفي بعض المكتبات الأخرى التخصصية كمكتبة المتحف الوطني بدمشق، وبالاعتماد على ما تقدمه لنا الشابكة من نصوصٍ ودراسات أكاديمية رصينة، لأن في ذلك إثراءً لأيِّ دراسات لغوية مقارنة.

لقد اهتم سكان الشرق القديم عمومًا بالتعليم والقراءة والكتابة والمكتبات، وبإقامة المدارس ودور العلم التي كانت ملحقة بالمعابد والقصور الملكية. وجمعوا فيها مختلف صنوف المعرفة، من حسابٍ وطبٍ وهندسة

وفلكٍ ورياضيات وصيدلة وأساطير وغيرها. ويكفي أن نذكر في هذا المجال مكتبة الملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م.) التي أقامها في قصره في عاصمته نينوى. وسبقتها في الظهور مكتبات كثيرة كمكتبات المدن السومرية أور، وأوروك، ونيبور في بلاد الرافدين (العراق القديم) ومكتبات إبلا، وماري، وأوجاريت، وقطْنة، في سورية القديمة. واشتُهرت في عصور لاحقة كالعصر الهلنستي مكتبة الإسكندرية في مصر، ومكتبة أنطاكيا في سورية، ومكتبة بيرغامون في آسيا الصغرى، وغيرها من المكتبات.

وهذا مثال على النظام التعليمي الذي كان سائدًا في المدرسة (في السومرية: إِ - دوب - با، وفي الأكادية: بيت طوبيم: بيت الألواح) نقدم فيما يأتي نصًّا ثنائي اللغة سومريًّا - أكَّاديًّا، يصف لنا يومًا من أيام المدرسة، وبعض نشاطات التلميذ المدرسية:

«يا ابن بيت الألواح (التلميذ) إلى أين كنت تذهب في الأيام الماضية؟

كنت أذهب إلى بيت الألواح.

ماذا فعلت في بيت الألواح؟

قرأت لوحي وأكلت طعامي، صنعت لوحي وكتبته حتى النهاية. بعد ذلك أُعِدَّت لي أسطر وظيفةً، وأُعِدَّ لي بعد الظهر لوحي اليدوي (لوح للدراسة في البيت).

دخلت البيت، كان أبي يجلس هناك. قرأت أمام أبي لوحي اليدوي، قرأت له لوحي بصوتٍ مرتفع. سُرَّ أبي بذلك. ذهبت إلى أبي وقُلت له: أنا عطشان، أعطوني ماءً لأشرب ! أنا جائع أعطوني خبزًا لآكل ! غسلت قدمي وجهزت سريري، أريد أن أنام، أيقظوني في الصباح الباكر ! لا أريدُ أن أذهب متأخرًا وإلا ضربني معلمي.

عندما استيقظت في الصباح الباكر، نظرت إلى أمي، وقُلت لها: أَعطيني فطوري ! أريد أن أذهب إلى بيت الألواح. حينما أعطتني أمي رغيفين.....، أخفيت جوعي عن عينيها. حينما أعطتني أمي بعد ذلك رغيفين، ذهبت إلى بيت الألواح.

في بيت الألواح قال المراقب لي: لماذا أنت متأخر؟ حينئذٍ خفت وصار قلبي يخفق.

مثلت أمام معلمي وجلست. أبو مدرستي، أبو بيت الألواح قرأ لوحي بصوتٍ عالٍ،

وقال لأن قسمًا منه كُسِر ضربني بالعصا.

وحينما راح المعلم يتحدث عن قواعد السلوك في بيت الألواح، تكلم الرجل المسؤول عن الملابس: لقد تسكعتَ في الطريق..... وضربني بالعصا. أبو بيت الألواح أعدَّ لي لوحي.

تكلم الرجل المسؤول عن الهدوء وقال: لماذا تكلمت دون أذني؟ وضربني بالعصا.

تكلم الرجل المسؤول.... وقال: لماذا لم ترفع الكأس؟ وضربني بالعصا.

تكلم الرجل المسؤول عن قواعد السلوك وقال: لماذا وقفت دون أذني؟ وضربني بالعصا.

تكلم مراقب البوابة: لماذا خرجت دون أذني؟ وضربني بالعصا.

تكلم رجل السوط: لماذا تسلَّمْتَ..... دون أذني؟ وضربني بالعصا.

قال معلم السومرية: لماذا.....؟ وضربني بالعصا.

تكلَّمَ معي وقال: لا تزال يدك (يعني خطك) سيئة، وضربني بالعصا.

صار عندي نفور من الكتابة، وأهملت الكتابة».

يظهر لنا من خلال هذا النص أن المدرسة كانت تحكمها ضوابط شديدة، وإذا خالف التلميذ هذه الضوابط عُرِّضَ للعقوبة بالضرب بالعصا.

وتعكس الأحجية السومرية الآتية أهمية المدرسة في التعليم:

«بيتٌ كالسماء أُسِّسَ على قاعدة متينة، بيتٌ غطَّاهُ المرءُ بالكتان كأنه وعاءٌ نقي، بيتٌ كالوزة الواقفة على قاعدة متينة، يدخلُ المرء إليه بعيونٍ مغمضة، ويخرج منه بعيونٍ مفتوحة، فما هو؟

الحل: إنه بيت الألواح»، أي المدرسة.

ويفتخر شولجي، ثاني ملوك مملكة أور الثالثة (٢٠٩٣ - ٢٠٤٦ ق. م)، أنه أسس مدرستين، الأولى في العاصمة أور، والثانية في نيبور عاصمة بلاد سومر الدينية. ويفتخر في أحد النصوص أنه منذ صغره كان يزور المدرسة، ودرس ألواح سومر وأكَّاد. ولم يكنْ أحدٌ في المدرسة يستطيع منافسته في الكتابة على الألواح الطينية. وأنه أتمَّ مهارته في الكتابة المسمارية، والعدِّ، والحساب، وقياس مساحات الحقول. وقد وهبته «نيسابا»، إلهة الكتابة والكتَّاب والحساب والهندسة والتنجيم والفلك، الذكاء والفهم والقدرة على التركيز، وأصبح من ثمَّ كاتبًا ماهرًا لا يصعب عليه شيء.

وبعد شولجي بقرونٍ طويلة يتباهى آشوربانيبال أشهر ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة، بأنه أجاد فن الكتابة بشكلٍ لم يسبقه إليه أحدٌ من الملوك السابقين. إذ يقول:

«قصر آشور بانيبال ملك العالم، ملك بلاد آشور، الذي اتكاله على الإله آشور وعلى الإلهة نينليل، الذي وهبه الإله نابو والإلهة تَشميتو فهمًا واسعًا. الذي تلقى عينًا مضيئة، المُختارَ من فن الكتابة، كما لم يتعلم هذا الفن أي ملكٍ من الملوك الذين سبقوني. حكمة نابو إله الكتابة والكتَّاب،

والإشارات المسمارية، كما رُتِّبت، كتبتُها على ألواحٍ ودققتُها وراجعتُها، من أجل قراءتها، ولجعلها تُقرأ لي، وضعتُها داخل قصري.

مَن يتكلْ عليك، يا آشور يا ملكَ الآلهةِ، فلن يصيبَه مكروهٌ.

مَن يأخذ لوحي، أو يكتب اسمه بدلًا من اسمي، فعسى أن يحطمه بحنقٍ وغضب الإله آشور والإلهة نينليل، وليُدَمَّر اسمُه ونسلُه في البلاد».

ونذكر أشهر النساء اللواتي تعلمن القراءة والكتابة، وقرضن الشعر، ووضعن المدائح الإلهية، الأميرة «إنخيدوأنَّا، ابنة شاروكين الأكَّادي كاهنة إله القمر الكبرى في مدينة أور، التي وضعت أشعارًا لتمجيد نانا إله القمر، وعشتار إلهة الحب والخصب والحرب، ومن ثَمَّ فهي تُعدُّ أقدم شاعرة وكاتبة معروفة في التاريخ.

كان يُؤَهَّلُ الكتَّاب في مدارس (بيت الألواح وبيت الحياة) ملحقة بالمعابد والقصور، يتعلم فيها الطالب القراءة والكتابة وجميع معارف عصره ليتخرج بعدها باسم «كاتب» (دوب سار بالسومرية، وطوبشار بالأكادية: كاتب اللوح الطيني).

كما عُرف الكاتب باللغة الأكادية باسم «شاطِر» أيضًا، المشتق من فعل «شَطَر» أي كتب، دوَّن. وما زلنا نستخدم كلمة «شاطر» لوصف الشخص الذي يتمتع بذكاء حاد. والكاتب باللغة الأوجاريتية «سفر»، وبالعبرية «سيفير» وبالآرامية «سيفرا»: كاتب الرِّق، التي نشأ منها بالعربية «سافِر» وجمعها «سَفَرةٌ» أي كَتَبَةٌ، إذ نقرأ في القرآن الكريم: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥-١٦]. والسِفْرُ بالآرامية «كتاب، رسالة، نص مكتوب»، التي انتقلت إلى العربية بالصيغة نفسها، ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

ختامًا أكرر شكري لجميع أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، راجيًا

من الله أنْ أوفق في خدمة اللغة العربية، والكشف عن جذورها القوية الضاربة في أعماق الزمن.

* * *

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام (١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

أ – الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمود السيد «رئيس المجمع»	٢٠٠١
الأستاذ مروان البوّاب «نائب رئيس المجمع»	٢٠٠٨
الدكتور محمّد مكّيّ الحسنيّ «أمين المجمع»	٢٠٠١
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦
الدكتور عيسى العاكوب	٢٠٠٨
الدكتورة لبانة مشوّح	٢٠٠٨
الدكتور هاني رزق	٢٠١٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أحمد قَدّور	٢٠١٠
الدكتور وهب رومية	٢٠١٦
الدكتور رفعت هزيم	٢٠١٦
الدكتور عبد الناصر عساف	٢٠١٦
الدكتور عبود السَّرّاج	٢٠١٦
الدكتور محمّد شفيق البيطار	٢٠٢٢
الدكتور عماد الصابوني	٢٠٢٢
الدكتور يوسف بركات	٢٠٢٢
الدكتور محمّد إياد الشطي	٢٠٢٢
الدكتور عيد مرعي	٢٠٢٢

ب – الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢
الدكتور سمير الدروبي	٢٠١٥
الجمهورية التونسية	
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢
الدكتور صالح بلعيد	٢٠٠٧
الدكتور عثمان السعدي	٢٠١٥
الدكتور أحمد المستغانمي	٢٠٢٣
المملكة العربية السعودية	
الدكتور أحمد محمّد الضبيب	٢٠٠٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان	٢٠٠٧
جمهورية السودان	
الأستاذ علي أحمد بابكر	٢٠٠٧
الدكتور حسن بشير صديق «رئيس المجمع السوداني»	٢٠١٥
الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد	٢٠١٥
سلطنة عُمان	
الدكتور هلال السيّابي	٢٠٢٣
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور محمّد مراياتي	٢٠٠٠
الدكتور محمّد رضوان الداية	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢

(*) ذُكِرَت الأقطار وفقًا للترتيب الهجائي، والأسماء وفقًا للترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمّد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور أحمد الحاج سعيد	٢٠٠٧
الدكتور عبد الحليم منصور	٢٠٠٧
الدكتورة أسيدة بشير شهبندر	٢٠١٥
الدكتور عدنان بركة	٢٠١٥
الدكتور عقيل المرعي	٢٠١٥
الدكتور فايز الداية	٢٠١٥
الدكتور فيصل الحفيان	٢٠١٥
الدكتور قاسم سارة	٢٠١٥
الدكتور محمّد عبدو فلفل	٢٠١٥
الدكتورة منى إلياس	٢٠١٥
الدكتور ميخائيل معطي	٢٠١٥
الجمهورية العراقية	
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور داخل حسن جريو	٢٠٠٧
الدكتور علي القاسمي	٢٠٠٧
الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي	٢٠٠٧
الدكتور مسارع الراوي	٢٠١٥
الدكتور محمّد حسين آل ياسين	٢٠٢٢
فلسطين	
الدكتور أحمد حسن حامد	٢٠٠٧
الكويت	
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢
الجماهيرية العربية الليبية	
الدكتور محمّد أحمد الشريف	١٩٩٣
جمهورية مصر العربية	
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦

تاريخ دخول المجمع	
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢
المملكة المغربية	
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الجمهورية العربية اليمنية	
الدكتور مقبل الأحمدي	٢٠٢٣

ج – الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
أزبكستان	
الدكتور نعمة الله إبراهيموف	١٩٩٣
إسبانية	
الدكتور خيسوس ريو ساليدو	١٩٩٢
إيران	
الدكتور محمّد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
الدكتور محمّد علي آذر شب	٢٠٠٢
الدكتور محمّد علي التسخيري	٢٠٠٢
باكستان	
الدكتور أحمد خان	١٩٩٣
البوسنة والهرسك	
الدكتور أسعد دراكوفيتش	٢٠٠٢
الدكتور فتحي مهدي	٢٠٠٢
الدكتور محمّد أرناؤوط	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
تركية	
الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو	١٩٨٦
رومانية	
الدكتور نقولا دويرشيان	٢٠٠٢
الصين	
الدكتورة أمل قوه شوه هوه	٢٠٠٧
فرنسة	
الأستاذ أندره ميكيل	١٩٨٦
الأستاذ جاك لانغاد	١٩٩٣
الأستاذ جورج بوهاس	١٩٩٣
الأستاذ جيرار تروبو	١٩٩٣
الهند	
الدكتور محمّد أجمل أيوب الإصلاحي	٢٠٠٢

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ – رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولِّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمّد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٦٠ – ١٩٦٨)
الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)
الدكتور شاكر الفحام	(١٩٩٣ – ٢٠٠٨)
الدكتور محمّد مروان المحاسني	(٢٠٠٨ – ٢٠٢٢)

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

ب – الأعضاء العاملون الراحلون

	الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمّد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمّد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦

	الوفاة
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	١٩٦٨
«رئيس المجمع»	
الأمير جعفر الحسني	١٩٧٠
«أمين المجمع»	
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمّد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمّد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمّد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل	١٩٨٥
«أمين المجمع»	
الدكتور محمّد كامل عياد	١٩٨٦

	الوفاة
الدكتور حسني سبح	١٩٨٦
«رئيس المجمع»	
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٩٥
«أمين المجمع»	
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمّد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
الأستاذ عاصم البيطار	٢٠٠٥
الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦
الدكتور محمّد عبد الرزاق قدورة	٢٠٠٧
الدكتور شاكر الفحّام	٢٠٠٨
«رئيس المجمع»	
الدكتور عبد الكريم اليافي	٢٠٠٨

	الوفاة
الأستاذ جورج صدقني	٢٠١٠
الدكتور محمّد زهير البابا	٢٠١١
الدكتور عبد الكريم الأشتر «عضو شرف»	٢٠١١
الدكتور محمّد إحسان النص	٢٠١٢
الدكتور محمّد عزيز شكري	٢٠١٢
الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠١٣
الأستاذ سليمان العيسى	٢٠١٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	٢٠١٥
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠١٦

	الوفاة
الدكتور أنور الخطيب	٢٠١٨
الدكتور محمّد محفل	٢٠١٩
الدكتور محمّد طيب تيزيني	٢٠١٩
الدكتور محمّد هيثم الخياط	٢٠٢٠
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٢٠
الدكتور ممدوح خسارة	٢٠٢١
الدكتور موفّق دعبول	٢٠٢١
الدكتور محمّد مروان المحاسني «رئيس المجمع»	٢٠٢٢

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

ج – الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

	الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمّد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	٢٠١٠
الدكتور ناصر الدين الأسد	٢٠١٥
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠١٧
الدكتور محمود السمرة	٢٠١٨
الدكتور عبد الكريم خليفة	٢٠٢٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمّد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمّد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الدكتور سليم عمّار	١٩٩٩
الدكتور محمّد السويسي	٢٠٠٧
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٩
الأستاذ محمّد المزالي	٢٠١٠
الدكتور محمّد الحبيب بلخوجة	٢٠١٢
الأستاذ أبو القاسم محمّد كرو	٢٠١٥

	الوفاة
الدكتور رشاد حمزاوي	٢٠١٨
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة	٢٠٢٠
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمّد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمّد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمّد العيد محمّد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
الدكتور أبو القاسم سعد الله	٢٠١٣
الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح	٢٠١٧
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	٢٠٠٤
الأستاذ عبد الله بن خميس	٢٠١١
الدكتور عوض القوزي	٢٠١٣
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠١٦
جمهورية السودان	
الشيخ محمّد نور الحسن	١٩٧٠
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣

	الوفاة
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	٢٠٠٥
الأستاذ سر الختم الخليفة	٢٠٠٦
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ إدوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمّد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمّد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار أغناطيوس افرام	١٩٥٧

	الوفاة
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ محمّد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ محمّد عدنان سالم	...
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي	٢٠٠٦
الدكتور عبد الله عبد الدايم	٢٠٠٨
الدكتور صلاح الدين المنجد	٢٠١٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠١١
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠١١
البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠١٤
الدكتور برهان العابد	٢٠١٤
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠١٦

	الوفاة
الأستاذ محمود فاخوري	٢٠١٦
الدكتور صادق فرعون	٢٠١٧
الدكتور عدنان الحموي	٢٠١٨
الدكتور عدنان درويش	٢٠١٤
الدكتور عمر الدقاق	٢٠٢٠
الدكتور عبد الجبار الضحاك	٢٠٢٠
الدكتور ميخائيل معطي	٢٠٢١
الدكتور عدنان سالم	٢٠٢٢
الجمهورية العراقية	
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب أنستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمّد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١

	الوفاة
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمّد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمّد تقي الحكيم	٢٠٠٢
الدكتور صالح أحمد العلي	٢٠٠٣
الدكتور عبد العزيز البسام	٢٠٠٥

	الوفاة
الدكتور جميل الملائكة	٢٠٠٥
الدكتور عبد اللطيف البدري	٢٠٠٦
الدكتور حسين علي محفوظ	٢٠٠٩
الدكتور عبد العزيز الدوري	٢٠١٠
الدكتور محمود الجليلي	٢٠١١
الأستاذ هلال ناجي	٢٠١١
الدكتور يوسف عز الدين	٢٠١٣
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠١٨
الدكتور محمود حياوي حماش	٢٠١٨
فلسطين	
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمّد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣

	الوفاة
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠١٥
الكويت	
الدكتور خالد عبدالكريم جمعة	٢٠١٣
الجمهورية اللبنانية	
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا «العاملي»	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧

	الوفاة
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمّد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٦
الدكتور محمّد يوسف نجم	٢٠٠٩
الدكتور فريد سامي الحداد	٢٠١٩
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٢٠
ليبيا	
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥
الدكتور علي فهمي خشيم	٢٠١١
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤

	الوفاة
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمّد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الإسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمّد لطفي جمعة	١٩٥٣

	الوفاة
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمّد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمّد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمّد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف	٢٠٠٥
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٧
الدكتور أمين علي السيد	٢٠٠٩

	الوفاة
الدكتور محمود حافظ	٢٠١١
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠١٢
الدكتور محمود علي مكي	٢٠١٣
الدكتور كمال بشر	٢٠١٥
الدكتور محمود فوزي المناوي	٢٠١٥
الأستاذ فاروق شوشة	٢٠١٦
الدكتور نبيل علي	٢٠١٦
الدكتور حسين نصار	٢٠١٧
الأستاذ محمود فهمي حجازي	٢٠١٩
الدكتور جابر عصفور	٢٠٢١
الدكتور صلاح فضل	٢٠٢٢
المملكة المغربية	
الأستاذ محمّد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنُّون	١٩٨٩
الأستاذ محمّد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ محمّد المكي الناصري	١٩٩٤
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١

	الوفاة
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	٢٠٠٨
الأستاذ الأخضر الغزال	٢٠٠٨
الدكتور عبدالهادي التازي	٢٠١٥
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠١٥
الدكتور محمّد بن شريفة	٢٠١٨
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠١٩
الجمهورية العربية اليمنية	
القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	٢٠٠٨
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٢٢

د – الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	الوفاة
الاتحاد السوفييتي «سابقًا»	
الأستاذ كراتشكوفسكي «أغناطيوس»	١٩٥١
الأستاذ برتل «ايفكني ادواردوفيتش»	١٩٥٧
الدكتور غريغوري شرباتوف	٢٠٠٦
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس «ميكل»	١٩٤٤
الأستاذ إميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان «مارتين»	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو «إدوارد»	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز «يوسف»	١٩٣١
الأستاذ هوميل «فبريتز»	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ «أوجين»	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ فيشر «أوغست»	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان «كارل»	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان «ريتشارد»	١٩٦٥

	الوفاة
الدكتور ريتر «هلموت»	١٩٧١
الدكتور رودلف زلهايم	٢٠١٣
الدكتور فولف ديتريش فيشر	٢٠١٣
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمّد جواد مشكور	١٩٩٥
الدكتور هادي معرفت	٢٠٠٧
الدكتور محمّد مهدي الآصفي	٢٠١٥
الدكتور فيروز حريرجي	٢٠١٦
إيطالية	
الأستاذ غريفيني «أوجينيو»	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني «ليون»	١٩٢٦
الأستاذ غويدي «اغنازيو»	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو «كارلو»	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي «فرنسيسكو»	١٩٩٦

	الوفاة
باكستان	
الأستاذ محمّد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمّد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	٢٠١٠
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي»	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس «دافيد»	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ إدوارد «براون»	١٩٢٦
الأستاذ بفن «أنطوني»	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث «د.س.»	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو «فريتز»	١٩٥٣
الأستاذ غليوم «ألفريد»	١٩٦٥
الأستاذ اربري «أ.ج.»	١٩٦٩
الأستاذ جيب «هاملتون أ.ر.»	١٩٧١

	الوفاة
بولونية	
الأستاذ «كوفالسكي»	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	....
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
الدكتور فؤاد سزكين	٢٠١٨
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل «ألوا»	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل «فرانز»	١٩٣٢
الأستاذ اِسْتْروب «يحيى»	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن «جون»	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين «ك.ف.»	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦
سويسرة	
الأستاذ مونتة «إدوارد»	١٩٢٧
الأستاذ هيس	١٩٤٩

	الوفاة
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	٢٠٠٨
فرنسة	
الأستاذ باسيه «رينه»	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار «كليمان»	١٩٢٧
الأستاذ غي «أرثور»	١٩٢٨
الأستاذ ميشو «بلير»	١٩٢٩
الأستاذ بوفا «لوسيان»	١٩٤٢
الأستاذ فران «جبريل»	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه «وليم»	١٩٥٦
الأستاذ دوسو «رينه»	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون «لويس»	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه «هنري»	١٩٧٠
الدكتور بلاشير «ريجيس»	١٩٧٣
الأستاذ كولان «جورج»	
الأستاذ لاوست «هنري»	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو «يوحنا اهتنن»	....

	الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر «أغناطيوس»	١٩٢١
الأستاذ ماهلر «إدوارد»	....
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	....
النمسا	
الدكتور اشتولز «كارل»	....
الأستاذ جير «رودلف»	١٩٢٩
الدكتور موجيك «هانز»	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمّد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٨١
أ. أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
الدكتور عبد الحليم الندوي	٢٠٠٥
الدكتور مختار الدين أحمد	٢٠١٠
هولندة	
الأستاذ هورغرونج «سنوك»	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما	١٩٤٣
«مارتينوس تيودوروس»	
الأستاذ اراندونك «ك. فان»	١٩٤٧

	الوفاة
الأستاذ شخت «يوسف»	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد «ب»	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ سارطون «جورج»	١٩٥٦
الدكتور ضودج «بيارد»	١٩٧١

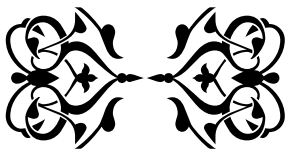

تنضيد وإخراج: عمار البخاري